[١٧]-[٢٠]

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي

د. عبد السلام آل عيسى

جميع الكليات
ماعدا كلية الدعوة

١٤٣٩/١٤٤٠هـ

يطلب من خدمة الطالب

السيرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف السيرة :

السيرة لغة : السنة والطريقة ، يقال : سار بهم سيرة حسنة ، وهي أيضاً :الهيئة التي يكون عليها الإنسان وغيره ، قال تعالى عن عصا موسى عليه السلام: (سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى) أي هيئتها الأولى التي كانت عليها وهي أنها عصا وذلك بعد أن تحولت إلى حية تسعى.

والسيرة النبوية اصطلاحاً: معرفة أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته وشمائله منذ ولادته وحتى وفاته .

أهمية دراسة السيرة النبوية :

١- إظهار صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة معجزاته .

٢- معرفة فضله صلى الله عليه وسلم على البشر وأنه مع ذلك بشر مثلهم يسري عليه ما يسري عليهم.

٣- التأسي به صلى الله عليه وسلم والاقتداء كما قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) وخاصة الدعاة،

٤- توضيح بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كالتي ترد في نشأته صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي عليه وغزواته .

مصادر السيرة النبوية :

تنقسم مصادر السيرة إلى قسمين :

أولاً : مصادر أصلية وهي :

١- القرآن الكريم .

٢- كتب السنة النبوية .

٣- كتب الدلائل .

٤- كتب السيرة المختصة .

٥- كتب التاريخ العام.

أما القرآن الكريم فهو مصدر هام لا يتطرق إليه الشك والوهم . لأنه محفوظ بحفظ الله قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

وفيه العديد من الآيات المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم كنشأته ونزول الوحي عليه وموقف المشركين من بعثته ومن أتباعه وغزواته. وتتم الفائدة منه بالرجوع إلى كتب التفسير وكتب أسباب النزول ، وكتب الناسخ والمنسوخ .

وأما : كتب السنة النبوية : مثل الصحيحين والسنن الأربعة ومسند أحمد وغيره من المسانيد والمعاجم والمستدركات وغيرها.

ففيها عشرات النصوص المتعلقة بالسيرة ، ففي صحيح البخاري مثلاً فصل أو باب في أيام الجاهلية ، وكتاب المغازي وحفر بئر زمزم وبناء الكعبة ، وفي مسلم كتاب الجهاد والسير. وتأتي أهميتها كون المحدثين اهتموا بأسانيدها وبيان صحيحها من ضعيفها قديماً وحديثاً

وأما كتب الدلائل فهي التي تذكر المعجزات والدلائل الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم مثل كتاب دلائل النبوة للبيهقي . ت ٤٥٨هـ وهو مطبوع .

وأما الشمائل فهي الكتب التي تذكر صفاته صلى الله عليه وسلم الخَلقة والخُلقة وحياته المعيشية (أكله – شربه – لبسه- نومه – صحته – مرضه – سلمه – حربه ... إلخ) ومنها :

كتاب الشمائل النبوية والخصائص المصطفوية للترمذي ت ٢٧٩هـ .

وأما كتب السيرة المختصة فهي التي ألفت في السيرة النبوية خاصة.

وأول من ألف في السيرة عروة بن الزبير بن العوام (ت٩٤) وله كتاب المغازي ، واستفاد فيه من والده وأمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وخالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

وتوالت التآليف في السيرة .

فألف أبان بن عثمان بن عفان ت ١٠١هـ ، وعامر بن شراحيل الشعبي ت ١٠٤هـ ومحمد بن شهاب الزهري (ت ١٢٥) وموسى بن عقبة ت ١٤٠ هـ وقد جمعت مرويات مغازي الزهري وموسى في رسالتي دكتوراه و ماجستير بالجامعة الإسلامية ، ومحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ت ١٥١هـ وله كتاب المغازي ، وابن اسحاق صدوق إذا صرح بالتحديث فيكون حديثه حسن وإذا لم يصرح يكون حديثه ضعيف لأنه من مدلسي الطبقة الثالثة عند ابن حجر.

وكتابه المغازي فيه بعض الأخطاء ، وقام الملك عبد الله بن هشام ت ٢١٨هـ بتنقيح كتاب ابن إسحاق وقد رواه عنه من طريق زياد البكائي وهي أصح الروايات عنه.

كذلك ألف الواقدي محمد بن عمر ت ٢٠٧هـ كتابه المغازي

والواقدي ضعيف رماه أبو داود والنسائي والشافعي بالوضع في الحديث ، وقال ابن حجر : متروك .

وأثنى على علمه في السيرة وسعة اطلاعه الإمامان الذهبي وابن كثير ، وقال العلماء إن مما تميز به الواقدي دقة وصفة لأماكن ، وقوع أحداث السيرة النبوية .

وممن ألف من المتاخرين :

أبو محمد بن علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري ت ٤٥٦هـ وكتابه : (جوامع السيرة)

وألف كذلك : يوسف بن عبد البر القرطبي ت ٤٦٣هـ - صاحب كتاب التمهيد في الفقه – كتابه : (الدرر في اختصار المغازي والسير).

كذلك ألف: محمد اليعمري المعروف بسيد الناس ت ٧٣٤ هـ كتابه (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) .

وتأتي أهمية كتب السيرة المختصة أنها كتبت في عهد الصحابة الذين عاشوا أحداث السيرة مع النبي صلى الله عليه وسلم مما يعطيها توثيقا آخراً .

كتب التاريخ العام :

وهي التي تتناول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ضمن ما تختص به وهو سرد الأحداث التاريخية قبل النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى وفاة مؤلفيها . ومنها :

كتاب التاريخ لخليفة بن خياط ت ٢٤٠هـ

وهو يتناول التاريخ منذ ولادة النبي صلى الله عليه وسلم حتى وفاة المؤلف.

وكذلك كتاب تاريخ الأمم والملوك لمحمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ

وهو يتناول التاريخ منذ بدء الخليقة وتاريخ الأمم السابقة ثم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الأحداث حتى وفاة المؤلف .

كذلك (كتاب البداية والنهاية) للحافظ إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤هـ

وهو كتاب تاريخ عام منذ بدء الخلقية حتى وفاة المؤلف.

وكذلك : (تاريخ الإسلام) للحافظ أبي عبد الله محمد الذهبي ٧٤٨هـ وهو كالذي قبله

وينبغي التنبه إلى أن هذه المصادر سوى كتاب الله تعالى فيها الصحيح والضعيف والثابت والباطل ، فينبغي لقارئها التحقق والتثبت من ثبوت ما يقرؤه قبل الأخذ به والعمل بما جاء فيه .

وقد قام السلف الصالح والخلف من العلماء بتمحيص كتب السنة وبيان الأحاديث الثابتة من غيرها ، وكذلك قام العلماء المتأخرون بتأليف كتب في السيرة تبين الثابت منها من عدمه ومن تلك المراجع :

- السيرة النبوية الصحيحة للدكتور أكرم العمري.
- السيرة في ضوء المصادر الأصلية للدكتور مهدي رزق الله أحمد.
- صحيح السيرة النبوية للشيخ الألباني .
- الرسائل الجامعية التي ألفت في السيرة ، مثل : مرويات العهد المكي ، وغزوة بدر الكبرى ، ومرويات غزوة أحد ، الخندق ، صلح الحديبية ، غزوة خيبر ، فتح مكة ، حنين والطائف ، بني المصطلق ، غزوة مؤتة وتبوك وغيرها .

ثانياً : المصادر التكميلية : وهي التي لا تختص بذكر أحداث السيرة بل هي مختصة بعلوم أخرى ولكنها قد تذكر بعض أحداث السيرة وتفيد في تكميل جوانب النقص في أخبار السيرة النبوية مثل : كتب الأدب ، وتراجم الصحابة ، والتراجم العامة ، وكتب الفقه ، ومعاجم اللغة ، والجغرافيا التاريخية . (معاجم البلدان) ومن المراجع الهامة في معاجم البلدان كتاب (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية) لمؤلفه : عاتق بن غيث البلادي رحمه الله.

حالة العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحاجته إلى الرسول

(بلاد الروم)

من الناحية الدينية :

وجدت في بلاد الروم دينتان أساسيتان هما : اليهودية والنصرانية.

أما اليهودية فقد حرفت ، ووضع اليهود التلمود المليء بالكذب على الله ونسبته الفاحشة إلى أنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه وغير ذلك من الافتراءات

وأما النصرانية فقد حرفت أيضا: ووضع النصارى أربعة أناجيل محرفة، وهي إنجيل متى، ولوقا ، ومرقس ، ويوحنا ، وأقرت في مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ، وهذه الأناجيل متناقضة في مبداها ومنتهاها ومواضيعها ، ولا يعرف أي من المؤرخين من مسلمين وغيرهم من كتب هذه الأناجيل ومتى كتبت ، ويؤكدون أن أياً من مؤلفيها لم يلق المسيح عليه السلام .

ومن الناحية الاجتماعية :

فقد انتشر في بلاد الروم السلب والنهب لكثرة الضرائب الباهظة المفروضة على الرعية وانتشرت الرذيلة والحروب الطاحنة بين اليهود والنصارى وكان أهل الشام ربما باع أحدهم ابنه ليجد ما يأكله.

(بلاد فارس)

من الناحية الدينية :

انتشرت فيها ثلاث عقائد مجوسية تعبد النار ، وتعتقد بأن أصل العالم النور والظلمة وهي الزرادشتية ، والمانوية ، والمزدكية.

ومن الناحية الاجتماعية:

شاع بين الفرس النظام الطبقي واعتقاد أفضلية الأكاسرة وأنه يجري فيهم دم إلهي.

وشاع بينهم أيضاً زواج المحارم والاعتزاز بالقومية الفارسية والتقاتل على السلطة.

(بلاد الهند)

من الناحية الدينية :

تميزت الهند من الناحية الدينية بكثرة المعبودات ، فقد بلغ عدد الآلهة المعبودة (٣٣٠ مليوناً) وعبد الهنود كل شيء جميل وجذاب ومهيب وعظيم ، وعبد الرجال النساء العراة والعكس.

ومن الناحية الاجتماعية :

شاع بين الهنود النظام الطبقي الجائر، فأعلى الطبقات: البراهمة ، وهم مخلوقون من رأس برهما الإله ، وأخس وأحط الطبقات الشودر ، وهم أخس من الكلاب ولو جالس شودري برهمياً كوي أسته ولو ضربه قطعت يده ، ولا يقتل البرهمي ، وإن استحق القتل.

الجزيرة العربية

من الناحية الاجتماعية والدينية:

كان الغالب على حياة العرب في الجزيرة العربية حياة البداوة والتنقل لطلب الكلأ والعشب، والغالب على أراضي الجزيرة العربية القحط وقلة الماء والزرع ، وانتشر بين العرب النهب والسلب وقطع الطريق والحروب الطاحنة لأتفه الأسباب كحرب داحس والغبراء وحرب البسوس ، وقد استمرت كل منهما (٤٠) عاماً.

وكان المثل الشائع بين العرب (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) وانتشرت بين العرب بعض العادات الاجتماعية السيئة ، مثل: الزنا وشرب الخمر ووأد البنات خشية العار والذكور خشية الفقر ، وأكل الربا ، والقمار وغيرها.

ومن الصفات الحميدة التي اتصف بها العرب : الكرم ، والشجاعة ، والمروءة ، والنجدة ، وحفظ الجوار ، والغيرة على المحارم.

ومن الناحية الدينية :

وجدت في الجزيرة العربية العديد من العقائد والديانات وهي :

١- الوثنية : وهم عبدة الأصنام ، فقد انتشرت عبادتها في كل بلد ومدينة وقرية ، بل في كل بيت.

ومن أشهر أصنام العرب: هبل ، واللات ، والعزى، ومناة ، وذو الخلصة ، وود ، وسواع ، ويغوث ، ويعوق ، ونسر.

وأول من أدخل عبادة الأصنام على العرب (عمرو بن لحي الخزاعي) كما ثبت ذلك في صحيح البخاري.

ولم يكن جميع العرب الوثنين مقتنعين بعبادة الأوثان والأصنام . قال أحدهم وقد رأى ثعلباً يبول على صنمه.

أرب يبول الثعلبان في رأسه لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب

والوثنيون لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ويقرون بربوبية الله تعالى.

٢- النصرانية: وكانت في المناطق القريبة من نفوذ الروم ، مثل : بلاد الشام وأطرافها في قبائل غسان ، وفي نجران لقربها من الحبشة.

٣- اليهودية : وانتشرت في المدينة وخيبر واليمن .

٤- المجوسية : وكانت في المناطق القريبة من نفوذ الفرس ، مثل : العراق وهجر والبحرين ، وهم عبدة النار.

٥- الصابئة: وكانت في العراق واليمن ، وهم عبدة الكواكب .

٦- الحنيفية : وهم بقايا ملة إبراهيم عليه السلام ، وكانوا على التوحيد واجتناب المحرمات ، ووجدت الحنيفية في أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية ، وممن اعتنقها قبل الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم و أبو بكر الصديق رضي الله عنه وزيد بن عمرو بن نفيل.

ومن الناحية الاقتصادية :

فقد اعتمد العرب في البادية على الرعي والزراعة ولكنها كانت بشكل قليل وضعيف لقلة الموارد المالية إلا في بعض مناطق الجزيرة العربية.

واعتمد الحاضرة على التجارة وكانت الحاضرة والبادية ربما تكسبوا بفروج إمائهم كما قال تعالى : (وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاء إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) الآية.

ومما تقدم يظهر مدى الفساد الديني والاجتماعي الذي كانت عليه المجتمعات الكبيرة والرئيسة في العالم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وحاجتها وغيرها من المجتمعات الصغيرة من باب أولى إلى وجود نبي يخرجها من الظلمات إلى النور ومن الجور إلى العدل، ومن الجهل والفقر إلى العلم والأمن والاستقرار والرخاء.

نشأة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته قبل البعثة

نسبه صلى الله عليه وسلم :

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام.

وهذا النسب لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بكامله ، وإنما ثبت أجزاء منه تدل على صحة هذا النسب.

كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم في الصحيح : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم. وهذا الحديث يدل أيضاً على شرف نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأن الله اصطفاه من خيار من خيار.

الولايات بمكة

ثبت في صحيح البخاري أن إبراهيم عليه السلام هاجر بولده إسماعيل وهو رضيع وأمه هاجر إلى مكة من بلاد الشام ، وترك هاجر زوجته وابنها إسماعيل عند مكان الحرم بمكة، وانطلق راجعا إلى بلاد الشام ، وأن هاجر نفد ما لديها من ماء وطعام ، فجعلت تسعى بين الصفا والمروة طلباً للماء حتى استجاب الله لها ، وأمر جبريل عليه السلام بضرب الأرض بعقبه فخرج ماء زمزم ، وشربت هي وابنها ، ثم أقامت بجوارهم قبيلة جرهم التي قدمت من اليمن، وجاء إبراهيم عليه السلام بعد أن تزوج إسماعيل من جرهم ، وشب فيهم ، وتعلم العربية منهم، وكان إبراهيم عليه السلام يزورهما في مرات متفاوته ، وفي أحدها أمره الله تعالى ببناء الكعبة ، فرفع قواعدها هو ابنه إسماعيل عليهما السلام ، وعاد إبراهيم إلى الشام وتولى إسماعيل ولاية البيت وبعد وفاته تولى الحرم أكبر أبنائه نابت ثم تولى أمر الحرم قبيلة جرهم حتى بغى آخرهم وأفسدوا في الحرم ، فسلط الله عليهم قبيلة خزاعة ، فأجلتهم وتولت خزاعة إمرة الحرم خمسمائة أو ثلاثمائة عام ، وفيهم ظهر الشرك على يد عمرو بن لحي الخزاعي كما قال صلى الله عليه وسلم : (رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار إنه أول من غير دين إبراهيم) رواه البخاري في الصحيح ، ثم انتقلت ولاية الحرم إلى قصي بن كلاب جد النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له أعمال هامة ، كإنشائه دار الندوة ، وجمعه شمل بطون قريش وإنزالهم الحرم، وقيامه بسقاية ورفادة الحجاج ، وإيقاده النار بمزدلفة ليهتدي إليها الحجاج ، وبعد وفاة قصي تنازع أحفاده في تولي المهام التي كان يقوم بها من السقاية والرفادة، والحجابة وهي العناية بالكعبة، واللواء وهو عقد ألوية الحرب، والندوة وهي العناية بدار الندوة والإشراف عليها . ثم اصطلح احفاده على أن تكون أمور السقاية والرفادة في بني هاشم وهم أجداد النبي صلى الله عليه وسلم ، وعلى أن تكون أمور الحجابة واللواء والندوة في بني عبد الدار، واستمر الأمر كذلك حتى بعد مجيء الإسلام.

وتولى أمر السقاية والرفادة من أجداده صلى الله عليه وسلم ، هاشم بن عبد مناف وكان من أهم أعماله: ١- أنه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف للتجارة إلى اليمن والشام ٢- أنه هشم الثريد لإطعام الحجيج ٣- حفر بئري سجلة و بذر ٤- أمر قومه بإخراج طائفة من أموالهم لرفادة الحجاج وسقايتهم.

ثم تولى أمر السقاية والرفادة أخوه المطلب ثم ابن هاشم عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أنه هو الذي حفر بئر زمزم بعد أن كانت قد طمرت في عهد جرهم وأنه رأى رؤيا في منامه دل فيها على مكان البئر.

ولادته صلى الله عليه وسلم ورضاعته وحضانته

ولادته:

ولد النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفيل وهو العام الذي قدم فيه أبرهه الحبشي لهدم الكعبة فرده الله خاسئاً كما ثبت ذلك في (سورة الفيل) .

وثبت مولده صلى الله عليه وسلم عام الفيل برواية حسنة من رواية قيس بن مخرمة بن نوفل. قال: ولدت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم عام الفيل فنحن لدتان أي شبيهان.

وكان مولده صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن صومه يوم الاثنين فقال : ذاك يوم ولدت فيه ، وأنزل عليه فيه . رواه مسلم في الصحيح.

وأما الشهر الذي ولد فيه فالمشهور من أقوال العلماء أنه ربيع الأول.

ولم يثبت أنه ولد مختوناً أو مسروراً أي مقطوع السرة ، وليس هذا من خصائصه كما قال ابن القيم.

وثبت من طريق حسن أن الذي ختنه وسماه محمداً جده عبد المطلب يوم سابعه.

رضاعته:

كان أول من رضعه صلى الله عليه وسلم أمه آمنة بنت وهب ثلاثة أيام وقيل سبعة ، ثم أرضعته ثويبة الأسلمية مولاة أبي لهب، ثم حليمة السعدية ، أرضعته في بادية بني سعد ونشأ بها وشب حتى حدثت له حادثة شق صدره وغسله ، فأعادته حليمة إلى أمه بعد أن خافت عليه وكان عمره أربع سنوات.

حضانته:

كان أول من حضنه أمه آمنة ثم ثويبة ثم حليمة السعدية وابنتها الشيماء ، ثم أعادته حليمة إلى أمه . وبعد وفاة أمه حضنته أم أيمن بركة الحبشية مولاة والده عبد الله.

كفالته:

لقد توفي والد النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم حملاً في بطن أمه ، وبعد ولادته صلى الله عليه وسلم قام بكفالته والعناية به أمه آمنة ، وتوفيت آمنة وهي راجعة من المدينة إلى مكة بعد أن ذهبت به صلى الله عليه وسلم لزيارة أخوال جده عبد المطلب ، فكفلته (بركة الحبشية) وبعد وعودته إلى مكة وكان عمره صلى الله عليه وسلم ست سنوات كفله (جده عبد المطلب) وكان يحبه حباً عظيماً ويجلسه على مفرش له حول الكعبة وكان لا يجلس عليه أحد من عظماء قريش ، إسناده حسن.

وبعد أن بلغ صلى الله عليه وسلم ثمان سنوات توفي جده عبد المطلب فكلفه (عمه أبو طالب) .

وكان أبو طالب كثير العيال قليل المال. ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم اثني عشر عاماً خرج به عمه مع وفد لقريش في تجارة لبلاد الشام ومر الوفد بالراهب بحيري في بلاد الشام الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيكون رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين ، وأنه عرف ذلك بخاتم النبوة في كتفه ، وأنه رأى الغمامة تظله وأنه لما جلس مع الوفد لتناول الطعام عند الراهب مال عليه في الشجرة

وهذا الخبر رواه الترمذي وصححه الحاكم وابن حجر الألباني ، وضعفه الذهبي ورد العلماء على أما أورده من إشكالات على هذا الخبر سوى قوله في آخر الخبر: (وبعث معه أبو بكر وبلالا) لأن أبا بكر كان صغير فهو أصغر من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين وكذلك بلال لم يشتره أبو بكر إلا بعد البعثة ، وأجاب العلماء بأن هذه العبارة مدرجة من حديث آخر.

حفظ الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن الإشراك به وعن معائب الجاهلية قبل البعثة وتخلقه بجميل الخصال

لقد حفظ الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الإشراك به في الجاهلية

روى عروة بن الزبير أن جاراً لخديجة رضي الله عنها حدثه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لخديجة : والله لا أعبد اللات والعزى والله لا أعبد ، فقالت خديجة : خل اللات ، خل العزى . رواه أحمد بسند صحيح.

وحفظ الله سبحانه نبيه عن مخالفة ملة إبراهيم في الحج فقد كانت قريش لا تقف بعرفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويقف بها. رواه الشيخان من حديث جبير بن مطعم.

وحفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن كشف عورته في الجاهلية ، وكان أمراً شائعاً في الجاهلية ، فقد عاون النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً في نقل الحجارة عند بناء الكعبة ، فقال له عمه العباس: ضع إزارك على عاتقك يقك أثر الحجارة فلما رفع إزاره بدت عورته فخر مغشياً عليه وطمحت عيناه إلى السماء فلما أفاق قال : إزاري إزاري فشد عليه إزاره. رواه البخاري في الصحيح.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته يتخلق بجميل الخصال والفعال، ففي صحيح البخاري في حديث بدء نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم أن خديجة رضي الله عنها قالت له : إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل،وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق.

وفي صحيح البخاري أن هرقل قال لأبي سفيان : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول .... قال : لا.

وكانت قريش تسميه قبل بعثته (الأمين) كما في قصة وضع الحجر الأسود. رواه أحمد بسند حسن.

الفوائد:

١- أن الله ربى محمد صلى الله عليه وسلم بعنايته بعيداً عن تربية والديه اللذين كانا على الشرك فربما تأثر بهما.

٢- أن نشأته صلى الله عليه وسلم يتيماً يجعله يحس بألم الضعفاء ومن في حكمهم من اليتامى والمعدمين فيحن عليهم.

٣- أن نشأة الداعية على الخلق الحسن والفعال الجميلة يجعل دعوته أكثر قبولاً عند المدعوين مما لو كان سيء السيرة قبل قيامة بالدعوة.

مشاركته صلى الله عليه وسلم قومه في حياتهم العلمية

١- رعي الغنم:

قال صلى الله عليه وسلم : ما من نبي إلا ورعى الغنم ، قالوا: وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة ، رواه البخاري في الصحيح.

٢- عمله بالتجارة:

روى ابن ماجه وصححه الألباني :

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للسائب بن أبي السائب: مرحباً بأخي وشريكي ، كان لا يداري ولا يماري (أي لا يشاغب ولا يخالف) يا سائب لقد كنت تعمل أعمالاً لا تقبل منك هي اليوم تقبل منك. وكان شريكاً للنبي صلى الله عليه وسلم في التجارة في الجاهلية.

٣- حضوره حلف الفضول (المطيبين) :

قال صلى الله عليه وسلم : شهدت مع عمومتي حلف المطيبين فما أحب أن أنكثه أو كلمه نحوها ، وأن لي حمر النعم . وهو حلف تعاقد فيه عدد من قبائل قريش على رد المظالم وانصاف المظلوم.

حسنه الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية ص ٣٥ .

وقيل إن عمره صلى الله عليه وسلم كان آنذاك خمسة عشرة عاماً.

٤- مشاركته في بناء الكعبة:

تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل الحجارة مع قريش لبناء الكعبة وأنه وضع إزاره على عاتقه فبدت عورته فخر مغشياً عليه . ومن مشاركته صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة تحكيمه في وضع الحجر الأسود حينما اختصموا فدخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذا الأمين رضينا به فأمرهم أن يبسطوا ثوباً فوضع الحجر الأسود وسطه ، وقال: لتأخذ كل قبيلة بطرف منه فرفعوه جميعاً ثم وضعه صلى الله عليه وسلم بيده مكانه، رواه الحاكم وغيره وحسنه الألباني.

٥- ما روي من مشاركته في حرب الفجار:

وهي الحرب التي وقعت بين قريش وهوزان ، ولم تثبت مشاركته صلى الله عليه وسلم فيها ولم يثبت ما روي من قوله صلى الله عليه وسلم (كنت أنبل على أعمامي) أي أعطيهم النبل.

ومما يدل على عدم صحة ما روي من مشاركته صلى الله عليه وسلم فيها: أنها وقعت في الأشهر الحرم، وأن قريشاً كانت هي الباغية والظالمة، فهذا يبعد مشاركته صلى الله عليه وسلم فيها .

الفوائد:

١- الحث على العمل والكسب وأنه خير من سؤال الناس وتكففهم وأن العمل شرف ورفعة أي كان ولا غضاضة فيه ما دام مباحاً.

٢- أن رعي الغنم يستلزم الرحمة والشفقة واليقظة والانتباه الدائم لأنها من الدواب الضعيفة بخلاف الإبل، وهذه الأمور مطلوبة في الداعية المسلم.

٣- أن العمل بالتجارة في احتكاك بالناس ومعرفة بعاداتهم وطبائعهم مما يسهل معرفة الطرق التي يمكن أن يتوصل بها إلى قلوب وقناعاتهم .

٤- أن قريشاً كانت تعظم حرمات الله في جاهليتها وهذا ما بقي فيهم من دين إبراهيم عليه السلام.

٥- أن المجتمعات الكافرة لا تخلو من مقرٍ بالحق وداعٍ إلى الإنصاف والعدل، وناصر للمظلوم والضعيف.

تحنثه صلى الله عليه وسلم في غار حراء ونزول الوحي عليه

لقد هيأ الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم لتزول الوحي قبل نزوله ومن تهيئة الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم للنبوة:

١- حراسة السماء بالشهب ، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري من حديث ابن عباس فقد زيد في حراستها ببعثته صلى الله عليه وسلم . قال تعالى حكاية عن الجن : (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً ❖ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً).

٢- رؤيته صلى الله عليه وسلم للضوء وسماعه للصوت وتسليم الحجر عليه . رواه مسلم في الصحيح .

٣- الرؤيا الصادقة : فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . رواه البخاري في الصحيح .

٤- تحنثه في غار حراء ، فكان صلى الله عليه وسلم يأتي غار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد وهي رمضان فيتعبد الله فيه ويخلو بنفسه عن مجتمع قريش الذي تسوده المعاصي وأكبرها الشرك. رواه البخاري.

نزول الوحي:

ونزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء ، فقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ فقال :ما أنا بقارئ ، قال صلى الله عليه وسلم فأخذني فغطني (أي عصرني والغط حبس النفس) حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا

بقـــــارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ،فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني : فقال : (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ❖ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ❖ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ) فرجع صلى الله عليه وسلم بها ترجف بوادره وفي رواية فؤاده ، ودخل على خديجة ، فقال : زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، وقال صلى الله عليه وسلم لخديجة : لقد خشيت على نفسي قيل إما (المرض أو الموت) فقالت : كلا والله لا يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة : يا بن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقه : يابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك ، فقال صلى الله عليه وسلم : أو مخرجيّ هم ؟ فقال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

وكان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان على قول الجمهور في يوم الاثنين لقوله صلى الله عليه وسلم عندما سئل عن صوم يوم الاثنين : ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علي فيه . رواه مسلم في الصحيح.

وكان عمره صلى الله عليه وسلم أربعين عاماً، رواه البخاري في الصحيح.

فتور الوحي :

وبعد نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم أول مرة فتر الوحي عنه وانقطع فترة ،قيل أن مدتها أربعون يوماً ثم نزلت عليه سورة المدثر وفيها أمر بالدعوة إلى الله تعالى ، في قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنذِرْ) إلى قوله تعالى : (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ)

مراحل الدعوة :

١- الدعوة سراً واستمرت ثلاث سنوات .

٢- الدعوة جهراً مع الكف عن القتال ، واستمرت حتى الهجرة إلى المدينة .

٣- الدعوة جهراً مع قتال المبتدئين بالقتال، واستمرت من الهجرة إلى صلح الحديبية .

٤- الدعوة جهراً مع قتال كل من يقف في سبيل الدعوة ، وهي من صلح الحديبية إلى قيام الساعة .

مراتب الدعوة :

١- التبوة .

٢- إنذار عشيرته الأقربين .

٣- إنذار قومه .

٤- إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة .

٥- إنذار جميع من بلغته الدعوة من الجن والإنس إلى قيام الساعة .

بدء النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله تعالى بعد أمر الله تبارك له بذلك بعد نزول سورة المدثر وبدأ صلى الله عليه وسلم دعوته سراً وذلك لسيطرة الكفر وقوته وسطوته فلو جهر بالدعوة لقُضي عليه وعلى أتباعه . قال عمرو بن عبسة رضي الله عنه وهو يحكي قصة قدومه على النبي صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة : فإذا رسول الله مستخفياً بمكة جراء عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه .. الحديث رواه مسلم في الصحيح .

بدأ صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله بدعوة قرابته ومن يثق فيهم ، ويأمن جانبهم وكان أول من صدقه وآمن به زوجته خديجة بنت خويلد ، وصديقه في الجاهلية والإسلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومولاه زيد بن حارثه وبلال بن رباح رضي الله عنهم .حيث أنه صلى الله عليه وسلم كان يختارمن يدعوهم

وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم منذ البداية شاملة لجميع الناس ولكل الفئات ، الرجال والنساء والأحرار والعبيد والعرب والعجم بل هي لجميع الإنس والجن، كما قال تعالى : (إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) وقوله : (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ) ، ولذا دخل في الإسلام منذ البداية من جميع هذه الفئات وكان من السابقين إلا الإسلام أيضاً عمار بن ياسر وأهل بيته ، أمه وأبوه ، وكذلك صهيب الرومي وهذا هو منهجه صلى الله عليه وسلم في الدعوة السرية ، الاصطفاء والاختيار و كذلك الشمولية.

الجهر بالدعوة إلى الله :

لقد جهر النبي صلى عليه وسلم بالدعوة إلى الله بعد أن قوي أمر المسلمين قليلاً ، ثم نزل عليه قوله تعالى : (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، فصعد صلى الله عليه وسلم الصفا فهتف : يا صباحاه ، فقالوا : من هذا ، واجتمع إليه ملأ قريش ، فقال صلى الله عليه وسلم : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . فقال له أبو لهب : تباً لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام فنزلت : (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) السورة. رواه البخاري في الصحيح.

وفي رواية في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم هتف بملأ قريش وقال : اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً) .

وذكر ابن إسحاق وابن القيم وابن كثير من غير سند أن مما نزل يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يجهر بالدعوة قوله تعالى : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)ولا مانع من ذلك بل إن الآية تدل على ذلك .

الفوائد :

١- البدء بدعوة القرابة لأن إسلامهم وهدايتهم فيه قوة للداعية ، لأنهم سنده وعضده وأولـــى الناس به ، كما قال تعالى حكاية عن شعيب أن قومه قالوا له : (وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ) .

٢- إعلان النبي صلى الله عليه وسلم أن ولاءه وبراءه راجع إلى الإيمان والتوحيد دون ما سواه من الاعتبارات .

٣- أن على الداعية اختيار الزمان والمكان المناسب للدعوة .

٤- قوله صلى الله عليه وسلم (أكنتم مصدقي) فيه فصاحته وبلاغته وحكمته صلى الله عليه وسلم في الدعوة فقد اجتذب شهادتهم له بالصدق قبل إخبارهم ببعثته فما استطاعوا تكذيبه بعد ذلك . بل قال له أبو جهل تباً لك ولم يستطع أن يقوله له إنك كذاب .

موقف قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بعد الجهر بها

كان موقف قريش من دعوته صلى الله عليه وسلم إلى التوحيد حين جهر بها ودعاهم إليها هو الصد والتكذيب والإعراض كما اتضح ذلك من موقف أبي لهب لعنه الله

فقد صدت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وحاولت صرفه عنها بشتى الوسائل ، ومن ذلك : إيذاؤه بالقول باتهامه بالكذب وأنه ساحر وأنه مجنون ، قال تعالى : (قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ) ، وقال تعالى: (وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ) ، وقال تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ) وكذلك إيذاؤه صلى الله عليه وسلم بالفعل :

روى البخاري في الصحيح أن عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فوضع سلا الجزور وكرشه بين كتفيه ، وتضاحك ملأ قريش وهم في أنديتهم ، حتى جاءت فاطمة ابنته صلى الله عليه وسلم فأزالت عليه .

ومن الأمور التي عارضت بها قريش دعوته صلى الله عليه وسلم :

١- طلب الآيات تعجيزاً ، كما قال تعالى : (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً ❖ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً ❖ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً) .

٢- المجادلة بالباطل في شأن (القدر – المسيح – الروح).

٣- الاستهزاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم والمستضعفين من المؤمنين.

٤- الإغراء بالمال والمنصب والجاه ، كقصة عتبة بن ربيعة التي رواها ابن إسحاق بسند حسن.

٥- المداهنة والمساومة كما قال تعالى : (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة .

٦- مجيئهم إلى عمه أبي طالب يطلبون منه أن يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالكف عن دعوته.

الفوائد :

١- بدء النبي صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الله بالتوحيد فيه أهمية الدعوة إلى هذا المبدأ وأنه الأصل الذي لا يقبل الله عملاً بغير تحقيقه .

٢- قابل صلى الله عليه وسلم تكذيب قريش وإيذاءهم بالصبر والاحتساب والثبات على الحق وسؤال الله تعالى الهداية لهم ، وأيده الله سبحانه بالمعجزات وبإلقاء الرعب في قلوب أعدائه وبتسليته سبحانه وتعالى له . صلى الله عليه وسلم وأيده كذلك بعمه أبي طالب وبنصرة أبي بكر له.

٣-

موقف قريش من السابقين إلى الإسلام

لقد وقفت قريش في وجه المؤمنين السابقين ، وحولت صدهم عن الإسلام بالإيذاء القولي والفعلي وسلب الحقوق والأموال .

قال ابن عمر رضي الله عنهما : كان الإسلام قليلاً فكان الرجل يفتتن في دينه ، إما قتلوه وإما عذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة . رواه البخاري في الصحيح.

وقال ابن مسعود : أول من ظهر إسلامه سبعه: رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقداد ، فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس فما منهم إنسان إلا وقد وافقهم على ما أرادوا إلا بلالاً فإنه هانت نفسه في الله وهان على قومه ، فأعطوه الولدان وأخذوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحدٌ أحدٌ . ورواه أحمد في المسند بسند حسن.

ومن أكل المشركين أموال المسلمين بالباطل :

ما رواه البخاري في الصحيح أن خباب بن الأرت عمل للعاص بن وائل حداداً فاجتمع له عنده مال فجاءه يطلبه ، فقال: والله لا أعطيك حتى تكفر بمحمد.

كيف واجه المسلمون الإيذاء

١- بالصبروالاحتساب واليقين بصدق وعد الله لأوليائه بالنصر والفوز ووعيده لأعدائه بالخذلان والخسارة.

وكان بعضهم ربما لان بسبب اشتداد الإيذاء فتلفظ ببعض ما يريدون من الكفر ومن هؤلاء عمار بن ياسر فجاء يشكو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، فأنزل الله تعالى : (من كفر بالله بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) .

٢- بتسلية النبي صلى الله عليه وسلم لهم

فقد جاء خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو إليه ما يلقون من المشركين ، فقال صلى الله عليه وسلم : لقد كان من قبلكم يمشط بمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه عن دينه ويوضع الميشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، رواه البخاري .

٣- بمواساة بعضهم بعضاً وبالتكافل الاجتماعي.

فقد كان أبو بكر رضي الله عنه يشتري الرقيق الذين تعذبهم قريش على الإسلام فيعتقهم فقال له والده لو أعتقت رجلاً يمنعونك فأخبره أنه يريد بعمله وجه الله ولا يريد المنعة ، فنزلت الآية : (فأما من أعطى واتقى ❖ وصدق بالحسنى) إلى قوله : (ولسوف يرضى) سنده حسن.

٤- بالهجرة إلى الحبشة :

فقد أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه لما اشتد الأذى عليهم من قريش أن يهاجروا إلى الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد حتى يجعل لهم فرجاً ومخرجاً ،كما ثبت من حديث أم سلمة.

الهجرة الأولى إلى الحبشة :

كانت في السنة الخامسة من البعثة من شهر رجب.

وعدد من هاجر فيها : أحد عشر رجلاً، أو اثنا عشر ، وأربع نسوة ، أو امرأتان.

عودة المهاجرين :

عاد المهاجرون إلى الحبشة في الهجرة الأولى في شهر شوال من السنة الخامسة وسبب رجوعهم ما أشيع من أن قريشاً أسلمت وذلك حين سجدوا مع النبي صلى الله عليه وسلم .

فقد روى البخاري في الصحيح : أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فسجد في آخر وسجد من كان معه من المشركين غير شيخ اخذ كفاً من حصى أوتراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفني هذا.

ولم يكن سجود المشركين معه صلى الله عليه وسلم لإسلامهم وإنما كان سبب ذلك كما ذكر أهل العلم إما :

١- أنهم ظنوا أن الله تعالى مدح آلهتهم بقوله : (أفرأيتم اللات والعزى) الآية ، وظنوا أن قوله تعالى: (تلك إذا قسمة ضيزى) راجع أنها إناث فقط.

٢- أو أنهم سجدوا خوفاً من أن يحل بهم ما حل بعاد وثمود في قوله تعالى : (وأنه أهلك عاداً الأولى.... الخ السورة) .

ولم يثبت ما يعرف بقصة الغرانيق ، وأنه صلى الله عليه وسلم قال بعد قوله تعالى : (أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى) . تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن لترتجى " فسجد المشركون . وقد بين الشيخ الألباني ضعفها في كتابه (نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق)

الهجرة الثانية إلى الحبشة

وبعد أن عاد المهاجرون الأولون نالهم من الإيذاء أشد مما كان ينالهم قبل الهجرة إلا من حماه قومه أو دخل في جوار.

فأذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة.

وكان عدد من هاجر الهجرة الثانية . اثنان وثمانون رجلاً وثماني عشرة امرأة.

واستقر المهاجرة في الحبشة واطمأنوا فيها على دينهم وأهليهم وأموالهم .

إرسال قريش وفداً لاسترجاع المهاجرين :

بعد أن رأت قريش استقرار المسلمين في الحبشة أصابها الخوف من أن يقوى أمرهم فيقومون بغزوها أو أن ينشروا الإسلام في الحبشة ثم تقوم الحبشة بغزوهم . .

فأرسلت وفداً يضم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة لاسترداد المسلمين وبعثت معهم هدايا للنجاشي وبطارقته وهي الأدم أي الجلود المدبوغة ، ووصل وفد قريش وقدم الهدايا إلى النجاشي وبطارقته ، ثم قالوا للنجاشي أنه قد ضوى أي قدم إلى أرضك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين مبتدع ، قالوا: وقد بعثنا إليك أشراف قومهم لتردهم إليهم ، فقالوا البطارقة : نعم ، ولكن النجاشي غضب وقال: لا ها الله إذا لا أسلمهم ولا يكاد قوم جاورني ونزلوا بلادي واختاروني على سواي حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان.

ثم دعا النجاشي المسلمين ليسألهم فتكلم جعفر بن أبي طالب عنهم فقال: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا كذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا

أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأصنام من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك.

ثم طلب النجاشي من جعفر أن يقرأ عليه شيئاً مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فقرأ عليه صدراً من سورة مريم (كهيعص) فبكى النجاشي وبكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، وقال لوفد قريش: انطلقا فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يكادون ، ثم قال عمرو بن العاص للنجاشي في اليوم التالي : إنهم ليقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسألهم فقال جعفر بن أبي طالب : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود... ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي (أي آمنون) من سبكم عزم ، من سبكم عزم ، ما أحب أن لي ديراً من ذهب وأني آذيته رجلاً منكم . ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها ، قالت أم سلمة : فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا عليه .

الفوائد :

١- مشروعية الهجرة من بلد الكفر الذي يتعذر على المسلم فيه إقامة شعائر الدين إلى آخر ليتمكن فيه من إقامة شعائره.

٢- يجوز للمسلم الدخول في حماية الكافر إذا اضطر إلى ذلك بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى تنازله عن مبادئ دينه أو شيء منها.

٣- أن أهل الكتاب أقرب فهماً للإسلام من أهل الأوثان وأن النصارى أقرب مودة للمسلمين من غيرهم من الكفار.

٤- أن أعداء الإسلام دائمو اليقظة والتخطيط المستمر للقضاء على الإسلام وأهله في كل زمان ومكان فينبغي على المسلمين التيقظ لذلك وإفشال تلك المخططات والاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا النجاة .

من أسلم في هذه المرحلة :

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أسلم عمر رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة وكان إسلامه عزاً ورفعة للإسلام وأهله.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه . رواه البخاري في الصحيح .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو أن يعز به الإسلام . فيقول : اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب . رواه الترمذي وصححه الشيخ الألباني

حصار الشعب :

بعد أن يئست قريش من صد النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته بشتى الأساليب وفشلها في إرجاع المهاجرين من الحبشة قررت حصار المسلمين وبني هاشم وبن المطلب مسلمهم وكافرهم في شعب أبي طالب والذي يعرف اليوم بشعب علي لأنها ناصروا النبي صلى الله عليه وسلم وأصل الحصار ثابت في صحيح البخاري ، واستمر حصار المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، من السنة السابعة من البعثة حتى العاشرة، ثم سعى بعض عقلاء قريش ونبلائها في فك الحصار ونقض الصحيفة التي كتبت فيها بنود المقاطعة . وقد عانى المسلمون في هذا الحصار معاناة شديدة فقد منعوا من الطعام والشراب إلا ما أدخل عليهم خفية.

وفاة أبي طالب:

بعد خروج المسلمون من الشعب توفي أبو طالب في شهر رمضان وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأمل ويتمنى أن يموت على الإسلام والتوحيد لما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم من مؤازرة ومناصرة ودفاع فقال له صلى الله عليه وسلم وهو يعالج الموت: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له من عنده من المشركين: أترغب عن ملة عبد المطلب، فكان آخر ما قال هو: على ملة عبد المطلب ومات على الشرك ، نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

وفاة خديجة رضي الله عنها :

وبعد وفاة أبي طالب بشهرين توفيت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وحزن النبي صلى الله عليه وسلم لوفاة أبي طالب وخديجة حزناً شديداً وسُمي العام الذي ماتا فيه بعام الحزن ، وبعد وفاة أبي طالب وخديجة اجترأت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم وناله من الأذى ما لم يكن يناله من قبل ، قالت عائشة رضي الله عنها : ما زالت قريش كاعة حتى توفي أبو طالب . حسنه الشيخ الألباني.

خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف:

بعد اشتداد الأذى على النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من أهلها ثقيف ، فلم يجيبوه إلى ما أراد وآذوه فعاد صلى الله عليه وسلم مغموماً حزيناً فبعث الله إليه ملك الجبال ليأمره بما شاء إن شاء أن يطبق جبلي مكة على أهلها فقال صلى الله عليه وسلم : بل أرجوا الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً. رواه البخاري في الصحيح.

الإسراء والمعراج

الإسراء: هو الذهاب بالنبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى البيت المقدس

والمعرج: هو الصعود به صلى الله عليه وسلم من بيت المقدس إلى السماء الدنيا ثم التي تليها حتى سدرة المنتهى.

دليل الإسراء والمعراج:

أما من الكتاب فقوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) الآية.

وأما المعراج فقوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ❖ عند سدرة المنتهى❖ عندها جنة المأوى) الآية.

ومن السنة :

ما رواه الشيخان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ومن حديث أبي ذر رضي الله عنه ، وفيه ذكر صلى الله عليه وسلم كيف أسري به من المسجد الحرام وأن جبريل جاءه بطست من ذهب مملوءه إيماناً فشق ما بين ثغرة نحره إلى شعرته (أي عانته) ثم استخرج قلبه فغسله ثم أعاده ثم أتى بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه ، وهو البراق ، فركبه صلى الله عليه وسلم حتى أتى البيت المقدس، فربط البراق بحلق الباب التي يربط بها الأنبياء ، فصلى في المسجد ركعتين ثم أتى بإناء من خمر وإناء من لبن ، فاختار اللبن ، فقال جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج به صلى الله عليه وسلم إلى السماء الدنيا ثم التي تليها وفي كل سماء يلتقي بنبي من الأنبياء حتى التقى بإبراهيم عليه السلام في السماء السابعة ثم فرضت عليه الصلوات الخمس خمسين صلاة فخففت إلى خمس ، ورأى صلى الله عليه وسلم من آيات ربه وعظمته ثم عاد إلى فراشه كل ذلك في جزء من الليل ، وكان الإسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم بالروح والجسد ، وهو الراجح والصحيح ، وإليه ذهب الجمهور لقوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده) والعبد لا يطلق في اللغة إلا على الروح والجسد معاً ، كذلك التسبيح لا يكون إلا لأمر عظيم.

ولو كان الإسراء والمعراج بالروح فقط أو مناماً لما حصل به من التكذيب ما حصل من قريش.

ولم تثبت رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل في معراجه ، ففي صحيح مسلم أن أبا ذر سأل صلى الله عليه وسلم فقال : هل رأيت ربك؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نور أنى أراه.

وكان موقف قريش من النبي صلى الله عليه وسلم حين أخبرهم تكذيبه صلى الله عليه وسلم والسخرية منه . كما روى ذلك أحمد في المسند بسند حسن.

وأما أبو بكر رضي الله عنه فقد جاءه المشركون وقالوا : أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح . فقال : نعم إني لأصدق فيما هو أبعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ، ولذلك سمي بالصديق . رواه الحاكم وصححه الشيخ الألباني.

الفوائد :

١- عظم منزلة الصلاة في الإسلام فقد فرضت عليه صلى الله عليه وسلم وهو عند سدرة المنتهى .

٢- فضل النبي صلى الله عليه وسلم على غيره من الأنبياء فقد رفع فوقهم.

٣- موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه لكل مسلم في الإيمان الصادق والإيمان الجازم بكل ما أخبر الله تعالى به .

٤- تسلية الله عز وجل ، حيث أراه عظيم آياته وقدرته حتى يطمئن قلبه إلى نصر الله له بعد أن كذبه الناس (قريش وثقيف) .

عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب

ومن الأساليب والطرق التي سلكها النبي صلى الله عليه وسلم لتبليغ رسالة ربه عرضه نفسه على قبائل العرب بعد أن خذله قومه ، ومن جاورهم من ثقيف وغيرها ، فكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه ودعوته على قبائل العرب في المواسم في الأسواق (كذي المجاز) ليؤمنوا به وينصروه حتى يبلغ رسالة ربه كما ثبت ذلك بسند صحيح عند أبي داود والترمذي عن ربيعة الدؤلي قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم إلى الله ووراءه رجل أحوه تقد وجنتاه يقول: لا يغرنكم هذا.

بيعة العقبة الأولى :

وكانت بعد أن التقى صلى الله عليه وسلم بوفد من الأنصار وهو يعرض نفسه على قبائل العرب فواعدوه من العام المقبل (الثاني عشر للبعثة) فجاؤوا لبيعته وهم عشرة من الخزرج واثنان من الأوس وبايعوه على وفق بيعة النساء التي كانت بعد صلح الحديبية كما ذكر ذلك عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، فبايعوه على أن لا يشركوا بالله شيئاً ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف فمن وفى فله الجنة ، ومن غشي من ذلك شيئاً فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له. رواه ابن إسحاق بسند صحيح .

بيعة العقبة الثانية :

وكانت في السنة الثالثة عشرة من البعثة .

وكان عدد من بايع فيها ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فبايعوه في أوسط أيام التشريق عند العقبة على :

السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يقولوا في الله لا يخافون لومة لائم ، وعلى أن ينصروه فيمنعوه إذا قدم إليهم مما

يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم ولهم الجنة فبايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك وأمرهم بأن يخرجوا اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء على هذه البيعة فأخرجوا له تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس. رواه أحمد بسند حسن من رواية جابر بن عبد الله وابن إسحاق من رواية كعب بن مالك بسند حسن.

الفوائد:

١- كانت بيعة العقبة الثانية سبباً في هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد تعهد الأنصار بحمايته.

٢- جواز الإسرار بالدعوة إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، وخشى الداعية على نفسه وأتباعه من الكفر وأهله أن يفتك بهم.

٣- فضل الأنصار لتعهدهم بحماية النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه ، وقطعهم أحلافهم الجاهلية ومعاداة أعداء الله ومناصرة أوليائه.

٤-

الهجرة إلى المدينة

بعد أن تعهد الأنصار رضي الله عنهم بحماية النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في بيعة العقبة الثانية وذلك إذا قدموا عليهم بالمدينة أذن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى المدينة .

أسباب الهجرة :

١- إيذاء قريش للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

٢- وجود من يقوم بحماية المسلمين.

٣- إذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة ، ففي صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أريها في منامه وأنه هاجر إلى أرض بها نخل فذهب وهله أي ظنه صلى الله عليه وسلم إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي المدينة.

٤- الخوف من الفتنة في الدين بسبب الاضطهاد والتعذيب.

من أوائل المهاجرين:

- مصعب بن عمير وابن أم مكتوم رضي الله عنهما.

ثبت في صحيح البخاري أن أول من قدم المدينة مهاجراً مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكان يُقرئان الناس القرآن.

- أبو سلمة وأم سلمة رضي الله عنهما .

فقد ثبت بسند حسن عند ابن إسحاق أنه كان من أوائل من هاجر هو وزوجته وابنه فمنعت قريش زوجته وابنها من الهجرة ثم أذنوا لهما .

- صهيب الرومي رضي الله عنه.

فقد أراد الهجرة رضي الله عنه فمنعته قريش حتى تنازل لهم عن ماله ، وقال صلى الله عليه وسلم : ربح صهيب . صححه الألباني.

- عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

فقد هاجر هو وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص بن وائل مستخفين . رواه ابن إسحاق بسند حسن .

وثبت في صحيح البخاري أن عمر لحق به عند الهجرة عشرون من قرابته . ولم يثبت ما ورد من أنه هاجر علانية وتوعد من يتبعه من القرشيين.

هجرة بقية المسلمين :

ثم هاجر بقية المسلمين بمكة ، ولم يبق فيها إلا من منع من الهجرة من المستضعفين أو من المعذورين ، وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله فيقول : اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة ، اللهم أنج المستضعفين . رواه البخاري في الصحيح

هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

لقد حاولت قريش وبذلت كل ما في وسعها لمنع النبي صلى الله عليه وسلم من الهجرة إلى المدينة والخروج من مكة خشية أن يظهر أمره ويقوى شأنه فيهدد بذلك الكيان القرشي.

تآمر قريش بدار الندوة :

فقد اجتمع كفار قريش في دار الندوة وتشاوروا في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكيف يقتلون أو يمنعونه من الهجرة إلى المدينة ، واتفقوا أخيراً على قتله بأن يأخذوا من كل قبيلة من قريش شاباً وسيطاً نسيباً ويعطى سيفاً صارماً فيضربوا النبي صلى الله عليه وسلم ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل فلا تستطيع بنو عبد مناف المطالبة به ومحاربة قومهم جميعاً ويرضون بالدية. رواه الطبري بسند حسن . وأعلم الله تعالى نبيه بتآمر المشركين لقتله ، قال تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة فجاء إلى بيت أبي بكر الصديق رضي الله عنه في نحر الظهيرة (أي شدة الظهر وحين تبلغ الشمس أعلى ارتفاعها) وطلب صلى الله عليه وسلم من أبي بكر الخروج معه ومرافقته في الهجرة ، فجهزت عائشة وأسماء رضي الله عنهما راحلتين وصنعتا لهما سفرة في جراب ، وقطعت أسماء قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب ، فسمت بذات النطاق ، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في جبل ثور. الحديث . رواه البخاري في الصحيح.

وقول عائشة رضي الله عنهما : ثم لحق رسول الله .... يدل على التراخي ، وهو يتفق مع ما رواه الإمام احمد في المسند وصححه أحمد شاكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن أحاط المشركون بيته في الليل خرج عليهم وأعمى الله أبصارهم وأمر علياً أن ينام مكانه وأن يخبر أبا بكر بوجهته صلى الله عليه وسلم فاتجه صلى الله عليه وسلم نحو بئر ميمون (وهي تقع على طريق منى) فتبعه أبو بكر رضي الله عنه وخرجا سوياً نحو الغار .

فهذا الخبر يدل على أن توجه النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إلى غار ثور لم يكن من بيت أبي بكر بل كان من بئر ميمون ، وهو يوافق ما في رواية الصحيح من قول عائشة رضي الله عنها : ثم لحق رسول الله . وهي تدل على التراخي وأن هناك فترة ما بين تجهيز الراحلتين والخروج إلى الغار ولذلك ذكر العلماء أن مجيئه صلى الله عليه وسلم إلى بيت أبي بكر وتجهيز الراحلتين كان في الظهيرة كما في رواية الصحيح وأنه صلى الله عليه وسلم في ليلة ذلك اليوم أحاط المشركون بيته ثم عهد إلى علي وطلب منه أن يخبر أبا بكر بوجهته لأنه حدث بينهما سابق اتفاق، فاخذ أبو بكر الراحلتين وتوجه نحو بئر ميمون ثم اتجها سوياً نحو غار ثور.

قالت عائشة رضي الله عنها في بقية رواية الصحيح:

ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغار في جبل ثور فكمنا فيه (أي ختبأ) ثلاث ليال، يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام ثقف لقن (أي سريع الفهم) فيدلج عندهما بسحر (أي يخرج من عندهما بسحر) فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمراً يكتادان به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحهما عليها حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل (أي اللبن الطري الطازج) حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس (ظلام آخر الليل) يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث.

واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أريقط وكان على دين قريش هادياً خرّيتا (أي عالماً بالطرق) ووعداه الغار بعد ثلاث فأتاهما براحلتيهما بعد أن خف عنهما طلب قريش وسلك بهما طريق الساحل.

وثبت في صحيح البخاري أن المشركين وصلوا إلى فم الغار حتى قال أبو بكر رضي الله عنه : يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما ، ولم تثبت قصة نسج العنكبوت على فم الغار وجلوس الحمامتين الوحشيتين عليه ، فقد ضعفهما الشيخ الألباني غير أن ابن كثير قوى إسناد رواية العنكبوت ولكن في اسنادها عثمان بن عمرو بن ساج لم يوثقه غير ابن حبان.

ولعل مما يدل على ضعفهما ما تقدم من أنه ثبت قول أبي بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم : لو نظر أحدهم وطأطأ بصره رآنا ، ولو كان هناك بيت عنكبوت وحمامتان لما استطاعوا رؤيتهما والله أعلم.

المسير إلى المدينة :

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه نحو المدينة ، وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عند صخرة لها ظل لما اشتد حر الظهيرة ونام عندها ، ومر بهم راع فسألاه أن يحلب لهما فحلب فشربا ثم سارا بعد أن زالت الشمس.

وثبت بسند حسن لغيره أنه صلى الله عليه وسلم مرا بخيمة أم معبد فسألاها طعاماً ، فاعتذرت بالجدب ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة قد خلفها الجهد والتعب ، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها فدر لبنها ، فشرب وشرب من معه وحلب لأم معبد وزوجها فلما قدم زوجها سألها من أين اللبن فذكرت له ما حدث من شأن النبي صلى الله عليه وسلم وذكرت له صفته ، فقال : هذا والله صاحب قريش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا .

وفي طريقه صلى الله عليه وسلم لحق به سراقة بن مالك المدلجي كما في صحيح البخاري وكان يأمل الفوز بجائزة قريش وهي دية كل من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه لمن جاء بهما حيين أو ميتين ، وهي مائتين من الإبل فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه بديار بني مدلج (ما بين صعبر ١٣٨ كم شمال مكة إلى ينبع) لحق به سراقة على فرسه ومعه رمحه فلما اقترب من النبي صلى الله عليه وسلم عثرت فرسه وسقط عنها ثم ركبها ودنا من النبي صلى الله عليه وسلم حتى سمع قراءته وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت قدما فرس سراقة في الأرض حتى سقط عنها فدعاهما بالأمان وركب فرسه ووقع في نفسه أن أمر النبي صلى الله عليه وسلم سيظهر ، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بجائز قريش وعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أن يزوده ومن معه بالزاد لم يطلبا ولم يمتعا ، وسألاه أن يخفي عنهم ما استطاع ، وطلب سراقة من النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب له كتاب امان ، فكتب له في قطعة من أدم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو المدينة .

الفوائد :

١- في خبر الهجرة دليل على الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله .

٢- أن أعداء الإسلام لن يملوا ولن يكلوا للقضاء على الإسلام وملاحقة كل من يرون فيه عز للإسلام والمسلمين وخطراً عليهم من قادة الأمة فيجب على المسلمين مقابلة ذاك باليقين والإيمان بالله وأخذ الحيطة والحذر ثم التوكل على الله.

٣- جواز الاستعانة بالكافر إذا أمن جانبه ولم يوجد من يقوم مقامه.

٤- كانت الهجرة واجبة أول الأمر حتى فتحت مكة فانقطعت الهجرة ، وقال صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية.

٥- بيان بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم .

وصول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة

كان وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة في الثاني عشر من ربيع الأول ، يوم الاثنين ، حين اشتد الضحى وكادت الشمس أن تعدل . رواه الحاكم بإسناد حسن.

وفي صحيح البخاري : أنه صلى الله عليه وسلم نزل في بني عمرو بن عوف بقباء ، ومكث عندهم أربع عشرة ليلة ، وبنى مسجد قباء ، ثم أرسل إلى بني النجار فجاؤوه متقلدي السيوف وركب صلى الله عليه وسلم راحلته حتى نزل بفناء دار أبي أيوب الأنصاري ، وكان مكان المسجد مربداً لسهل وسهيل غلامين من الأنصار ، فوهباه له فأبى واشتراه ، وبنى صلى الله عليه وسلم مسجده ، وكان ينقل الحجارة مع المهاجرين والأنصار ويقول:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصاروالمهاجرة

ونزل صلى الله عليه وسلم في أسفل دار أبي أيوب وسكن أبو أيوب في أعلاها ، فطلب أبو أيوب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصعد إلى الأعلى فقال صلى الله عليه وسلم : السفل أرفق بنا ، فأصر أبو أيوب ، فاستجاب له صلى الله عليه وسلم وصعد إلى الأعلى.

الفوائد:

١- في ابتدائه صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد دليل على مكانة المسجد في الإسلام .

٢- كان مسجد قباء هو أول مسجد أسس على التقوى في قباء ومسجده صلى الله عليه وسلم أول مسجد أسس على التقوى في المدينة .

٣- لم يثبت ما ورد من أن الأنصار استقبلوا النبي صلى الله عليه وسلم بقولهم :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

بل ثبت في صحيح مسلم أنهم كانوا يقولون : الله أكبر جاء محمد جاء رسول الله .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

ثبت في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار عند قدومه المدينة، وكان بعضهم يرث بعضاً دون ذوي الأرحام، ثم نسخ التوارث بعد غزوة بدر بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللّهِ﴾ وبقي من المؤاخاة المناصرة والمواساة والتضحية والفداء، وعليه يحمل ما ثبت في صحيح البخاري من مؤاخاة النبي صلى الله عليه وسلم بين أبي الدرداء وسلمان الفارسي ، وكانت المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة في دار أنس بن مالك رضي الله عنه ، وشملت خمسة وأربعين من الأنصار ، وخمسة وأربعين من المهاجرين ، وقيل شملت الجميع.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في البذل والتضحية لإخوانهم المهاجرين ، ففي الصحيح أن سعد بن الربيع عرض على أخيه المهاجري عبد الرحمن بن عوف أن يتنازل له عن نصف ماله وعن إحدى زوجتيه فأبى وقال: بارك الله لك في أهلك ومالك ولكن دلني على السوق. وفيهم نزل قوله تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) الآية.

الموادعة والمعاهدة:

١- بين المؤمنين:

بعد قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار كتب بينهم كتاباً ووثيقة فيها الموادعة والمعاهدة بينهم على المناصرة فيما بينهم والمعاونة على الخير والتكافل الاجتماعي وأقرت الوثيقة المحالفات التي بين القبائل الأنصار وقبائل قريش قبل الإسلام فيما أحل الله .

٢- بين المؤمنين واليهود :

وكتب صلى الله عليه وسلم وثيقة أخرى فيها المعاهدة والموادعة بين المؤمنين واليهود على أن يتعاون اليهود مع المؤمنين وينفقوا معهم خاصة في الحرب وينصروهم ما داموا في المدينة وعلى أن لا يخرج اليهود من المدينة إلا بإذن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن التحاكم في الخصومات إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

تشريع الجهاد

لقد شرع الله تعالى القتال والجهاد ضد الكفار بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حيث أصبح للمسلمين دولة وجند يدافع عنهم وقوي أمرهم ، وكان تشريع الجهاد بقوله تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) قال أبو بكر رضي الله عنه : فعرفت أنه سيكون قتال . رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/٧٩.

وكان تشريع الجهاد على مراحل هي :

١- الإذن بالقتال دفاعاً عن النفس، كما في قوله تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) .

٢- الإذن بالقتال دفاعاً عن النفس والعقيدة ، كما في قوله تعالى : (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) .

٣- الإذن بابتداء المشركين بالقتال للتمكن للعقيدة في الأرض ونشرها بين الخلق لإخراجهم من الظلمات إلى النور، كما قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ) ، وقوله تعالى : (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) الآية .

أهداف الجهاد :

١- نشر الإسلام في الأرض لأنه دين الله الذي لا يقبل سواه .

٢- تأمين الدعوة وأتباعها ، وحماية الدولة والأمة من خطر الكفر وأهله.

٣- إزالة الظلم والبغي عن المستضعفين من المؤمنين.

سرايا النبي صلى الله عليه وسلم وغزواته

السرية: هي القطعة من الجيش من المسلمين يقودها احد أفراد المسلمين ، وأقلها تسعة وأكثرها أربعمائة.

أما **الغزوة** : فهي المجموعة من الجيش الذي يقوده النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد أطلق على بعض السرايا اسم غزوة مثل : (غزوة مؤتة) فهي سرية لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج فيها .

سرايا النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم قبل غزوة بدر عدة سرايا ، وكان الغرض منها :

١- إظهار قوة المسلمين وإبرازها أمام اليهود ومشركي قريش والعرب

٢- تهديد طرق تجارة قريش إلى الشام .

٣- عقد المحالفات مع القبائل القاطنة في تلك المناطق.

ومن سراياه صلى الله عليه وسلم قبل بدر :

١- سرية حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر في رمضان سنة ١ هـ .

٢- سرية عبيدة بن الحارث إلى بطن رابغ في شوال سنة ١هـ

٣- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخوار قرب الجحفة في شوال سنة ١هـ لاعتراض عير قريش.

ومن غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه قبل بدر الكبرى :

١- الأبواء ، ولم يحدث فيها قتال ، وكانت : لاعتراض عير لقريش في صفر ٢ هـ

٢- بواط ، ولم يحدث فيها قتال، وكانت: لاعتراض عير لقريش في ربيع الأول ٢هـ

٣- العشيرة ، ولم يحدث فيها قتال ووادع فيها بني مدلج ، وكانت في جماد الأولى سنة ٢هـ .

٤- سرية عبد الله بن جحش قرب نخلة بين مكة والطائف ، وكانت في آخر يوم من شهر رجب الحرام ، وفيها نزل قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ...) الآية.

غزوة بدر الكبرى

كانت في السابع من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة يوم الجمعة .

سببها : خروج النبي صلى الله عليه وسلم لإعتراض عير لقريش فيها أبو سفيان ، فخرجت قريش لنجدتها ونجت العير ، لكن أبا جهل أصر على قتال المسلمين.

القوات : كان عدد جند المسلمين ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ومعهم فرسان وسبعون بعيراً وأما المشركون فكانوا ألف رجل معهم مائتا فارس، وكانوا بقيادة أبي جهل.

بداية القتال:

استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في المسير إلى بدر فرحبوا بذلك وتعهدوا بنصرته صلى الله عليه وسلم وفي صبيحة المعركة صف النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين صفوفاً وهي طريقة لا تعرف العرب القتال بها ، وإنما كان قتالهم كراً وفراً، وبدأ القتال بالمبارزة بين ثلاثة من المسلمين هم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث وبين ثلاثة من المشركين هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة . فقتل حمزة عتبة ، وقتل علي شيبة ، واختلف كل من الوليد وعبيدة ضربة أثخنت صاحبه.

ثم ابتدأ القتال واستبسل المسلمون حتى كتب الله لهم النصر وأيدهم الملائكة كما قال تعالى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ) وأنزل الله عليهم النعاس والمطر أمنة منه قال تعالى : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ) .

نتيجة المعركة:

انتصار المسلمين وقتل عدد من زعماء قريش وصناديدها مثل : أبي جهل وأمية بن خلف وابنه علي وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وكان عدد قتلى المشركين سبعين رجلاً، وأسر منهم سبعون ، وقبل منهم الفداء سوى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث قتلهما النبي صلى الله عليه وسلم صبراً لشدة عداوتهما للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين .

وكان عدد قتلى المسلمين أربعة عشر رجلاً، ولم يؤسر منهم أحد .

الغنائم :

اختلف فيها المسلمون ، فنزل قوله تعالى : (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) فخمس النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم ومما نزل بشأن الغنائم قوله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ) الآية

وأسهم النبي صلى الله عليه وسلم لتسعة من الصحابة لم يشهدوا بدراً لأعمال كلفوا بها ومنهم عثمان بن عفان رضي الله عنه فقد كان يمرض زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان تقسيم الغنائم بوادي الصفراء قرب المدينة .

غزوة أحد

كانت في النصف من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة ، يوم السبت.

سببها : ان قريشاً أرادت الانتقام لقتلاها يوم بدر.

القوات : كان عدد جيش المسلمين ألف رجل ومعهم فارسان . غير أن هذا الجيش لم يصل بتمامه إلى أحد فقد انخذل رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش بمنطقة الشوط قرب أحد.

أما المشركون : فكان عددهم ثلاث آلاف رجل معهم مائتا فارس وسبعمائة دارع ، وكانوا بقيادة أبي سفيان وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتهم عكرمة بن أبي جهل .

بداية القتال :

عسكر النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه عند جبل أحد وجعل ظهور المسلمين إلى أحد، ووجوههم إلى المدينة وعسكر المشركون في مواجهتهم و خرج سباع بن عبد العزى من صفوف المشركين يطلب من يبارزه ، فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقتله حمزة . رواه البخاري في الصحيح ثم بدأ القتال شديداً ، واستبسل المسلمون ، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم الرماة على جبل عينين ، وكان عددهم خمسين رجلاً بقيادة عبد الله بن جبير ، وأمرهم ألا يغادروا أماكنهم حتى لو رأوا المسلمين تتخطفهم الطير.

وأمام استبسال المسلمين تراجع المشركون ولحقت بهم الهزيمة حتى رأى المسلمون خلاخل نسائهم وأسوقهن أثناء فرارهن وراء الرجال فلما رأى الرماة ذلك قالوا : الغنيمة الغنيمة وتركوا أماكنهم وخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري في الصحيح.

فلما رأى خالد بن الوليد نزول الرماة من الجبل التف حول جيش المسلمين وأعاد الكرة عليهم فلحقت بهم الهزيمة وتناولهم المشركون بالقتل ، وجرح النبي صلى الله عليه وسلم وشج وجهه وكسرت رباعيته وسال دمه على وجه ، فجعل يقول : كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى الإسلام ، فأنزل الله تعالى : (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ) رواه البخاري في الصحيح .

وبعد نهاية المعركة ومغادرة المشركين أرض المعركة بعد أن رأوا أنهم اشتفوا من المسلمين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن الشهداء، فكان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ، ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن فيقدمه في اللحد ، ودفنوا بدمائهم ولم يغسلهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصل عليهم . رواه البخاري في الصحيح .

نتيجة المعركة:

قتل في أحد المسلمين سبعون ولم يؤسر أحد منهم ، وأما عدد قتلى المشركين فكان اثنين وعشرين رجلاً ، وأسر أبو عزة الشاعر فقتله النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان عاهده يوم بدر حين أسره المسلمون ألا يشهد مشهداً آخر مع المشركين.

وقتل في هذه المعركة عم النبي صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب قتله وحشي الحبشي غلام جبير بن مطعم ، كمن له خلف صخرة ورماه بسهم ، روي بسند ضعيف أنه رضي الله عنه مثل به المشركون فجدع أنفه وبقر بطنه وأخرج كبده ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم) فأنزل الله : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) وصح أنه صلى الله عليه وسلم مر بحمزة يوم أحد وقد جدع أنفه ومثل به فقال لولا أن صفية تحزن لتركته حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع فكفنه في نمره . صححه الألباني بهذا اللفظ في السلسلة الضعيفة ٢٨/٢

من الفوائد التي تؤخذ من غزوتي بدر وأحد :

١- الأخذ بمبدأ الشورى فقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في قتال المشركين في بدر وأحد .

٢- في بدر كان اعتراضه صلى الله عليه وسلم لعير قريش ليس من قبيل حملات السلب والنهب ، وإنما استرداد لبعض ما نهبته قريش من أموال المسلمين ، وكذلك محاصرتها مالياً واقتصادياً لإضعاف كيانها وانهاك اقتصادها.

٣- جواز التجسس على العدو ، بعث النبي صلى الله عليه وسلم عيونه لمعرفة أخبار قريش.

٤- يؤخذ من غزوة أحد أن الجهاد يلزم إذا شرع فيه الإمام ، لقوله صلى الله عليه وسلم : إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز وهو حديث صحيح.

٥- أن مخالفة أمر الله ورسوله سبب للخسران في الدنيا والآخرة .

٦- جواز مشاركة النساء في القتال ، فقد صح أن أم سليط وأم سليم وعائشة رضي الله عنهن كن يسقين الماء ويداوين الجرحى ، وكانت فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم تغسل الدم عن وجهه . ومشاركة النساء مشروطة بالتزامهن الحجاب والعفاف وعدم مخالطة الرجال حتى لا تقع بهن فتنة .

غزوة الخندق (الأحزاب)

كانت في شوال من السنة الخامسة للهجرة

سببها : عزم قريش على القضاء على المسلمين قضاءاً مبرماً حيث أنها لم تحقق ذلك في غزوة أحد ولم تستطع تأمين طرق تجارتها إلى الشام .

عدد القوات :

كان عدد قوات المسلمين التي تحصنت بالمدينة ثلاثة آلاف وقد أشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق حول المدينة من الجهة الشمالية وهي مكشوفة من العوائق الطبيعية كالجبال والحرات والأشجار والبيوت ، فحفر المسلمون الخندق ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم من الجهة الشمالية الشرقية حتى الجهة الشمالية الغربية بطول خمسة آلاف ذراع وعرض تسعة أذرع وعمق سبعة أذرع واستغرق الحفر خمسة عشر يوماً .

أما المشركون: فكان عددهم عشرة آلاف من قريش ومن حالفها من الأحابيش وبنو سليم وفزارة وغطفان وأشجع ، وساهم بنو النضير من يهود مساهمة كبيرة في تحريض المشركين على المسلمين وهم بذلك نقضوا ما عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه من عدم التأليب عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم إلى خيبر بعد غزوة بدر وقيل بعد أحد لمحاولتهم قتل النبي صلى الله عليه وسلم .

القتال :

استمر حصار المشركين للمدينة شهراً وقيل عشرين يوماً واستمر الرمي بالنبال والتراشق بها مستمراً طول أيام الحصار وكان شديداً في بعض أيامه حتى شغل النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين عن صلاة العصر ولم تكن صلاة الخوف شرعت بعد.

ولم يقع التحام بالسيوف إلا ما روي من مبارزة علي رضي الله عنه لعمرو بن ود فارس قريش وقتل علي له وكذلك قتل الزبير بن العوام نوفلاً المخزومي وكان هذان المشركان اجتازا الخندق.

وقد أصاب المسلمين من الجهد والمشقة والخوف والرعب ما لا يعلمه إلا الله وقد صور الله تعالى حالهم بقوله تعالى : ﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ ومما زاد من كرب المسلمين وشدتهم خيانة بني قريظة الذين عهد إليهم النبي صلى الله عليه وسلم حماية المسلمين من الجهة الجنوبية الشرقية للمدينة في منطقة العوالي حيث كانت ديارهم وكادت أن تكون القاضية على المسلمين لولا أن الله سلم ولذلك ورد في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتوجه لقتالهم بعد الفراغ من الأحزاب فحاصروهم ونزلوا على حكم سعد بن معاذ فقتل النبي صلى الله عليه وسلم مقاتلتهم وهم أربعمائة وسبي نساؤهم وذراريهم وذلك كما حكم فيهم سعد رضي الله عنه .

نتيجة المعركة :

ويعد مضي شهر من حصار المشركين للمدينة هزمهم الله تعالى حيث سلط عليهم ريحاً وجنداً من جنده عز وجل فاقتلعت الريح خيامهم وأكفأت قدورهم وأطفأت نيرانهم كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً) وقال تعالى : (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً)

وعاد المشركون إلى ديارهم خاسئين وأظهرت لهم هذه المعركة مدى قوة المسلمين وصلابتهم بحيث لم تستطع جموع قريش ومن حالفها اقتحام دار الإسلام ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الخندق (الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم) رواه البخاري في الصحيح .

اشتهد في معركة الخندق ستة من المسلمين منهم سعد بن معاذ أصيب في أكحله ثم توفي بعد ذلك . وقتل ثلاثة من المشركين .

الفوائد :

١- الأخذ بالأسباب وذلك في حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول المدينة لحمايتها من المشركين .

٢- عدم استعلاء الراعي على الرعية ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم في مشاركته صلى الله عليه وسلم في حفر الخندق مع المؤمنين .

٣- ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على صدق نبوته . فيما صح من ضربه صلى الله عليه وسلم الصخرة التي استعصت على المسلمين فعادت كثيباً وتبشيرهم صلى الله عليه وسلم بفتح قصور المدائن واليمن والشام .

٤-

غزوة الحديبية أو (صلح الحديبية)

وكانت في يوم الاثنين مستهل ذي القعدة سنة ست من الهجرة .

والحديبية : اسم بئر تقع على بعد (٢٢ كم) إلى الشمال الغربي من مكة وتعرف الآن بالشميسي وفيها حدائق ومسجد الرضوان .

كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة بقصد العمرة وفي ذلك دليل على قوة المسلمين بعد غزوة الخندق وكان عدد من خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ألف وأربعمائه من الصحابة وحملوا معهم السلاح خوفاً من قتال قريش لهم وأحرم المسلمون من ذي الحليفة بالعمرة وساقوا معهم الهدي سبعين بدنة

وذكر أبو شهبة أن النبي صلى الله عليه وسلم ساق معه الهدي حتى يشعر قريشاً أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً ومعظماً للبيت . السيرة النبوية ٣٢٦/٢ .

ولما وصل المسلمون عسفان بلغهم أن خيل المشركين بقيادة خالد بن الوليد بكراع الغميم على بعد (٦٤كم عن مكة) يريدون أن يمنعوا المسلمين من دخول الحرم ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الخوف فتكون هذه الصلاة أول صلاة للخوف على رأي من أخر غزوة ذات الرقاع إلى ما بعد خيبر.

وكان الموقف السياسي والدعائي لصالح المسلمين لأن قريش إن صدت المسلمين عن الحرم فستقول العرب : إن قريشاً الذين يزعمون أنهم حماة الحرم وأنهم يعظمونه يصدون الناس عن تعظيم البيت والطواف به وإن دخل المسلمون الحرم كان ذلك دليل على قوتهم وعدم مقدرة قريش على منعهم وصدهم عن البيت .

وعسكر المشركون ببلدح (اسم واد أوسطه منطقة الزاهر اليوم مصبه في مر الظهران شمال الحديبية) وبعث النبي صلى الله عليه وسلم في مقر عسكره بالحديبية عثمان بن عفان ليفاوض قريشاً بشأن دخول الحرم ، فتأخر عثمان رضي الله عنه ، وظن المسلمون أنه قتل، فبايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على الموت فبايعوه كلهم إلا الجد بن قيس وكان منافقاً، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى على اليسرى وقال هذه لعثمان . رواه البخاري في الصحيح .

وأرسلت قريش سهيل بن عمرو ليفاوض النبي صلى الله عليه وسلم فاتفق النبي صلى الله عليه وسلم وسهل بن عمرو وكتبت شروط هذا الصلح أو الاتفاق وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بكتابته كما روى ذلك البخاري في الصحيح ونصت الشروط على الآتي:

١- أن يخلوا بين النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وبين البيت الحرام فيطوفون به من العام المقبل ، وأن يقيم النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام فقط معه سلاح الراكب لا يدخلها بغير السيوف في القرب.

٢- أن من أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قريش مسلماً رده إلى مكة ، ومن أتى قريشاً من المسلمين لم يردوه .

٣- أن يقف القتال بين الجانبين وتوضع الحرب لمدة عشر سنوات .

٤- أن بينهم عيبة مكفوفة (أي صدور خالية من الغل) .

٥- أنه لا إسلال ولا أغلال (أي لا تسل السيوف ولا تقع خيانة) .

٦- أن من أحب أن يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم من العرب دخل ومن أحب أن يدخل في عقد قريش دخل ، قد دخلت خزاعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ودخلت بنو بكر في حلف وعقد قريش .

وقد أغضبت هذه الشروط المجحفة المسلمين لكنهم سلموا لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم فلم يفعلوا رغم تكرار النبي صلى الله عليه وسلم الأمر لهم ثلاثاً وكل ذلك رغبة منهم في الرجوع عن هذا الصلح

، فلما رأى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم دخل على زوجته أم سلمة ، فأشارت عليه أن يبدأ هو فيحلق وينحر ففعل ، فلما رأى المسلمون ذلك قاموا فنحروا هديهم وحلقوا رؤوسهم حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً وهم يحلق بعضهم بعضاً غماً . رواه البخاري في الصحيح.

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية عشرين يوماً ثم عاد إلى المدينة ، وفي طريق عودته صلى الله عليه وسلم نزلت عليه سورة الفتح.

وأتاحت الهدنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش للمسلمين فرصة قتال اليهود بخيبر في غزوة خيبر.

واستمرت الهدنة وصلح الحديبية سبعة أو ثمانية عشر شهراً ، ثم نقضت قريش الصلح حيث أعانت حلفاءها بنو بكر ضد خزاعة حلفاء المسلمين على ماء الوتير ، فاستصرخت خزاعة المسلمين وبطلت بذلك المعاهدة ونقض الصلح ، وكان ذلك سبباً لدخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة فاتحاً.

إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:

كان أسلامهما بعد صلح الحديبية ولعله كان بعد أن تخلت قريش وتنازلت عن شرطها وهو : إعادة من جاء مسلماً من قريش إلى مكة وذلك بعد أن جاء أبو بصير مسلماً فرده النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد ، رواه البخاري في الصحيح.

ولجأ أبو بصير إلى سيف البحر أي ساحل البحر ولحق به أبو جندل سهيل بن عمرو وغيره . واجتمعت معه عصابة وتعرضوا لقوافل قريش التجارية يقتلون حرسها ويأخذون أموالها ، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن من أتاه من قريش فهو آمن ، فأرسل إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدموا عليه وكانوا قريباً من الستين أو السبعين . والخبر حسن.

فإسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما كان بعد تنازل قريش عن ذلك الشرط لأنه لم يرد أن قريشاً طالبت بإرجاعها انظر السيرة النبوية الصحيحة للعمري ٤٥٣/٢ .

بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأمم والملوك:

فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في فترة الهدنة مع قريش الرسائل إلى الأمم والملوك يدعوهم إلى الإسلام وهذا من نشره صلى الله عليه وسلم الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية وخارجها ، فأرسل صلى الله عليه وسلم إلى قيصر ملك الروم وإلى كسرى فارس وإلى نجاشي الحبشة وإلى المقوقس حاكم مصر وإلى اليمامة .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كل جبار يدعوهم إلى الله : وسمى منهم كسرى وقيصر والنجاشي وليس بالنجاشي الذي أسلم رواه مسلم في الصحيح .

فتح خيبر

بدأت المواجهة مع اليهود في المدينة بعد نكثهم لمعاهدتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم والتي نصت على إلزام يهود بمناصرة المسلمين وعدم التأليب عليهم والغدر بهم لأن ذلك يخالف النصرة.
فقد أجلى النبي صلى الله عليه وسلم يهود بني قينقاع بعد غزوة بدر وسبب ذلك كما ذكرت الروايات تحرش بعض اليهود بامرأة من المسلمين في سوق بني قينقاع وعقده لطرف ثوبها فلما قامت تكشفت .
فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة ثم نزلوا على حكمه على أن لهم النساء والذرية وله أموالهم ، وأمر بقتل الرجال فكلمه فيهم حليفهم عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وقال : أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة .
فأطلقهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بهم فنفوا وأجلوا إلى أذرعات بالشام.
والرواية فيها ضعف . انظر أكرم العمري / السيرة الصحيحة ٣٠١/١
وإجلاء بني قينقاع ثابت في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما لكن من غير التفاصيل . انظر فتح الباري ٣٢٩/٧ رقم (٤٠٢٨) .
وأما بنو النضير فقد أجلاهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة أحد على رأي الأكثر وورد أن ذلك كان بعد بدر وسبب إجلائهم أنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم

وكان لقتل كعب بن الأشرف وهو من زعمائهم على يد محمد بن مسلمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أحد كما روى ذلك عند البخاري في الصحيح دور في تأليبهم على النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أن النبي حاصرهم بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل إلا الحلقة (أي السلاح)
وحرق النبي صلى الله عليه وسلم وقطع نخل بني النضير حين حاصرهم لهم كما قال تعالى : (مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ)
وثبت كذلك تحريق النبي صلى الله عليه وسلم وقطعه لنخل بني النضير عند البخاري في الصحيح .

وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم إلى الشام وقال ابن سعد إنهم أجلوا إلى خيبر ، وجُمع بين القولين بأن زعمائهم مثل حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة ابن الربيع ذهبوا إلى خيبر وخرج معظمهم إلى الشام.
وأما قريظة فقد تقدم أنهم غدروا بالمسلمين في غزوة الخندق وأمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بالتوجه إليهم بعد الخندق فقد قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة ، رواه البخاري في الصحيح ، وخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، وهو الذي يميل إليه أكثر أهل المغازي، وبعد طول الحصار نزلوا على حكم سعد بن معاذ ظناً منهم أنه سيرأف بهم لأنهم أحلاف قومه الأوس، فحكم فيهم أن تقتل

مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتقسم أموالهم ، فقال صلى الله عليه وسلم : قضيت بحكم الله ، رواه البخاري في الصحيح ، فقتل منهم أربعمائة وأسلم ثلاثة فأحرزوا أنفسهم وسبيت نساؤهم سوى امرأة قتلت لأنها ألقت على خلاد بن سويد رحاً فقتلته.

غزوة خيبر وكانت في محرم / سنة ٧ هـ

خيبر مدينة زراعية تبعد على المدينة شمالاً قرابة ١٦٥كم وهي تنتج التمور والحبوب والفواكه وهي مركز للتجارة والصيرفة ويسكنها أخلاط من العرب واليهود وزاد عدد اليهود فيها بعد إجلائهم من المدينة .

لم يظهر يهود خيبر عداء للمسلمين إلا بعد نزول زعماء بني النضير فيهم فكان دورهم خطيراً في تأليب الأعراب والمشركين على حرب المسلمين في الخندق وقبلها وبعدها.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن عتيك فتمكن من قتل زعيمهم سلام بن أبي الحقيق في داخل قصره وحصنه كما روى ذلك البخاري في الصحيح غير أنه كان لابد من استئصال شأفتهم بقطع إفسادهم وفتنتهم ومكائدهم فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم .

القوات وبدء القتال:

كان عدد جيش المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم ألف وخمسمائة وثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وصلوا خيبر قبل طلوع الفجر ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم الفجر ثم هاجمها بعد أن بزغت الشمس .

وفوجئ الفلاحون بجيش المسلمين فقالوا : محمد والخميس فقال صلى الله عليه وسلم : (الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)

كانت منطقة (النطاة) أول ما فتح المسلمون من خيبر وفُتح حصانها (ناعم والصعب) ثم منطقة (الشق) وسقط حصانها (أبي والنزار) ثم منطقة (الكتيبة) وسقط حصنها المنيع (القموص) ثم منطقة (الوطيح والسلالم) وسقط حصانها .

وكان فتح حصن ناعم على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أن امتنع فتحه على أبي بكر رضي الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم : إني دافع اللواء غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ولا يرجع حتى يفتح له رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي .

النتيجة :

انتصار المسلمين وفتح خيبر وقتل فيها من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً وسبيت نساؤهم وذراريهم ووقع في السبي صفية بنت حيي بن أخطب وأعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها واستشهد من المسلمين خمسة عشر رجلاً وقيل عشرون .

ومما ساعد على فتح خيبر تفرغ المسلمين لقتال اليهود بعد عقدهم الهدنة مع مشركي قريش في الحديبية . وقد أغاظ انتصار المسلمين في خيبر المشركين لعلمهم بحصانة حصون خيبر وكثرة مقاتلة اليهود ، ولذلك ألقى هذا النصر المهابة في قلوب العرب في جميع أنحاء الجزيرة العربية من المسلمين فكفوا كثيراً من عدائهم ولجوء إلى المسالمة والموادعة .

الغنائم :

ثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقسم أراضي خيبر بين المسلمين الفاتحين وإنما أبقاها في أيدي أهلها من يهود على أن يقوموا بزراعتها وينفقوا عليها من أموالهم ولهم نصف الثمرة وللمسلمين النصف وللمسلمين الحق في إخراجهم منها متى ما أرادوا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيخرص عليهم التمر.

ولقد عاد فتح خيبر على المسلمين بالخير والرخاء قال ابن عمر رضي الله عنهما : ما شبعنا حتى فتحنا خيبر . رواه البخاري في الصحيح وقوي بذلك المورد الاقتصادي للمسلمين مما ساهم في مقدرتهم على مقاومة المشركين وقتالهم .

قسم النبي صلى الله عليه وسلم أراضي خيبر قسمين :

١- نصف لما ينزل به من النوائب والوفود .

٢- نصف للمسلمين من أهل الحديبية حيث أنهم شهدوا خيبراً كلهم سوى جابر بن عبد الله وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم أسهم له فكان عدد الأسهم كلها ستة وثلاثين سهماً ثمانية عشر منها لأهل الحديبية للفارس سهمين وللراجل سهم وكان فيهم ثلاثمائة فارس وقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبعض ممن لم يشهد فتح خيبر وهم أهل السفينة الذين قدموا من الحبشة وهم جعفر بن أبي طالب ومن معه عددهم ثلاثة وخمسون أو اثنان وخمسون .

وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً برضى الفاتحين لأبي هريرة وبعض الدوسيين فقد قدموا عليه بخيبر بعد الفراغ من القتال .

عمرة القضاء

وكانت في ذي القعدة من السنة السابعة .

وكان عدد من شهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ألفان سوى النساء والأطفال وكان فيمن شهدها أهل الحديبية ، فمكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة أيام ، وفيها نزل قوله تعالى : (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ .....) الآية . رواه البخاري في الصحيح .

غزوة مؤتة :

كانت في جمادي الأولى من السنة الثامنة للهجرة .

سببها : انفرد الواقدي في بيان سببها حيث ذكر أن شرحبيل بن عمرو الغساني قتل رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي الذي بعثه إلى ملك بصرى وضعف البعض هذا السبب وقال : إن السبب هو: اخضاع القبائل العربية في أطراف الجزيرة العربية الشمالية للإسلام .

القوات :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن أصيب فجعفر أبي طالب فإن أصيب فعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم .

واتخذ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الاحتياط في تعين القادة لأنها المرة الأولى التي يحدث فيها احتكاك المسلمين بدولة الروم القوية والعرب والموالين لها ، ولبعد وجه الجيش.

بلغ عدد جيش الروم الذي نزل مآب (البلقاء) مائة ألف من الروم ، ومائة ألف من نصارى العرب لخم وجذام وقضاعة .

القتال ونتيجة المعركة :

لما رأى المسلمون كثرة جيش الروم وحلفائهم تشاورا في امرهم وذلك بعد نزولهم معان من أرض البلقاء ، ثم تشجعوا بعد أن حرضهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه على الشهادة أو النصر ، والتحم جيش المسلمين بجيش الروم في مؤتة جنوب مدينة الكرك ، واستشهد القائد الأول زيد بن حارثة ثم استشهد الثاني وهو جعفر بن أبي طالب ثم الثالث عبد الله بن رواحة . ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم وطلب من المسلمين أن يختاروا قائداً لهم فوقع الاختيار على خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وأدرك خالد خطورة الموقف وعدم كفاءة المعركة ،فأعاد تنظيم جيشه ، وبدل الميسرة بالميمنة والعكس وجعل مؤخرة الجيش في مقدمته ، فأربكت هذه الخطة جيش الروم وظنوا أن مدداً جديداً أتى للمسلمين واستطاع خالد خلال ذلك أن ينسحب بجيش المسلمين من أرض المعركة بأقل عدد من الخسائر.

ولقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم مقتل القادة الثلاث قبل قدوم الجيش وهو في المدينة وعيناه تذرفان ثم قال : حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم . رواه البخاري في الصحيح / فتح الباري رقم (٤٢٦٢) .

وروى البخاري في الصحيح أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنه وكان ممن شهد الغزوة أنه وقف على جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فوجد فيه خمسين ما بين طعنة وضربة وفي رواية في الصحيح بضعاً وتسعين .

وفي الصحيح أيضاً أن خالد بن الوليد رضي الله عنه ، كسرت في يده يومئذ تسعة أسياف ، فتح الباري رقم (٤٢٦٦) .

وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم ما تحقق فتحاً لأن انسحاب خالد بن الوليد رضي الله عنه يعد فعلاً نصراً وفتحاً بحيث استطاع أن ينجوا بهذا الجيش الصغير بأقل عدد من الخسائر فلم يتجاوز قتلى المسلمين الثلاثة عشر ولا شك أيضاً أن موقعة مؤتة كانت فاتحة المعارك في بلاد الشام التي كانت سبباً في سقوط دولة الروم بالشام بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بزمن يسير.

فتح مكة :

كانت غزوة الفتح في التاسع عشر من شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة.

سببها : نقض قريش لصلح الحديبية وإعانتها لحلفائها بني بكر في عدوانهم على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم على ماء لهم يقال له الوتير فاستنجدت خزاعة بالمسلمين وكان نقض قريش لهدنة الحديبية بعد سبعة أو ثمانية عشر شهراً من عقدها.

القوات :

بعد قدوم عمرو بن سالم الخزاعي يستنجد بالنبي صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام : نصرت يا عمرو بن سالم . رواه ابن اسحاق بسند حسن.

فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهز للقتال ولم يعلمهم بوجهته وعم الأخبار عن قريش وفرض السرية التامة على وجهته التي يريد حربها، حتى لا تتهيأ قريش لقتاله ، واستنفر النبي صلى الله عليه وسلم القبائل حول المدينة أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم ، ولم يتخلف عنه صلى الله عليه وسلم أحد من المهاجرين والأنصار وأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعله حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه من كتابته إلى قريش يخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم يريد غزوهم وبعث به مع امرأة عجوز فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ليقبضوا على المرأة ويأخذوا الكتاب فأدركوها بروضة خاخ وأعطتهم الكتاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحاطب : ما هذا؟ فقال : يا رسول الله ، لا تعجل عليَ إني كنت امرأ ملصقاً في قريش أي حليفاً لهم وليس من أنفسهم ... فأحببت أن اتخذ عندهم يداً ، يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنه قد صدقكم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال : إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . رواه البخاري في الصحيح.

مسير الجيش نحو مكة والقتال :

وصل جيش المسلمين مر الظهران دون علم قريش بتحركاته وفي هذه الأثناء قدم بعض القرشيين مسلمين وهم أبو سفيان بن الحارث أخو النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، وعبد الله بن

أبي أمية بن المغيرة ، وقدم العباس بن عبد المطلب على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الجحفة ، وكان أسلم قبل فتح خيبر.

وفي مر الظهران (الجموم) قرر النبي صلى الله عليه وسلم الزحف على مكة ، وجمعت قريش جموعاً من قبائل شتى ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها من جهة كداء ودخل خالد بن الوليد رضي الله عنه من أسفلها ، وكانت مقاومة القرشيين يسيرة وقتل مع خالد ثلاثة من فرسان المسلمين.

وتشير بعض الروايات إلى قلة قتلى المشركين وأنهم اثني عشر رجلاً.

غير أن رواية موسى بن عقبة في مغازيه وهي أوثق المغازي تشير إلى كثرة القتلى وأنهم كانوا أربعة وعشرين . ويؤيد هذا رواية مسلم في الصحيح ، أن أبا سفيان قال يوم الفتح : يا رسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

وعفا النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة سوى أربعة رجال وامرأتين أهدر دمهم ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة لشدة عداوتهم وجرمهم في حق المسلمين وهم : عكرمة بن أبي جهل ، وعبد الله ابن خطل ، وقيس بن صبابة ، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح والمرأتان فرتني وسارة مولاة ابن خطل وتمكن عكرمة وعبد الله بن سعد من الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلما .

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأهل مكة : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وفي رواية أنه قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء وكلا الروايتين فيها ضعف . وفي رواية حسنة أنه قال بعد أن نزل عليه قوله تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ) . نصبر ولا نعاقب .

وترتب على عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل مكة حفظ أنفسهم من القتل والسبي وإبقاء الأموال المنقولة والأراضي بيد أصحابها وعدم فرض الخراج عليها . فلم تعامل مكة معاملة المناطق المفتوحة الأخرى لقدسيتها فإنها دار النسك ومتعبداً لخلق وحرم الرب .

تطهير مكة من الأوثان :

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتحطيم الأصنام ، وتطهير البيت الحرام منها ، وشارك في ذلك بنفسه صلى الله عليه وسلم ، فكان يهوي بقوسه إليها فتتساقط وهو يقرأ : (وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً) وكانت ثلاثمائة وستين صنماً من الأنصاب . متفق عليه .

وأمر صلى الله عليه وسلم بمحو صور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام وصورة مريم البتول داخل الكعبة فلطخت بالزعفران . متفق عليه .

ودخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة بعد ما أزيلت الصور منها ، فصلى فيها ركعتين وجعل باب الكعبة خلف ظهره وترك عمودين عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة وراءه ، وكانت ستة أعمدة . رواه البخاري في الصحيح .

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة وأعطى مفاتيحها لعثمان بن طلحة من بني شيبة من عبد الدار وكانت مفاتيح الكعبة بأيديهم في الجاهلية .

وهكذا تم تطهير البيت الحرام وقبلة الإسلام من الأوثان وكانت تلك أكبر ضربة للوثنية في الجزيرة العربية حيث كانت مكة مركز الوثنية .

تحطيم الأوثان خارج مكة :

وبعث صلى الله عليه وسلم وهو بمكة خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى نخلة لهدم العزى التي كانت مضر تعظمها فهدمها ، وعمرو بن العاص إلى سواع فهدمه وسعد بن زيد الأشهلي إلى مناة بالمشلل ناحية قديد فهدمها .

وفي فتح مكة نزلت السورة (إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً) السورة .

خطبته صلى الله عليه وسلم بعد الفتح :

وخطب صلى الله عليه وسلم بعد الفتح عدة خطب وفي خطبته الأولى بين دية الخطأ وشبه العمد ، وألغى مآثر الجاهلية وثاراتها واستثنى سقاية الحاج وسدانة البيت فاستبقاهما . رواه أحمد بسند حسن .

وفي خطبته الثانية أبطل أحلاف الجاهلية إلا ما كان من المعاقدة على الخير ونصرة الحق وصلة الأرحام . رواه مسلم في الصحيح وأحمد في المسند وفي خطبته الثالثة أعلن تحريم مكة وصيدها وخلالها وشجرها ولقطتها وتحريم القتال فيها ، وأنها لم تحل له إلا ساعة من نهار فقط . رواه البخاري في الصحيح . وأوضح صلى الله عليه وسلم أنه لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فلم تعد الهجرة من مكة واجبة ولكن حكمها من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام باق إلى يوم القيامة . رواه البخاري في الصحيح .

أما الجهاد فباق إلى يوم القيامة لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس بعد الفتح على الإسلام والإيمان والجهاد ولم يبايعهم على الهجرة .

غزوتي حنين والطائف :

كانت غزوة حنين في العاشر في شهر شوال .

وحنين واد يبعد عن مكة قراية ستة وعشرين كيلاً شرقاً ويعرف اليوم بالشرائع.

سبب الغزوة : استعداد هوزان لقتال المسلمين وحشدها قواتها وطاقتها لمواجهة المسلمين بعد سقوط الزعامة القرشية بمكة وسقوط دولة الشرك بها ولا شك أن هناك صلات قربى ورحم ونسب

ومصالح اقتصادية قديمة بين قريش وثقيف وهوزان ولم تقم هوزان بنصرة قريش في معاركها مع المسلمين لعدم علمها بقوة المسلمين الحقيقة وظنها أن قريشاً قادرة على القضاء على المسلمين ولكن بعد فتح مكة سارعت هوزان لحمل راية الشرك ومواجهة الزحف الإسلامي.

القوات:

حشد زعيم هوزان مالك بن عوف النصري الأموال والنساء والأبناء حتى لا يفر أحد دون ماله وأهله وكان عدد القوات التي حشدها مالك عشرين ألف كما رجح ذلك ابن حجر أو مال إليه ورتب مالك جيشه بشكل صفوف فقدم الخيل والفرسان ثم الرجالة ثم النساء ثم الغنم والإبل وكان مالك في الثلاثين من عمره وقد عرف بالشجاعة وحسن البلاء في القتال

أما جيش المسلمين فكان قوامه عشرة آلاف وهم الذين فتحوا مكة مع النبي صلى الله عليه وسلم وانضم إليهم ألفان من مسلمة الفتح وهذا أكبر جيش يقوده النبي صلى الله عليه وسلم منذ هاجر إلى المدينة .

القتال :

سبقت هوزان المسلمين فسيطرت على وادي حنين وبثوا رجالهم وكتائبهم في أوديته وشعابه فتقدم المسلمون نحو وادي حنين بطلوع الفجر تتقدمهم الخيالة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه .

وتراجعت قوات هوزان أمام تقدم قوات المسلمين تاركين بعض الغنائم التي أنكب عليها بعض جند المسلمين الذين اعتقدوا انتهاء المعركة وغرهم ما هم فيه من الكثرة كما قال تعالى : (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ.....) الآية

وبدأت جولة القتال الثانية وفاجأت هوزان المسلمين بالسهام الكثيفة التي انهالت عليهم من جنبات الوادي وكانوا رماة مهرة كما ذكر ذلك البخاري في الصحيح ، فانكشفت خيالة المسلمين ثم المشاة وفر الطلقاء الذين كان لوجودهم في جيش المسلمين أثر سيء فلم يشارك بعضهم إلا لأجل حيازة الغنائم وكان بعضهم يثبط المسلمين فقد قال كلدة بن أمية أخو صفوان بن أمية الجمحي بعد أن رأى انهزام جيش المسلمين في البداية : ألا بطل السحر . رواه أبو يعلى وسنده صحيح .

وكان المسلمون في أرض مكشوفة تحت أشعة الشمس في النهار وكانت الأرض رملية فكان الغبار يرتفع في وجوههم فيعيق قدرتهم على التحرك في أرض المعركة أما هوزان فاستفادت من تحصنها في الشعاب والأودية .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ثبت في أرض المعركة وكان يركب بغلته (دلدل) وهذا يدل على صموده عليه الصلاة والسلام فالبغلة لا تصلح للكر والفر وهو عليه الصلاة والسلام ينظر إلى فرار المسلمين وإدبارهم عنه ويدفع بغلته للأمام ويقول : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وعمه العباس وأبو سفيان بن الحارث يمسكان بعنان بغلته لئلا تسرع به خلال العدو ، رواه مسلم في الصحيح .

ولم يصمد مع النبي صلى الله عليه وسلم سوى عشرة أو اثني عشرة فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم . رواه ابن اسحاق بسند صحيح .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس ، وكان جهوري الصوت فنادى الناس بالعودة ثم خص الأنصار وأصحاب الشجرة بالنداء ثم خص بني الحارث بن الخزرج بالنداء فتلاحقوا حتى صاروا ثمانين أو مائة واشتد القتال وتواثب المسلمون على قتال هوزان ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته وترجل وأخذ حفنه من تراب أو حصيات فرمى بهم وجوه الكفار وهو يقول : شاهت الوجوه انهزموا ورب محمد . رواه مسلم في الصحيح

وأنزل الله سكينته على رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وأنزل جنوداً لم يروها كما اخبر عز وجل عن ذلك في كتابه .

وبدأت الهزيمة تحل بهوزان فانسحبوا وتبعهم المسلمون يغنمون ويقتلون ويأسرون .

نتيجة المعركة (القتلى ، الأسرى ، الغنائم) :

هزيمة هوزان وقتل منهم أثناء القتل اثنان وسبعون وخلال الهزيمة والفرار ثلاثمائة وقتل عدد آخر منهم في أوطاس وقتل أبو طلحة وحده منهم عشرون رجلاً وأخذ أسلابهم ، وقتل المئات من بني نصر بن معاوية من هوزان .

أما السبي فقد بلغ ستة آلاف من النساء والذراري وأما الإبل فكانت أربعة وعشرين ألفاً والشاة أكثر من أربعين ألفاً.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبس غنائم حنين في الجعرانة لحين عودته من حصار الطائف.

وأما المسلمون فقد استشهد منهم أربعة وجرح عدد منهم فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن أبي أوفى وخالد بن الوليد رضي الله عنهم وبالجملة فقد كانت إصابات المسلمين خفيفة ولذلك توجه لهم النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة إلى حصار الطائف.

حصار الطائف:

وكان في العشرين من شوال من السنة الثامنة للهجرة .

سببها : بعد أن فرق الله تعالى جموع هوزان بنصره المبين للمسلمين اتجه النبي صلى الله عليه وسلم نحو الطائف التي تحصنت فيها ثقيف الذين كانوا على شركهم ومعاوضتهم للإسلام ولجأ إليهم أيضاً زعيم هوزان المنهزمة مالك بن عوف النصري وجهزت ثقيف الطائف بما تحتاجه من الأقوات والسلاح.

الحصار والقتال

نزلت قوات المسلمين قريباً من حصون الطائف واستمر حصارهم لها بضع عشرة ليلة وكانت قوات المسلمين في متناول سهام ثقيف فأصيب بعضهم فتحولوا إلى الموضع المعروف اليوم بمسجد عبد

الله ابن عباس والطائف قديماً كانت إلى الجنوب الغربي من المسجد وكان القتال تراشقاً بالنبال ، واستخدم المسلمون الآلات لضرب الحصون منها آلة من الخشب الثخين المغلف بالجلود مركبة على عجلات مستديرة احتموا بها من السهام ووصلوا إلى الأسوار ليثقبوها ، ولكن ثقيف ألقت عليهم قطع الحديد المحماة ، فأحرقت الدبابة ، وضرب المسلمون سور الطائف بالمنجنيق .

وحرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بستانين العنب والنخيل في ضواحي الطائف للضغط على ثقيف التي ناشدته ألا يفعل.

وكثرت جراحات المسلمين واستشهد منهم اثني عشر رجلاً ، ولم يقتل من المشركين سوى ثلاثة بسبب امتناعهم بالحصون والأسوار.

فك الحصار وعودة المسلمين إلى الجعرانة:

صح أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد بحصار الطائف فتحها بل كان يريد كسر شوكة ثقيف وإعلامها بأن بلدها وديارها أصبحت في قبضة المسلمين ، وأنهم متى شاؤوا دخلوها .

فك النبي صلى الله عليه وسلم الحصار عن الطائف بعد أن كثرت جراحات المسلمين وقتلهم ورأى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا فائدة من استمرار الحصار على الطائف وهي بلد أصحبت محاطة بالإسلام وكان حريصاً على إسلام ثقيف لتكون عوناً للإسلام والمسلمين ففك النبي صلى الله عليه وسلم الحصار عن الطائف وعاد جيش المسلمين إلى الجعرانة .

قسمة غنائم حنين:

وفي الجعرانة قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين وكان أخر تقسيمها حتى رجوعه من الطائف أملاً في قدوم هوزان مسلمين فلما تأخروا قسمها .

ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين على المقاتلين الذين يستحقونها ولم يخمسها بل قسمها على الطلقاء من مسلمة الفتح وعلى الأعراب تأليفاً لقلوبهم على الإسلام فأعطى عيينة بن حصن الفزاري من زعماء غطفان مائة من الإبل وكذلك أعطى مثلها للأقرع بن حابس التميمي من زعماء تميم وكذلك علقمة بن علاثة والعباس بن مرادس وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وأبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية من عظماء قريش ومن مسلمة الفتح .

وأثرت هذه الأعطيات فيهم وحسن إسلامهم سوى عيينة بن حصن كما يقول ابن حزم .

وفي صحيح مسلم عن صفوان بن أمية قال: لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وأنه لأبغض الناس إلي ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ .

أما الأنصار فقد أثر في قلوبهم ووجدوا في أنفسهم أنهم قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعطوا من الغنائم وأعطيت لأناس من قريش فقال بعض أحداثهم : إذا كانت الشدة فنحن ندعى وتعطى الغنائم غيرنا ، وقالوا : يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، رواه البخاري ومسلم في الصحيح.

فجمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في قبة من أدم وقال : إن قريشاً حديثوا عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أجبرهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم، لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار شُعباً لسلكت شُعب الأنصار، فلما تبين للأنصار وجه الحقيقة في قسمته صلى الله عليه وسلم الغنائم وأنه وكلهم إلى إيمانهم وإخلاصهم لله تعالى في جهادهم ، وعدم إيثارهم الدنيا قالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً. رواه البخاري في الصحيح.

إسلام هوزان :

وبعد أن قسم النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم جاءه وفد هوزان يعلنون إسلامهم ، ويطلبون من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرد عليهم أموالهم وسبيهم ، فخيرهم النبي صلى الله عليه وسلم بين السبي أو المال فاختاروا السبي . فخطب النبي صلى الله عليه وسلم في المسلمين فقال: إن إخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين ، وإني أردت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه أول ما يفيء الله علينا . فيفعل ، فقال الناس: طيبنا يا رسول الله لهم . رواه البخاري في الصحيح.

وسر النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام هوزان الذين أسلم زعيمهم مالك بن عوف النصري .

وأسلم بعض زعماء ثقيف مثل: عروة بن مسعود الثقفي الذي لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو في طريقه إلى المدينة وأعلن إسلامه وعاد إلى الطائف ودعا ثقيفاً إلى الإسلام وأسلمت ثقيف بعد قدوم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك وبعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى صنهم اللات فهدمه.

غزوة تبوك:

كانت في رجب من السنة التاسعة للهجرة.

بعد عودته صلى الله عليه وسلم من حصار الطائف بستة أشهر تقريباً .

تبـــــوك : مدينة تقع شمال الحجاز تبعد عن المدينة (٧٧٨ كم) وكانت من ديار قضاعة تحت سلطة الروم.

سبب الغزوة : نشر الإسلام في أنحاء الجزيرة العربية وإيصال دعوته إلى دولة الروم النصرانية وإظهار قوة المسلمين أمام الروم وحلفاؤهم العرب.

الجيش والقوات:

كانت غزوة تبوك في وقت كان الحرفية شديداً والناس يرغبون في الخلود إلى الراحة والظل والاستمتاع بأشجارهم ونخلهم وثمارهم وكانت وجه الجيش بعيدة والعدو شديد القوة والبأس لذلك كان تجهيز الجيش يتطلب نفقات كبيرة لتزويده بالزاد والعتاد لذلك حث النبي صلى الله

عليه وسلم على المساهمة في إعداد هذا الجيش حيث أن قدرات كثير من المسلمين عاجزة عن تموين مثل هذا الجيش لقلة ذات اليد فقال صلى الله عليه وسلم : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، وكان لعثمان بن عفان رضي الله عنه النصيب الأوفر من ذلك فجهز ذلك الجيش. رواه البخاري في الصحيح .

وقدم فقراء المسلمين ما يقدرون عليه ، فجاء خيثمة الأنصاري بصاع تمرة فلمزه المنافقون رواه البخاري في الصحيح.

وجاء أبو عقيل بنصف صاع تمر فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء فنزلت الآية : (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ).

ونزلت الآيات القرآنية تحث المسلمين على التغير والخروج للجهاد وتحذر من التخلف قال تعالى : (انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ) .

وبلغ جيش المسلمين ثلاثون ألفاً وهو أكبر جيش قادة النبي صلى الله عليه وسلم في حياته.

موقف المنافقين :

تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون والأعراب وبعض أهل الأعذار وكان موقف المنافقين هو التثبيط للمؤمنين وإشاعة روح التخاذل فكانوا يسخرون من المؤمنين في نفقاتهم ويثبطونهم عن الجهاد كما قال تعالى : وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) وكانوا يعتذرون من النبي صلى الله عليه وسلم بالأعذار الكاذبة فيعذرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلامه الله تعالى في ذلك كما قال تعالى : (عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ)

وقال تعالى : (لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)

ووصف الله تعالى بعض الأعراب وأهل المدينة بالنفاق كما قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) ومن مواقف المنافقين المخزية بناؤهم مسجد الضرار ليفرقوا كلمة المسلمين ويصرفوهم عن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والاجتماع فيه وليدبروا المؤمرات ويضعوا الخطط للقضاء على الإسلام والمسلمين في هذا المسجد ، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي فيه بعد رجوعه من تبوك فحذره الله تبارك وتعالى من ذلك وبين أن هذا المسجد أسس على الغدر والخيانة والكفر والفسق . كما قال تعالى: (لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ).

الثلاثة الذين خلفوا:

وتخلف عن الخروج إلى تبوك ثلاثة ممن ليسوا من أهل الأعذار وليسوا من أهل النفاق فقد عرفوا بصدق إيمانهم لكن ثبطهم حب الدنيا والخلود إلى الراحة والنعيم وهم :

كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي كلهم من الأنصار.

وبعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوة أتو إليه يعتذرون من ذنبهم وأنهم إنما تخلفوا من غير عذر شرعي فنهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم وأمر نساؤهم باعتزالهم إلا هلال بن أمية فإنه كان شيخاً كبيراً فبقيت زوجته معه لخدمته حتى نزلت التوبة عليهم بعد خمسين ليلة في قوله تعالى : (وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) أما بقية المؤمنين فقد سارعوا للخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم وحزن بعضهم واغتم لعدم قدرته على الخروج كما قال تعالى عنهم وكانوا من أهل الأعذار لمرضهم ولقة ذات اليد: (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ) .

الخروج إلى تبوك :

وبعد أن هيأ النبي صلى الله عليه وسلم جنده خرج متوجهاً نحو تبوك واستعمل على المدينة علي بن أبي طالب وكره رضي الله عنه عدم الخروج للجهاد فقال : يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غيره أنه لا نبي بعدي. رواه البخاري في الصحيح .

وكان دليله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك علقمة بن الفوغاء الخزاعي.

وبعد وصول الجيش إلى تبوك لم يلق المسلمون كيداً ولم يحدث فيها قتال ولم يلق المسلمون جموع الروم والعرب المتنصرة .

وجاء بأسانيد فيها ضعف أنه صلى الله عليه وسلم بعث وهو : بتبوك خالد بن الوليد مع عدد من الصحابة إلى دومة الجندل وكان عددهم أربعمائة فارس. وأسر خالد ملك دومة الجندل أكيدر الكندي وكان يصطاد خارجها وغنم المسلمون منها غنائم ، وصالح النبي صلى الله عليه وسلم أكيدر على الجزية .

و صالح صلى الله عليه وسلم ملك أيلة (العقبة) على الجزية وأهدى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء وبرداً (متفق عليه) .

العودة إلى المدينة :

مكث جيش المسلمين بتبوك عشرين ليلة ثم عاد إلى المدينة .

وقد حققت غزوة تبوك أهدافها بإظهار قوة المسلمين أمام الروم ونصارى العرب بل تم اخضاع عدد من مناطق العرب الموالية للروم لسلطان المسلمين وأدت الجزية للنبي صلى الله عليه وسلم .

وأعد النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته جيشاً آخر لاستكمال وإخضاع مناطق وقبائل الجزيرة العربية الشمالية النصرانية الموالية للروم ونشر الإسلام فيها وكان هذا الجيش هو جيش أسامة بن زيد وتوفي صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى وجهته فأنفذه أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

الأحداث الأخيرة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم :

١) عام الوفود :

كان العام التاسع من الهجرة العام الذي جاءت فيه وفود العرب من جميع أنحاء الجزيرة العربية مسلمة منقادة تبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام وذلك بعد أن أعز الله الإسلام وارتفعت رايته وقضي على أهم مراكز الشرك في مكة والطائف وما حولها والتي كانت تعظمها العرب وأزيل ما بها من الأصنام والأوثان وقضي على قوى الكفر الأخرى وتم تحجيمها كاليهودية والنصرانية وأصبحت كلمة الله هي العليا .

وقد ذكرت المصادر التاريخية أخبار قدوم أكثر من ستين وفداً على النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الكثير من تلك الأخبار وردت بأسانيد ضعيفة .

ومن الوفود التي وردت أخبار قدومها على النبي صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة وثابتة ، وقد بني تميم وفيهم نزل قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ) الآية وذلك حين رفعوا أصواتهم في ندائه صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري في الصحيح .

وفي صحيح البخاري أيضاً ذكر وفد عبد القيس وكانت ديارهم في البحرين وهجرووفد بني حنيفة وديارهم في اليمامة بنجد وفيهم مسيلمة الكذاب الذي اشترط لإسلامه أن يكون له الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد فقال : لو سألتني هذه ما أعطيتكها . رواه البخاري في الصحيح . وذكر البخاري وفد نجران وأن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام فأبوا فدعاهم إلى المباهلة حين نزلت آية المباهلة وهي قوله تعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) وكذلك الآيتان قبلها (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ) الآيتان . فأرادوا المباهلة ثم عدلوا عنها خوفاً أن تصيبهم اللعنة ، وصالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية وذكر البخاري قدوم وفد الأشعريين ودوس وطيء وغيرها .

وعلى أي حال فإن العام التاسع كان العام الذي توحدت فيه أنحاء الجزيرة العربية سياسياً ودينياً لأول مرة في تاريخ العرب واستطاع الإسلام أن يوحد قبائل العرب المتناحرة المتنافرة .

٢) حج أبي بكر بالناس

وفي السنة التاسعة حج أبو بكر بالناس ولم يحج بهم النبي صلى الله عليه وسلم كذلك لم يحج النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح بل اعتمر ورجع إلى المدينة وحج المسلمون والمشركون سوياً عام ثمان من الهجرة .

وفي العام التاسع أمرَّ النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الحج فخرج في ذي الحجة إلى مكة

وقد انفرد الواقدي بذكر عدد من حج مع أبي بكر وأنهم كانوا ثلاثمائة من الصحابة ومعهم عشرون بدنة .

وبعد خروج أبي بكر رضي الله عنه نزلت سورة براءة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بصدرها ليعلمها الناس في موسم الحج يوم النحر ، ولما رأى علياً قال : أأمير أم مأمور؟ قال : بل مأمور فمضيا أبو بكر أميراً على الحج وعلي يبلغ ما أمر به .

وذكر علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه بأربع لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يحج بعد هذا العام مشرك ، ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فعهده إلى مدته . رواه أحمد وقال ابن كثير اسناده جيد .

وتضمنت سورة براءة :

قطع العلائق مع المشركين وأتباعهم.

ومنعت حج المشركين بالبيت الحرام وأعلنت الحرب عليهم .

وأمهلت المعاهدين حتى انتهاء مدة عهدهم .

وأمهلت من له أجل غير محدود أو أجل محدود قد نقضه أربعة أشهر تبتدئ في العاشر من ذي الحجة ، وتنتهي بنهاية العاشر من ربيع الآخر .

وأمهلت من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم ، أي خمسين يوماً تنتهي بنهاية المحرم ، فإذا انتهت مدتهم صاروا في حالة حرب مع المسلمين .

٣) حجة الوداع :

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، واختلف في السنة التي فرض فيها فقيل في السادسة وقيل التاسعة ، وقيل العاشرة وأقربها إلى الصواب كما قال الشيخ الألباني التاسعة أو العاشرة.

وحجة الوداع هي الحجة الوحيدة التي حجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلى المدينة وخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة لخمس بقين من ذي القعدة وكان عدد من حج مع النبي صلى الله عليه وسلم كما قدرهم البعض بأربعين ألفاً أو مائة ألف من المدينة ومن خارجها أتوا إليها ليحجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم ويأتموا به .

ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة نزل عليه قوله تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ رواه البخاري في الصحيح.

وقال صلى الله عليه وسلم للناس : لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه . رواه مسلم في الصحيح من حديث جابر وجاءت حجته صلى الله عليه وسلم مليئة بالأحكام والآداب والوصايا وقد أفردها بعض العلماء في مصنف ومنهم الشيخ الألباني رحمه الله تعالى في كتابه : حجة النبي صلى الله عليه وسلم .

وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة الوداع يوم عرفة ، وكان مما نبه عليه فيها قوله صلى الله عليه وسلم : إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي هاتين موضوع .... الخ .

وفاة النبي صلى الله عليه وسلم :

مرض النبي صلى الله عليه وسلم بعد حجة الوداع بثلاثة أشهر ، وكانت بدء شكواه في بيت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية وهو المعتمد كما قال ابن حجر رحمه الله .

واستمر مرضه صلى الله عليه وسلم عشرة أيام وقيل ثلاثة عشر يوماً وصح أن شكواه عليه الصلاة والسلام ابتدأت من العام السابع للهجرة عقب فتح خيبر بعد أن تناول قطعة من شاة مسمومة قدمتها له زوجة سلام بن مشكم اليهودية بالرغم من أنه صلى الله عليه وسلم لفظها لكن السم أثر عليه . رواه البخاري في الصحيح .

وطلب النبي صلى الله عليه وسلم من زوجاته أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فرضين فكانت تمرضه وتمسح بيده عليه لبركتها وتقرأ عليه المعوذتين . رواه البخاري في الصحيح .

ولما ثقل صلى الله عليه وسلم واشتد مرضه أمر أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس فصلى بهم أبو بكر . رواه ابن اسحاق بسند صحيح .

وفي صلاة الفجر يوم وفاته صلى الله عليه وسلم كشف ستر عائشة عنها ونظر إلى المسلمين وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم وضحك وكأنهم يودعهم ، فظن المسلمون أنه يريد الصلاة فتأخر أبو بكر ، فأشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتموا صلاتهم ودخل الحجرة وأرخى الستر .

ودخلت عليه ابنته فاطمة رضي الله عنها فقالت : واكرب أبتاه فقال لها : ليس على أبيك كرب بعد اليوم .

وكان صلى الله عليه وسلم يدخل في إناء الماء فيمسح وجهه ويقول : لا إله إلا الله إن للموت سكرات ، وكان يقول: مع الذين أنعم الله عليهم ويقول : اللهم في الرفيق الأعلى ، وقبض صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجر عائشة رضي الله عنها حين اشتد الضحى وقبل زوال الشمس ودخل عليه أبو بكر وكان غائباً في السنح (وهي منطقة العوالي حالياً)، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه يقبله ، ثم خرج إلى الناس وهم ما بين منكر وفاته صلى الله عليه وسلم وما بين مصدق ، وقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر فتكلم وقال : من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن

الله حي لا يموت ، قال الله : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ) فلما سمع عمر رضي الله عنه الآية سقط إلى الأرض لا تحمله قدماه وكأنه لم يسمعها قبل ذلك . رواه البخاري في الصحيح .

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من العام الحادي عشر للهجرة وكان عمره صلى الله عليه وسلم ثلاثة وستين سنة . رواه البخاري في الصحيح .

وفي اليوم التالي يوم الثلاثاء غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس وعلي والفضل وقثم ابن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وأوس بن خولي رضي الله عنه غسلوه في ثيابه ثم كفن في ثلاث أثواب بيض سحولية من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة ثم حفر له صلى الله عليه وسلم في حجرة عائشة رضي الله عنه ثم دخل الناس أرسالاً يصلون عليه من غير إمام . ثم دفن صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء .

جزاه الله خير ما جزى نبياً عن أمته وجمعنا به في مستقر رحمته . آمـــــــــين .

التاريخ الإسلامي

التاريخ لغة : الإعلام بالوقت .

واصطلاحاً : هو العلم الذي يبحث عن الوقائع والحوادث في الزمان من حيث الوقت والتعليل.

أهمية دراسة التاريخ :

قال تعالى : (وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) .

قال السخاوي : وكفى بهذا دليلاً على جلالته علم التاريخ وفضله وفخامة قدر صاحبه ونبله [1]

من فوائد دراسة التاريخ :

١- التأسي والاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبصحابته الكرام والخلفاء الراشدين والسلف الصالح من بعدهم .

٢- معرفة السنن الربانية في الكون وهي سنن خارقة كمعجزات الأنبياء وجارية كالليل والنهار وسنن متعلقة بوعد الله ووعيده كنصرته لأوليائه وعدم تغيير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ومداولة الأيام بين الخير والشر والصراع بين الحق والباطل .

٣- معرفة بعض الحقائق مثل :

---

(١) انظرها تقدم في الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي ص ٣٦ ومنهج كتابة التاريخ للسلمي ص ٥٢-٥٥

١. أنَّ الأصل في البشرية التوحيد لا الوثنية ، قال تعالى : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ) وقال صلى الله عليه وسلم عن ربه أنه قال : وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين) رواه مسلم في الصحيح ، وقال صلى الله عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

٢. أن الإنسان لا تكفيه هداية العقل بل لا بد له من الوحي الإلهي .

٣. أن الإسلام هو دين الله في كل زمان ومكان وهو دين الأنبياء جميعاً .

٤. أن الصبر ومفتاح الفرج والشواهد التاريخية دالة على ذلك .

٥. أن العقيدة الصحيحة كانت الأصل ثم دخلت عليها البدع والانحرافات .

٦. معالجة بعض الأمراض والأخطاء الاجتماعية والدينية والسياسية والعسكرية وعلاجها وذلك بمعرفة تاريخ الشعوب وما مرت به من نكبات ونكسات وأسباب ذلك وكيف كان العلاج.

أهم مصادر التاريخ :

١- كتب فتوح البلدان ومنها :

فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم عبد الحكم ت ٢٥٩هـ وهو صدوق وفتوح البلدان للبلاذري ت ٢٧٩هـ .

٢- كتب تواريخ المدن مثل :

تاريخ مكة للأزرقي ت ٢٤٤هـ

وتاريخ مكة للفاكهي ت بعد ٢٧٢ هـ

وتاريخ المدينة لابن شبه ت ٢٦٢هـ

وتاريخ دمشق لابن عساكر ت ٥٧١

٣- كتب التاريخ العام مثل :

تاريخ خليفة بن خياط ت ٢٤٠

وتاريخ الرسل والملوك للطبري ت ٣١٠هـ

والبداية والنهاية لابن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ

٤- كتب الطبقات مثل :

الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد ت ٢٣٠هـ

٥- كتب الأنساب مثل

أنساب الأشراف للبلاذري ت ٢٧٩هـ

عصر

الخلافة الراشدة

الخلافة الراشدة :

١- خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

نسبه : هو عبد الله بن أبي قحافة (عثمان) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي. يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجد السادس مرة بن كعب

مولده : ولد بمكة بعد عام الفيل بعامين وأشهر .

لقبه : لقب بالصديق وروى الحاكم وصححه ووافقه الذهبي أنه لقب بذلك بعد تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في خبر الإسراء به حين كذبته قريش .

صفته : كان أبيض البشرة ، نحيف الجسم ، معروق الوجه ، قليل شعر الوجه غائر العينين بارز الجبهة ، جعد الشعر .

واشتهر في الجاهلية بحميد الأخلاق، وحسن المعاشرة ، وامتناعه من شرب الخمر ، وعلمه بأنساب العرب وكان يعمل بتجارة البز (الثياب).

اسلامه: تقدم أنه كان أول من أسلم من الرجال وقام رضي الله عنه بالدعوة فأسلم على يديه عدد من كبار الصحابة مثل : عثمان بن عفان والزبير بين العوام وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وغيرهم.

وكان يشتري الرقيق المسلم فيعتقهم وممن أعتق بلال بن رباح رضي الله عنه

فضائله : هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وروى البخاري في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا في زمن النبي لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان .

وعنده أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحد ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم الجبل فقال : اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان .

مواقفه مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟

كان أبو بكر رضي الله عنه ممن ناصر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أول من آمن به ودافع ونافح عنه قبل الهجرة ثم هاجر معه وكان ثاني اثنين في الغار حين أحاط بهم المشركون وبعد الهجرة شهد المشاهد والغزوات كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وأمره النبي صلى الله عليه وسلم على الحج سنة تسع وجعله إمام المسلمين في الصلاة في مرضه صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم : ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر . رواه أحمد بسند صحيح .

توليه الخلافة :

اجتمع الأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة له صلى الله عليه وسلم فهم الذين ناصره وآووه وضحوا بأنفسهم وأموالهم لنصرته ولما علم المهاجرون بذلك لحقوا بالسقيفة وفي السقيفة حدث نقاش بين المهاجرين والأنصار في أحقية كل منهم في خلافة النبي صلى الله عليه وسلم فقال خطيب الأنصار : نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم معشر

المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنوننا عن الأمر فتكلم أبو بكر بلسان المهاجرين وذكر منزلة قريش من العرب وأن لهم منزلة ليست لغيرهم وأن العرب لا يجتمعون إلا على رجل منهم وأنهم لا ينكرون فضل الأنصار وبلاءهم من الإسلام وحقهم الواجب ثم قال أبو بكر رضي الله عنه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء فاتقوا الله ولا تصدعوا الإسلام . رواه البخاري .

وطرح عدد من الأنصار تعيين أمرين من قريش ومن الأنصار فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء . وقال عمر بن الخطاب رضي الله : سيفان في غمد واحد إذا لا يصلحان . رواه الترمذي وصححه الألباني .

وأنهى زيد بن ثابت رضي الله عنه الخلاف فقال:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين ونحن أنصارهم كما كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : جزاكم الله خيراً من حيٍّ يا معشر الأنصار وثبت قائلكم : والله لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم . رواه أحمد بسند صحيح .

وبذلك تنازل الأنصار عن حقهم في الخلافة بعد أن تبين لهم الحق واستقر الرأي على أن يكون الخليفة من المهاجرين فرشح أبو بكر أحد اثنين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة فقال عمر : بل نبايعك أنت . فأنت سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري في الصحيح .

وروى النسائي بسندحسن أن عمر ذكرهم بفضل أبي بكر وأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يصلي بالناس .

ثم ذكرهم بموقفه من الهجرة ثم بايعه وبايعه المهاجرون ثم الأنصار . رواه البخاري في الصحيح .

وكانت بيعة أبي بكر في السقيفة هي البيعة الخاصة وكانت يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة ١١ هـ ثم بويع يوم الثلاثاء البيعة العامة في المسجد . رواه البخاري في صحيحه .

وبايع أبو بكر رضي الله عنه الناس على السمع والطاعة لله ولكتابه ثم للأمير . رواه الحارث بن أسامة بسند حسن .

وبايع علي بن أبي طالب أبا بكر في البيعة العامة وكان قد وجد في نفسه لأنه لم يشاور ذلك لاستعجال المهاجرين والأنصار في اختيار الخليفة خوف الفتنة وكان علي رض الله عنه منشغلاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه وقد ذكر علي فضل أبي بكر وأحقيته بالخلافة حين بايعه . رواه موسى بن عقبة بسند صحيح .

وعند البخاري في الصحيح أن بيعة علي رضي الله عنه لأبي بكر تأخرت ستة أشهر وأنه لم يبايع إلا بعد وفاة زوجته فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت فاطمة قد غضبت على أبي بكر حين رفض إعطاءها ميراث النبي صلى الله عليه وسلم مما أفاءه الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر وقال لها أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا نورث ما تركناه صدقة) وجمع العلماء بين ما ورد من عدم مبايعة علي إلا بعد ستة أشهر وبين ما صح من مبايعته في اليوم الثاني في البيعة العامة في المسجد بان بيعته رضي

الله عنه بعد ستة أشهر كانت تأكيداً لبيعته الأولى . لأن انقطاعه عن أبي بكر مدة ستة أشهر وجلوسه مع زوجته فاطمة يواسيها بوفاة أبيها جعل الناس يظنون عدم مبايعته لأبي بكر فبايعه مرة أخرى قطعاً لذلك الوهم

أهم أعمال أبي بكر رضي الله عنه :

فقد جهز النبي صلى الله عليه وسلم جيش أسامة بن زيد قبل مرضه صلى الله عليه وسلم بيومين فلما توفي صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب تردد البعض في إرسال ذلك الجيش ولكن أبا بكر أصر على انفاذه ففادر الجيش المدينة أواخر شهر ربيع الأول سنة إحدى عشر للهجرة ومكث أربعين يوماً ثم عاد منتصراً حيث أدب بعض القبائل الموالية للروم مثل قضاعة .

من فوائد انفاذ جيش أسامة :

١- إعادة الهيبة للمسلمين في قلوب الروم وعرب الشام .

٢- هيبة القبائل المرتدة من المسلمين وشعورهم بقوة دولة الإسلام .

٢- حروب الردة :

لقد انتشر الإسلام في جميع أنحاء الجزيرة العربية في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن بعض القبائل البعيدة من الحجاز لم يتمكن الإيمان من قلوبهم لقصر المدة بين إسلامهم ووفاته صلى الله عليه وسلم لذلك ارتدت معظم قبائل العرب خاصة البعيدة من الحجاز وثبت على الإسلام قبائل الأوس والخزرج وقريش وثقيف ومزينة وجهنية وغفار وأشجع وأسلم وعبد القيس بالبحرين وبعض قبائل اليمن مثل بجيلة والنخع والسكون وزبيد .

قال ابن حجر : قال القاضي عياض : كان أهل الردة ثلاثة أصناف صنف عادوا إلى عبادة الأوثان ، وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي ، وصنف ثالث استمروا على الإسلام لكنهم جحدوا الزكاة وتأولوا بأنها خاصة بزمن النبي صلى الله عليه وسلم وهم الذين ناظر عمر أبا بكر في قتالهم . فتح الباري ٢٧٦/١٢ / كتاب استتابة المرتدين

ومن القبائل التي ارتدت : بنو حنيفة بنجد وسليم وهذيل وأسد وغطفان وعبس وذبيان وطيء وقضاعة وكلب ومذحج وكنده .

موقف أبي بكر من المرتدين :

لقد عزم الصديق رضي الله عنه على قتال أهل الردة وقد ناقش عمر رضي الله عنه الصديق في قتال مانعي الزكاة فقط من المرتدين

فقال لأبي بكر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه

وحسابه على الله ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً . وفي رواية عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتالهم على منعها .

فقال عمر : فو الله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر فعرفت أنه الحق . رواه البخاري في الصحيح .

قتال المرتدين :

كانت أولى المواقع التي خاضها الصديق مع المرتدين هي :

مواقع : ذي حسي – ذي القصة – الأبرق – وقاتل فيها قبائل عبس وذبيان ومرة ناحية نجد قرب المدينة .

وكانت قبل قدوم جيش أسامة بن زيد ، ثم عقد الصديق احد عشر لواءاً لقتال المرتدين وأمر قادته بدعوة المرتدين أولاً بالدخول في الإسلام وأن يؤذنوا فإذا أذنوا ارجع عنهم :

أما المواقع التي جرى فيها اخضاع المرتدين فهي :

١) بزاخة : وقضي فيها على ردة قبائل عبس وذبيان وأسد وفزارة بقيادة مدعي النبوة طليحة الأسدي وكان قائدها خالد بن الوليد رضي الله عنه .

٢) البطاح : وقضي فيها على ردة بني تميم بزعامة سجاح التميمية ومالك بن نويرة بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه .

٣) معركة اليمامة . بقيادة خالد بن الوليد وقضى فيها على ردة اليمامة وبني حنيفة بزعامة مسيلمة الكذاب مدعي النبوة وكان عدد قتلى المرتدين فيها عشرة آلاف وقيل إحدى وعشرون ألفاً ، منهم زعيمهم مسيلمة الكذاب ، وقتل فيها من المسلمين ما بين أربعمائة وخمسين إلى ألف وسبعمائة وقيل ألف ومائتان فيهم ثلاثون أو خمسون من حملة القرآن .

٤) القضاء على ردة البحرين بقيادة العلاء الحضرمي وغنم فيها المسلمون غنائم كثيرة .

٥) القضاء على ردة عمان ومهرة بزعامة لقيط الأزدي الملقب بالجلندي ، وكانت بقيادة عكرمة بن أبي جهل وقتل فيها من المرتدين عشرة آلاف .

٦) القضاء على ردة اليمن بزعامة الأسود العنسي مدعي النبوة وكانت ردته في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي أول ردة في الإسلام . رواه البخاري في الصحيح . وقتل الأسود العنسي قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من أهل اليمن فأرسل الصديق للقضاء على ردة اليمن عكرمة بن أبي جهل توجه إليها بعد قضائه على ردة عمان ومهره وساانده المهاجرين أبي أمية وتمكنا من القضاء على ردة اليمن والقبض على قيس بن المكشوح وعمرو بن معدي كرب وأرسلا إلى المدينة . وعاد إلى الإسلام وحسن أسلامهما .

القضاء على ردة حضر موت :

حيث قضى عكرمة بن أبي جهل والمهاجر بن أبي أمية على ردة حضرموت وكانت بزعامة الأشعث بن قيس الكندي فهزم الأشعث وأسر وبعث به إلى المدينة وعاد إلى الإسلام وكانت له مواقف محمود في موقعتي القادسية واليرموك .

نتائج حروب الردة :

١- إعادة وحدة الدولة الإسلامية .

٢- تجريد الأعراب من السلاح .

٣- اكتساب المسلمين المزيد من الخبرات القتالية .

٤- زيادة معرفة القبائل العربية بالإسلام وقوته .

٥- جمع القرآن بعد موقعة اليمامة حيث قتل فيها عدد كثير من القراء.

٣- جمع القرآن :

روى البخاري في الصحيح أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرض على أبي بكر رضي الله عنه بعد موقعة اليمامة أن يجمع القرآن لأن القتل استحر بالقراء وتردد الصديق في بداية الأمر لأن هذا الأمر يفعله النبي صلى الله عليه وسلم حتى شرح الله صدره . فأمر زيد بن ثابت يجمعه لأنه شاب عاقل غير متهم وكان ممن كتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقام زيد بتتبع القرآن وجمعه من العسب (جريد النخل) واللخاف (الحجارة الرقاق) وصدور الرجال حتى وجد آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري وهي قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾

وكتب زيد القرآن في القراطيس (الأوراق) قال علي رضي الله عنه : أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر رحمه الله على أبي بكر هو أول من جمع بين اللوحين . رواه ابن أبي داود في المصاحف وصحح إسناده ابن كثير وحسنه ابن حجر .

الفتوحات في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

فتوح العراق :

بعد فراغ خالد بن الوليد رضي الله عنه من القضاء على ردة مسيلمة الكذاب من اليمامة وقتل مسيلمة أمره أبو بكر بالتوجه إلى العراق للإغارة على جنوب العراق مدداً للمثنى بن حارثة الشيباني وقطبه السدوسي وفتح خالد بن الوليد العديد من مدن جنوب العراق في شرق نهر الفرات وغربه ومن تلك المدن كاظمة ، والمزار ، والولجة ، وأليس ، وأمغيشيا وعاصمة دولة المناذرة الحيرة وصالحت على الجزية والأنبار وعين التمر ودومة الجندل وقتل أميرها الأكيدر والفراض وكانت

على حدود بلاد الروم ، واجتمع فيها على المسلمين الفرس والروم ونصارى العرب وانتصر فيها المسلمون وقتل فيها من العدو مائة ألف .

وكانت جميع هذه الفتوح في السنة الثانية عشر للهجرة .

فتوح الشام :

تقدم ذكر المعارك التي كانت على حدود بلاد الروم اشتبك فيها المسلمون مع نصارى العرب وحلفائهم الروم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كغزوة مؤتة وتبوك وجيش أسامة في عهد أبي بكر رضي الله عنه .

وأرسل الصديق رضي الله عنه خالد بن سعيد بن العاص واشتبك مع الروم في العديد من المعارك وانتصر فيها حتى استشهد رضي الله عنه في موقعة فرج الصُفر قرب دمشق.

التعبئة الكبرى :

بعد مقتل خالد بن سعيد استنفر أبو بكر رضي الله عنه أهل الحجاز ونجد واليمن وغيرها لقتال الروم وجهز لقتالهم أربعة جيوش هي :

١) جيش يزيد بن أبي سفيان ووجهته دمشق
٢) جيش شرحبيل بن حسنه ووجهته الأردن
٣) جيش عمرو بن العاص ووجهته فلسطين
٤) جيش أبي عبيدة عامر بن الجراح ووجهته حمص

سارت هذه الجيوش الأربعة ، ولما رأت كثرة أعداد الروم استمدوا أبا بكر فأمدهم بنصف جيش خالد بن الوليد الذي كان في العراق وهو عشرة آلاف وقيل تسعة آلاف ، وأمر خالداً بالتوجه إلى الشام فخرج خالد رضي الله عنه بهذا الجيش من العراق متوجهاً إلى الشام وفي طريقه إلى الشام فتح مدينة بصرى وقتل فيها من الروم مقتله عظيمة ثم صالحهم على الجزية .

موقعة أجنادين :

بعد علم الروم بمسير جيوش المسلمين كانت خطتهم القضاء على كل جيش من هذه الجيوش على حدة في مكانه الذي استقر فيه وعلم المسلمون بنوايا الروم فقرروا التجمع بجيوشهم الأربعة في أجنادين بفلسطين لإبطال خطة الروم وأمّر أبو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد بعد وصوله الشام أمر هذه الجيوش الأربعة وكان عددها مع جيش خالد بن الوليد ثلاثة وثلاثين ألف مقاتل وأعدت الروم لقتالهم جيشاً قوامه مائة ألف ١٠٠,٠٠٠ مقاتل وكانت نتيجة هذه المعركة هزيمة

الروم هزيمة منكرة استطاع بعدها خالد بن الوليد رضي الله عنه التوجه إلى دمشق وضرب عليها الحصار وتوفي أبو بكر أثناء ذلك .

التنظيمات العامة

الإدارة : كان معظم الولاة في عصر الخلفاء الراشدين من الصحابة لتحليهم بصفات ومؤهلات ليست لغيرهم ولأن ثقة الخليفة بهم أكثر من غيرهم وكذلك احترام الناس وتوقيرهم لهم وقد اشتهر الولاة في عصر الخلفاء الراشدين بزهدهم وورعهم ولم يكونوا يرغبون في الولاية بل يحاولون التخلص منها .

وكان الوالي يشترط فيه القوة والقدرة على القيام بمهامه والأمانة وأداء مسؤولياته وكان الخلفاء الراشدين يحرصون في توليه الولاة عدم المحاباه وتوليه القرابة إلا إذا كان مؤهلين ، وكان الوالي يقر على عمله إذا ثبتت كفاءته ومقدرته على أداء مهامه ويعزل عنها إذا قصر في ذلك .

وكانت العاصمة في عهد أبي بكر المدينة فإذا خرج عنها الخليفة أناب عنه وكانت مراكز تفود القبائل في اليمن ونجد وغيرها يعين عليها ولاة من أهلها لأنه أضمن وأحرى لطاعته والانقياد له .

وكانت الدولة في عهد أبي بكر مقسمة إلى سبع ولايات هي :

الحجاز – نجد – البحرين – عمان – اليمن وحضرموت – العراق – الشام وكان الولاة على المدن والولايات هم الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا في المناطق التي دخلت بعد ذلك ضمن حدود الدولة الإسلامية .

٢- القضاء :

لم يكن منصب القاضي متميزاً في عهد أبي بكر رضي الله عنه بل كان أبو بكر يقوم به وكذلك فقهاء الصحابة وروي أن أبا بكر عهد بالقضاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمكث سنة لا يأتيه رجلان وكان ولاة الأمصار يقومون كذلك بالقضاء بين الناس.

٣- النواحي المالية :

الموارد : كانت موارد الدولة في عهد أبي بكر رضي الله عنه هي التي كانت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي الجزية والغنيمة والفيء والزكاة أما الجزية فكانت تؤخذ من اليهود والنصارى ومن المجوس وكانت أول جزية من البلاد المفتوحة قدم بها إلى المدينة هي جزية الحيرة بالعراق وكانت الجزية تؤخذ نقداً أو عيناً .

وأما الغنائم فكانت في عهد أبي بكر رضي الله عنه من مصدرين هما غنائم حروب الردة وهي في الغالب من الخيل والإبل والماشية وشيء من الذهب والفضة والسلاح والسبي من النساء والذراري وكذلك غنائم فتوح العراق والشام ولم تكن كثيرة لقلة المناطق المفتوحة وكثرة انتقاضها .

وأما الزكاة : فقد أعاقت حركة الردة جباية الزكاة سوى من بعض القبائل التي أدت الزكاة ، وكانت الزكاة تؤخذ من الأموال التي أخذت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وروي أن أبا

بكر كان يسأل الذي يأخذ العطاء : هل لك مال وجبت فيه الزكاة ، فإن قال : نعم ، أخذه من عطائه .

النفقات :

أما الغنائم فكانت تخمس كما أمر الله تعالى في قوله : (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ .....) الآية .

وكانت الأربعة الأخماس الباقية تعطى للمقاتلين الذين شهدوا الواقعة . واما سهم الله ورسوله فقد جعله أبو بكر في الجهاد وأما سهم ذوي القربى وهم بنو هاشم . وبنو المطلب فولاه علياً رضي الله عنه ليقوم بقسمته ، ورد ذلك بإسناد حسن لغيره .

وأما ميراث النبي صلى الله عليه وسلم وهو سهمه من خيبر وفدك وأموال بني النضير ، فقد طالبت بها فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر فلم يعطها إياها ، وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا نورث ما تركناه صدقة) رواه البخاري في الصحيح .

ويكون مصير هذه الأموال ملكاً للمسلمين جميعاً ، وتوضع في بيت مال المسلمين يضعها إمام المسلمين في مصالحهم .

لذلك قال أبو بكر رضي الله عنه لفاطمة : من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوله فأنا أعوله ، ومن كان رسول صلى الله عليه وسلم ينفق عليه فأنا أنفق عليه. انظر ابن حجر / فتح الباري ٢٠٣/٦ .

العطاء :

كان أبو بكر رضي الله عنه في أول خلافته يضع أموال الدولة حين تأتيه في المسجد ويقسمها في حينه وبعد أن كثرت الأموال وأصبح تفضل منها بقية بعد قسمتها صار يحتفظ بها في بيته بالسنح . نقله ابن سعد في الطبقات عن الواقدي ٢١٢/٣ ، ٢١٣ .

عطاء أبي بكر :

حدد عطاء أبي بكر بألفي درهم ثم زادوه لما قال لهم إن لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة فزادوه خمسمائة درهم وهذا راتب سنوي وجاء في رواية أنه أخذ في خلافته ستة آلاف درهم فيكون راتبه الشهري ٢٥٠ درهماً.

وجعلوا له كل يوم شاة لضيوفه وله رأسها وأكارعها ، وجعلوا له شيئاً من السمن والإقط .

عطاء الرعية :

ساوى أبو بكر رضي الله عنه بين الناس في العطاء ، وروي عنه قوله : إن هذا المعاش الأسوة فيه خير من الأثرة .

الإقطاع :

فقد أقطع أبو بكر رضي الله عنه الناس الأرض لإحيائها واستصلاحها كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم : (من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق) رواه البخاري في الصحيح . فأقطع أبو بكر الزبير بن العوام ارضاً مواتاً بين الجرف وقناة .

الإنفاق على العمران :

من ذلك قيامه رضي الله عنه بتجديد سقف مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسواريه

الرقابة المالية:

كان أبو بكر رضي الله عنه شديد على أموال المسلمين أن يدخلها شيء من الحرام أو ينفق منها شيء في غير ما أباح الله ومن حرصه ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح : أن أبا بكر لما حضرته الوفاة استدعى عائشة رضي الله عنها فقال : أما والله لقد كنت حريصاً على أن أدخر في فيء المسلمين ، على أني قد أصبت من اللحم واللبن ، فانظري ما كان عندنا فأبلغيه عمر ، قال أنس : وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان إلا خادمه ولقحه فأرسلتها عائشة بعد موته ، وتشييعه إلى عمر رضي الله عنه ، فقال عمر: لقد أتعب أبو بكر من بعده تعباً شديداً .

وفاته :

توفي أبو بكر رضي الله عنه بعد أن مرض في جماد الآخرة سنة ثلاثة عشر من الهجرة وكان عمره ثلاثاً وستين سنة ومدة خلافته سنتين ونصف .

٢- خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

نسبه : هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي .

وأمه : حنتمه بنت هاشم بن المغيرة المخزومية .

لقب بالفاروق وأما كنيته فهي : أبا حفص .

مولده : ولد بعد عام الفيل بثلاثة عشر عاماً.

صفاته الخَلقية والخُلقية :

كان رضي الله عنه طويل القامة ، ضخم الجسم ، كثير شعر اليدين ، أبيض البشرة ، شديدة الحمرة ، أصلع ، يخضب شيبه بالحناء.

ومن صفاته الخُلقية : كان زاهداً متواضعاً ، سريع البكاء من خشية الله ، رقيق القلب وعرف بالقوة والجلادة والصبر والتقوى والورع فقيهاً عالماً عادلاً .

فضائله:

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وصح أن القرآن نزل موافقاً لرأيه وقوله كتحريم الخمر وفرض الحجاب واتخاذ مقام إبراهيم مصلى وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (ما لقيك الشيطان

سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك) ودعى الله أن يعز به الإسلام وثبت في صحيح البخاري شهادة النبي صلى الله عليه وسلم له بالعلم والدين وأنه عبقري صاحب قوة وجلادة .
وشهد جميع الغزوات والمشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستشاراً له .

توليه الخلافة :

تولى عمر رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة أبي بكر وكان أبو بكر عهد إليه بالخلافة من بعده ، قال عمر رضي الله عنه لما طلب منه أن يستخلف من بعده : إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني أبو بكر وإن أترك فقد ترك هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم . متفق عليه

الفتوحات في عهده

١- فتوح العراق وفارس:

تقدم أن الصديق رضي الله عنه أمر خالد بن الوليد أن يخرج بنصف جيش إلى العراق فخرج به إلى الشام وبقي النصف الآخر وهو عشرة آلاف بقيادة المثنى بن حارثة الشيباني
وفي عهد عمر رضي الله عنه أعاد فتح كثير من المدن فتحت في عهد أبي بكر بعد انتقاضها .

١) **موقعة الجسر :**

وكانت أولى المواقع بقس الناطف على شاطئ الفرات وهزم فيها المسلمون وقتل قائدها أبو عبيد وقتل من المسلمين أربعة آلاف .

٢) **موقعة البويب** وكانت في رمضان ١٣هـ ، انتصر فيها المسلمون وقتل قائد الفرس (مهران) وأعادت هيبة المسلمين واستطاعوا الاغارة على أسواق العراق والاقتراب من العاصمة (المدائن).

٣) **موقعة القادسية ١٥هـ**

قبل القادسية بعث عمر عتبة بن غزوان فأعاد فتح مدن الأبلة ، والمذار واقترب من الحيرة ثم استنفر عمر الناس لقتال الفرس وأمر عليهم سعد بن أبي وقاص وبلغ عدد جيشه ثمانية وعشرين ألفاً .
وبلغ عدد جيش الفرس مائة وعشرون ألفاً بقيادة رستم ومعهم الفيلة وكانت القادسية ثلاثة أيام هي ١- أرماث وقطع فيه المسلمون أحزمة الفيلة وقتل فيه ٥٠٠ خمسمائة من بني أسد ٢- أغواث ودفن فيه المسلمون موتاهم وجلل فيها المسلمون الإبل وبرقعوها فنفرت منها خيل الفرس.
٣- عمواس: وقتل فيه من الفرس عشرة آلاف ومن المسلمين ألفان وقتل فيه أضخم فيل للفرس ونفرت بقية الفيلة ووصل فيه مدد للمسلمين بقيادة عتبة بن أبي وقاص من الشام

ليلة الهرير : واستمر فيها القتال طوال الليل حامي الوطيس وقاتل فيها المسلمون وهم صامتون وفيها كانت هزيمة الفرس ومقتل قائدهم رستم وسقط من الفرس ثلاثون ألفاً في النهر ورماهم المسلمون بالرماح فلم ينجو منهم أحد وكان عدد قتلى الفرس خمسين ألفاً وقتلى المسلمين ثمانية آلاف وخمسمائة . وبعث سعد بالبشارة ومكث بالقادسية شهراً لاستجمام الجيش .

٢- موقعة المدائن ١٦هـ

وعبر فيها المسلمون نهر دجلة نحو المدائن التي هرب منها الفرس فدخلها المسلمون وغنموا منها غنائم كثيرة منها تاج كسرى ومنطقته وسيفه وسواريه وبساط إيوانه.

ثم فتح المسلمون جلولاء وحلوان وضربت الجزية على ما حولها من المدن وانهارت بعدها خطوط المقاومة الفارسية الأولى واعتنق عدد من دهاقين الفرس الإسلام فأقرهم عمر .

٣- موقعة نهاوند (فتح الفتوح :

ثم فتح المسلمون نهاوند بقيادة النعمان بن مقرن المزني وهي التي تسمى فتح الفتوح وبلغ قتلى الفرس فيها ثمانون ألفاً وسقط عدد كبير منهم في خنادقهم التي حفروها حول المدينة وقتل قائدهم الفيرزان واستشهد النعمان بن مقرن ثم دخل المسلمون مدينة نهاوند صلحاً على الجزية وأمن أهلها على أموالهم ونساؤهم بالرغم من أنها فتحت عنوة ولكن أجري الفتح صلحاً وهذا دليل على سماحة القادة الفاتحين المسلمين وإخلاصهم في جهادهم لله تعالى وعدم ابتغائهم للدنيا ثم صالحت مدن أصبهان وهمذان ثم الري عنوة وأجراه نعيم بن مقرن صلحاً.

وفتحت مدن دنباوند وطبرستان ، وجرجان صلحاً وأذربيجان ووصل المسلمون إلى حدود بلاد الترك.

وفي جنوب بلاد فارس:

فتح أبو موسى الأشعري رضي الله عنه والي البصرة الأهواز وفتحت رامهرمز وتستر وأسر الهرمزان وبعث إلى المدينة فأمنه عمر رضي الله عنه فأسلم ، وفتحت السوس وسابور وفتحت أزدشير واصطخر صلحاً على الجزية ، وفتحت كرمان ومكران عنوة وسجستان صلحاً.

فتح خرسان :

استطاع الأحنف بن قيس التميمي فتح مدن خراسان ففتح هراة عنوة ثم صالح أهلها وفتح مرو التي فر منها كسرى فارس يزدجرد إلى بلخ فتبعه الأحنف وفتح بلخ ففر يزدجر إلى سمرقند ولاذ بخاقان الترك فجمع خاقان قواته لقتال المسلمين ، فلما علم عدم عزمهم على قتاله كف عنهم وفقد يزدجر أمله باسترجاع ملكه بتراجع خاقان عن قتال المسلمين وكان قد تقدم معه إلى مرو ، فلما رجع خاقان مكث يزدجر بمرو وحاول أخذ خزائنه من مرو فرفض أهلها دفعها إليه فلما أصر قتلوه . وهكذا زالت دولة الفرس ومزق الله الفرس شر ممزق.

فتوح الشام ومصر :

تقدم أن المسلمين حققوا إنتصاراً ساحقاً على الروم في موقعة أجنادين بفلسطين وأنهم واصلوا تقدمهم وتوفي الصديق وهم يحاصرون مدينة دمشق .

وفي خلافة عمر بن الخطاب رض الله عنه كان أول عمل قام به عزل خالد بن الوليد رضي الله عنه عن قيادة جيوش المسلمين بالشام وصح أن أسباب عزل عمر لخالد بن الوليد افتتان الناس به وأن الفتح والنصر مقرون به لذلك قال عمر بعد أن جاءته البشارة بالفتح في الشام : الله أكبر رب قائل لو كان خالد بن الوليد ومن تلك الأسباب توزيع خالد بعض الأموال من غير علم وموافقة عمر رضي الله عنه .

موقعة فحل / ذي القعدة ١٣هـ

ولى عمر رضي الله عنه قيادة جيوش المسلمين بالشام أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه ، فقام أبو عبيدة بالانسحاب وفك الحصار الذي ضربه المسلمون على دمشق بعد علمهم بتقدم قوات الروم نحو فلسطين للقضاء على قوات المسلمين فيها وعبر المسلمون نهر الأردن إلى قوات الروم وكان ارتفاع المياه فيه ما بين المتر والنصف متر وعرض النهر تسعة وعشرين متراً ، وانتصر المسلمون في هذه المعركة وقتل قائد جيوش الروم (سكلاريوس)

فتح دمشق ١٥ رجب ١٤هـ

بعد هزيمة الروم في فحل لم تبق لهم قوات كبيرة في الأردن وفلسطين وصالحت كثير من مدن الأردن وفلسطين على الجزية .

فرجع المسلمون لحصار مدينة دمشق التي كانت محصنة بأسوار ضخمة طولها ١٦٠٠م بعرض كيلومتر واحد ومحيط بالسور خندق مليء بالماء واستطاع المسلمون اقتحام سور المدينة حين انشغال بالاحتفال بمولد ولد ليطريرك المدينة وسارع أهل دمشق يعرض الصلح مع المسلمين فوافق أبو عبيدة على ذلك بالرغم من أن خالد بن الوليد الذي كان على الباب الشرقي دخل دمشق عنوة

موقعة اليرموك ٥ رجب / ١٥هـ

استجمع الروم قواهم وعزموا على دحر المسلمين والقضاء عليهم وإخراجهم من بلاد الشام فأعدوا قوة ضاربة عظيمة لذلك بلغ عددها مائتي ألف مقاتل وقيل أكثر أو أقل من ذلك بقليل.

ولما علم المسلمون بذلك تجمعت قواتهم في أذرعات ثم تحركوا ونزلوا على نهر اليرموك واغلقوا الطريق إلى الجزيرة العربية وفوض أمراء الأجناد قياداتهم لخالد بن الوليد ، وكان عدد قواتهم ستة وثلاثين ألفاً .

نزلت قوات الروم بين نهر الرقاد واليرموك وبدأ الروم القتال بالهجوم على ميمنة جيش المسلمين واستبسل المسلمون حتى اختلط الجيشان وفاجأ خالد الروم بالهجوم بقوة الفرسان فأعملوا فيهم

ثم اتجه عمرو بن العاص نحو الاسكندرية ففتح حصن نيقوس ومدينة سلطيس وكريون بعد قتال شديد وطويل ثم فتح الاسكندرية وفتحها بعد حصار دام طويلاً وبعد وفاة هرقل ، وكتب إلى عمر فكتب إليه إلا يقسمها وأن يضع عليها الخراج .

السياسة الإدارية والتنظيمات العامة

١- مبدأ الشورى :

فقد اتخذ عمر رضي الله عنه الشورى مبدأ أساسياً في سياسة الدولة فثبت عنه أنه كان يستشير أهل الرأي ورجاحة العقل وقراء القرآن كهولاً كانوا أو شباباً بل كان يستشير الغلمان والنساء ومبدأ الشورى حض عليه القرآن في قوله تعالى : (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ) وعمل به النبي صلى الله عليه وسلم في جميع شؤونه .

٢- الولاة :

تقدم أن الولاة كانوا في عهد الخلفاء الراشدين من الصحابة وأنهم كانوا يتحلون بصفات الزهد والورع والتقوى وكراهية المناصب وأن الخلفاء كانوا يقرون الوالي في ولايته إذا كان الأقدر على القيام بمهامه وواجباته وفي عهد عمر رضي الله عنه لم يكن الوالي مسؤلاً عن النواحي المالية فقد عين عمر رضي الله عنه مسؤلين على بيت المال ففي الكوفة كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مسؤولاً عن بيت مالها في ولايتي عمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص وكان عمر رضي الله عنه يرسل إلى ولاته من يقوم بمراقبتهم ويعرف مدى قيامهم بواجباتهم وكان يقتص للرعية من الولاة وكان يشاطر ولاته أموالهم إذا شك في مصادرها .

٣- القضاء :

لم يكن منصب القضاء متميزاً في خلافة أبي بكر كما تقدم ، وفي عهد عمر رضي الله عنه كان يقضي في المدينة بنفسه ثم عين يزيد بن أخت النمر وقال : اكفني بعض الأمور يعني صغارها . سنده صحيح .

وعين عمر رضي الله عنه في الأمصار الإسلامية إلى جانب الولاة قضاة وهو بذلك أول من فصل السلطة القضائية عن سلطة الولاية ولعل فعل عمر رضي الله عنه هذا راجع إلى تعدد مسؤوليات الولاة في عهده لاتساع الدولة وكثرة راعاياها فلم يعد الوالي قادراً على القيام بجميع هذه المهام .

٤- النواحي المالية :

استمرت موارد الدولة في عهد عمر رضي الله عنه هي نفسها في عهد أبي بكر رضي الله عنه وهي : الجزية – الزكاة – الغنائم والفيء . وزاد في عهد عمر رضي الله عنه مورداً الخراج والعشور

القتل وسقط الكثير منهم حين بدأوا بالتراجع في وادي أو نهر الرقاد ونهر اليرموك وقيل إن عدد من سقط منهم مائة وعشرون ألفاً كان ثمانون ألفاً منهم مقرنين بالسلاسل ولعبت نساء المسلمين دوراً كبيراً في القضاء على جنود الروم الذين وصلوا إلى مؤخرة جيش المسلمين وقتل في هذه المعركة التي انتهت بالنصر المبين للإسلام وأهله الدرنجار قائد مسيرة الروم وأخ لهرقل ملك الروم واستشهد من المسلمين ثلاثة آلاف.

وبعد موقعة اليرموك عادة جيوش المسلمين بالشام إلى مراكزها الأولى التي كانت في عهد أبي بكر أبو عبيدة في حمص ويزيد بن أبي سفيان في دمشق وعمرو بن العاص في فلسطين وشرحبيل بن حسنة في الأردن . وذلك حتى تقوم هذه القوات كل في مكانه بتطهير الشام من بقايا قوات الروم وتفتح ما بقي من مدن تحت سيطرة الروم .

فتح بيت المقدس :

أتم عمرو بن العاص رضي الله عنه فتح مدن فلسطين وحاصر بيت المقدس مع جيش أبي عبيدة واضطرت قوات الروم للاستسلام وطلب الصلح وكان فيهم (أرطبون) أحد قادة الروم العظام ، واشترط الروم أن يكون عقد الصلح مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فكتب أبو عبيدة لعمر بذلك فوافق وخرج من المدينة واستخلف عليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولقي عمر أمراء الأجناد بالجابية وفيها كتب الصلح مع أهل بيت المقدس وكان فيه أن لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وأن لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء أحد من اليهود وأن يعطوا الجزية وأن يخرجوا اللصوص من المدينة .... الخ

واستتم عمر رضي الله عنه من سفره بالجابية ثم ركب فرسه ، وتوجه إلى بيت المقدس ودخل المسجد الأقصى ليلاً ، فصلى في محراب داود عليه السلام ، ثم مكث حتى صلى الفجر ، فقرأ في الركعة الأولى الأولى بـ (ص) وفي الثانية بصدر سورة (الإسراء) وأزال عمر عن الصخرة القمامة التي عليها والتي وضعها النصارى نكاية باليهود .

فتح مصر:

بعد استكمال عمرو بن العاص فلسطين توجه لفتح مصر ، وكان لابد من فتح مصر حتى تؤمن حدود الشام الجنوبية حيث أن مصر ما زالت بها قوة عظيمة من الروم . وفر إليها أرطبون ولا يأمن قيامهم بهجوم على بلاد الشام .

دخل عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر من العريش بقواته التي عددها ثلاثة آلاف وخمسمائة وكان أول ما فتح حصن القرما ثم فتح حصن بلبيس وقتل أرطبون ثم فتح عمرو بن العاص أم دنين وفتح حصن بابليون بعد اشتباكات وحصار ومغامرات عظيمة من جند المسلمين ، وبالرغم من التضحيات الجسيمة التي قدمها المسلمون إلا أن الفتح أجرى صلحاً ، وهو دليل كما تقدم على سماحة الإسلام ونبل أخلاق الفاتحين وغايتهم وأن الفتح الإسلامي لم يكن لنهب خيرات أهل البلاد المفتوحة ، وسبي نسائهم بل كان لنشر دين الله وإقامة الحق والعدل ، وصالح عمرو بن العاص المقوقس الذي كان في الحصن على الجزية .

غير أن مقدار موارد الدولة زادت في عمر رضي الله عنه زيادة كبيرة بسبب كثرة الفتوحات واتساع رقعة الدولة وثبات المناطق المفتوحة على ولائها واستتاب الأمن فيها .

أما الجزية فقد ضربت على رؤوس الكفار من أهل الكتاب والمجوس على الرجال البالغين دون النساء والأطفال وفرض عمر رضي الله عنه الجزية على قدر الطاقة والقدرة وكانت تؤخذ عيناً ونقداً في البلاد المفتوحة العراق والشام ومصر واليمن وفارس وهي تتفاوت حسب مقدرة أهل كل بلد وكفايتهم وتختلف أصنافها العينية من القمح والبر والزيت والثياب وغيرها بحسب ما يوجد عند أهل كل بلد وثبت في صحيح البخاري عناية عمر رضي الله عنه بأهل الذمة ورفقه بهم ووصاية الخليفة من بعدهم بالرفق بهم .

وإذا أسلم الذمي سقطت عنه الجزية .

الخراج :

كانت سياسة عمر رضي الله عنه هي عدم قسمة الأراضي المفتوحة وابقاءها بيد أهلا يعملون فيها ويصلحونها مقابل دفع الخراج عنها وفعل عمر ذلك حتى تبقى الأراضي كلها ملكاً للمسلمين جميعاً في الحاضر والمستقبل لأنها لو قسمت لأصبحت ملكاً للفاتحين ولأنها بوضع الخراج عليها تصبح موارد اً عظيماً من موارد الدولة المالية وعدم قسمتها أيضاً فيه حماية للجند من الانشغال بالأراضي والتكاسل عن الجهاد .

قال عمر: لولا آخر المسلمين ما فتحت قرية إلا قسمتها كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خيبر . رواه البخاري في الصحيح .

وكان عمر حريصاً على عدم وضع الخراج على أهل الأرض إلا بقدر طاقتهم فقد قال لعثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان : انظر ما لديكما أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق ، فقالا : حملناها أمراً هي له مطيقة . رواه البخاري في الصحيح .

الغنائم والفيء :

كان تقسيم الغنائم والفيء في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر .

وأما سهم الله ورسوله فإن عمر رضي الله عنه وضعه كما فعل أبو بكر رضي الله عنه في الجهاد في سبيل الله .

وأما سهم ذوي القربى فقد تقدم أن أبا بكر ولاه علياً ليقسمه بينهم ، وأما عمر فإنه عرض على قرابة النبي صلى الله عليه وسلم أن يزوج منه أيمهم ويقضي دين غريمهم فأبوا إلا أن يسلمهم الخمس جميعاً فأبى عمر . وسنده صحيح .

وأما ما أفاء الله عليه صلى الله عليه وسلم من خيبر وفدك وبني النضير فهو ميراثه.

وتقدم أن أبا بكر رضي الله عنه رفض إعطاءه فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم واحتج عليها بقوله صلى الله عليه وسلم : (لا نورث ما تركناه صدقة).

وأما عمر رضي الله عنه فإنه فعل كذلك فقد منع تقسيم ميراث النبي صلى الله عليه وسلم وفعل كما أمر صلى الله عليه وسلم غير أنه كان يعطي أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة سنة وما يبقي جعله في مصالح المسلمين وما يحتاجونه .

فعل عمر ذلك سنتين من خلافته ثم دفع عمر رضي الله عنه هذه الأموال التي هي ميراث النبي صلى الله عليه وسلم إلى العباس وعلي رضي الله عنهما ليس تمليك لها بل ليعملا فيها بما عمل النبي صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري في الصحيح .

الزكاة :

انتهج عمر رضي الله عنه نهج النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه في إرسال السعاة الجباية الزكاة ممن وجبت عليه وحال حولها .

وأمر عمر رضي الله عنه عماله بعدم أخذ نفائس الأموال في الزكاة ورأى رضي الله عنه في مال الزكاة شاة حافلاً ذات ضرع فقال ما أعطى هذه أهلها وهم طائعون ثم قال: لا تفتنوا الناس لا تأخذوا حرزات المسلمين . اسناده صحيح .

وهذا المبدأ أمر به النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث معاذاً إلى اليمن قال : وإياك وكرائم أموالهم .

وأخذ عمر رضي الله عنه الزكاة من الأصناف التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم ووضعها في مواضعها وفي أهلها الثمان الذين أمر الله بإعطائهم الزكاة.

العشور:

صح أن عمر رضي الله عنه كان أول من وضع العشور وقد وضعها رضي الله عنه على التجار غير المسلمين من أهل الحرب إذا قدموا بتجارتهم إلى بلاد المسلمين لأنه آخير رضي الله عنه أن الكفار يأخذون من تجار المسلمين العشر إذا دخلوا بتجارتهم إلى أرضهم رواه أو يوسف في الخراج بإسناد حسن لغيره .

وأما تجار أهل الذمة فكان يؤخذ منه نصف العشر والمسلمون يؤخذ منهم ربع العشر وهي زكاة التجارة .

وكان أخذ العشور مرة واحدة في السنة فقط حتى لو قدم التجار بتجارتهم عدة مرات خلال السنة

النفقات

العطاء :

إنشاء بيت المال : أنشأ عمر رضي الله عنه بيت المال حين تدفقت الأموال على الدولة الإسلامية و كثرت مواردها الاقتصادية بسبب اتساع مساحتها.

وجعل عمر رضي الله عنه على بيت المال عبد الرحمن بن عبد القاري وعبد الله بن أرقم ومعيقيب الدوسي .

وأنشأ عمر بيوتاً للأموال في بعض الأمصار أيضاً كبيت مال الكوفة الذي كان عليه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وضع الديوان :

الديوان : هو السجل الذي تكتب فيه أسماء المستحقين للعطاء من رعايا الدولة ويدخل في ذلك الجند وغيرهم . ويقال إن الذي عرض على عمر رضي الله عنه وضع الديوان بعض الصحابة لأنهم رأوه في بلاد فارس والروم .

وكان وضع عمر الديوان حينما قدمت عليه أموال كثيرة وهي ثمانمائة ألف درهم قدم بها أبو هريرة رضي الله عنه من العراق .

وثبت أن عمر رضي الله عنه رتب الديوان على أساس التفاضل في العطاء وهي السياسة التي انتهجها عمر رضي الله عنه مخالفاً بذلك سياسة التسوية في العطاء التي ورد أن أبا بكر سار عليها .

فجعل عمر البدء في الديوان بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ثم الأقرب فالأقرب ، ثم زوجاته صلى الله عليه وسلم ثم المهاجرين الأولين فبدأ بأهل بدر ثم ثم أحد ثم بقية المشاهد ثم بقية المهاجرين ثم الأسبق فالأسبق هجرة ثم الأنصار.

وصح أن عمر رضي الله عنه أراد أن يعدل سياسة التفاضل في العطاء إلى سياسة التسوية ولعل ذلك كان بعد أن استقر أمر الدولة الإسلامية وزادت مواردها كثيراً قال رضي الله عنه : لئن بقيت إلى قابل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلن بياناً واحداً .

وكان عمر رضي الله عنه يفرض للمولود إذا فطم فكانت النساء يستعجلن على فطام أطفالهن فقرض رضي الله عنه للمولود من حين ولادته وكان رضي الله عنه يقسم أحياناً عطاءاً زائداً على العطاء المقرر عبارة عن أرزاق من الطعام البر والزيت والخل . رواه أبو عبيدة بإسناد صحيح .

عطاء عمر :

قال عمر رضي الله عنه : أنا أخبركم بما أستحل من مال الله حلة الشتاء والقيض ، وما أحج عليه واعتمر ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا أفقرهم ، أنا رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم . إسناده صحيح .

وقال رضي الله عنه : اللهم إنك تعلم أني لا آكل إلا وجبتي ولا ألبس إلا حلتي ولا آخذ إلا حصتي . إسناده صحيح .

الإصلاحات :

الاقطاع : فقد أقطع عمر رضي الله عنه الأرض لمن أحياها فقال رضي الله عنه : يا أيها الناس من أحيا أرضاً ميتة فهي له .

الحمى :

فقد حمى عمر رضي الله عنه الربذة واستعمل عليها مولاه هني وكانت توضع فيه إبل الصدقة وأوصى عمر مولاه بالرحمة والشفقة بالضعفاء .

واستمر عمر في حماية النقيع وهو وادي في جنوب المدينة على بعد ٤٠ كم طوله ثمانون كيلوا متراً حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يحميه للخيل .

٣- عمران المساجد :

المسجد النبوي : فقد زاد عمر رضي الله عنه في مساحته واشترى العقار الذي حوله من أصحابه ومنها دار العباس بن عبد المطلب وكانت التوسعة عشرة أذرع من القبلة وعشرين ذراعاً من الغرب سبعين أو ثلاثين ذراعاً من الشمال ، وأعاد بناؤه باللبن والجريد ، وجعل عمده من الخشب وسقفه من الجريد وكساه ليحمى الناس من المطر والبرد ونهى عن زخرفته بحمرة أو صفرة لئلا يفتن الناس في صلاتهم ، ورصف أرضه بالحصباء . رواه البخاري في الصحيح وأحمد وغيره في المسند بسند حسن .

قال السيد الوكيل في كتابه عمارة المسجد النبوي : زاد عمر من الجنوب بعرض المسجد ثلاثة أمتار ، ومن الشمال ثمانية أمتار ، ومن الغرب ستة امتار ، وكان ارتفاعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم سبعة أذرع فرفعه عمر إلى إحدى عشر ذراعاً واحدث فيه ثلاثة أبواب – السلام – النساء – باب في مؤخرة المسجد .

الحرم المكي : بنى عمر حوله جداراً قصيراً . رواه البخاري في الصحيح .

ونقل مقام إبراهيم إلى مكانه اليوم ليسهل الطواف على الناس وكان ملصقاً بالكعبة. واختط عمر رضي الله عنه مساجد جامعة في الكوفة والبصرة والفسطاط بمصر.

بناء المدن :

فقد بني بأمره رضي الله عنه عتبة بن غزوان مدينة البصرة سنة ١٤-١٦ هـ وكان بناء البيوت فيها أولاً بالقصب لتوفره ثم بنيت البيوت باللبن والطين .

وبنى سعد بن أبي وقاص الكوفة سنة ١٧هـ وخططها أبو الهياج السلمي بتوجيهات عمر رضي الله عنه ، وبنى المسجد الجامع في وسطها ثم بنى الإمارة وبيت الأموال بجوار المسجد.

واختط عمرو بن العاص الفسطاط ، بمصر وبنى وسطها المسجد الجامع وحوله دار الإمارة .

حفر الخلجان وإقامة السدود :

فقد حفر عمر رضي الله عنه خليجاً بين النيل والبحر الأحمر وأصبحت السفن تسير من مصر إلى البحر الأحمر ، وحفر قناة مائية مسافة ثلاثة فراسخ (الفرسخ ثلاثة أميال) لإيصال مياه دجلة إلى البصرة .

وأقام سدين بمكة بعد أن جرفت السيول الكعبة واقتلعت المقام ؟

ومن إصلاحاته رضي الله عنه :

ما رواه الواقدي من أنه أمر بإقامة الاستراحات للحجاج على طرق الحج لتوفير المياه والظل بين مكة والمدينة .

واتخذ داراً للدقيق ليحفظ فيها وكذلك السويق والزبيب وغير ذلك لتكون جاهزة لإعطاء المحتاجين منها .

النقود :

كان البيع بالنقود في الصدر الأول من الإسلام بالوزن وليس بالعد لذلك ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه منع من بيع النقود الرديئة (الزيوف) بأخرى جيدة دون وزنها ، وكان يرى أن يوقد عليها بالنار حتى يذهب ما فيها من نحاس وحديد ويخلص الفضة ثم تباع بوزنها .

ولم يصح أن عمر هو أول من وحد العملة وأن الدراهم كانت بأوزان مختلفة ثمان دوانق (دانق الفضة = ٠,٤٩٥ غرام) وأربعة دوانق وثلاثة دوانق وكان المتداول بين الناس وزن ٨ ، ٤ فجمع بينهما فكانا اثني عشر فأخذ نصفها فوحد الدراهم على وزن ستة دوانق فكان هو الدرهم الإسلامي.

لأن المشهور عند المؤرخين أن أول من فعل هذا هو الخليفة عبدالملك بن مروان .

حرص عمر رضي الله عنه على أموال المسلمين :

كان عمر رضي الله عنه شديد الحرص على أموال المسلمين أن تنفق في غير وجهها أو تضيع أو تذهب في غير مصلحة المسلمين قال رضي الله عنه : لو هلك حمل من ولد الضأن ضياعاً بشاطئ الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه . إسناده صحيح .

٥- الاهتمام بالتعليم :

لقد اهتم عمر رضي الله عنه بنشر العلم في أنحاء الدولة الإسلامية وكان يحث على التعلم قال رضي الله عنه فيما صح عنه : تفقهوا قبل أن تسودوا .

وقال رضي الله عنه : اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار فإني بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وسنة بينهم رواه مسلم في الصحيح .

وبعث رضي الله عنه عبد الله بن مسعود إلى أهل الكوفة معلماً ووزيراً وقال لأهل الكوفة : وإني آثرتكم بعبد الله على نفسي .

وبعث عمران بن حصين لتفقيه أهل البصرة . اسنادهما صحيح .

وفاة عمر رضي الله عنه :

توفي عمر رضي الله عنه بعد بضعة أيام من طعن أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة له رضي الله عنه ، وكان قد تقدم رضي الله عنه إلى المحراب لصلاة الفجر في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم . إسناده صحيح .

وصح أنه رضي الله عنه جعل الخلافة من بعده شورى وأنه رشح لخلافة المسلمين من بعد ستة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضي وهم :

عثمان بن عفان – وعلي بن أبي طالب – وسعد بن أبي وقاص – وطلحة بن عبيد الله – والزبير بن العوام – وعبد الرحمن بن عوف .

كان طعنه رضي الله عنه لأربع ليال بقين من ذي الحج سنة ثلاث وعشرين من الهجرة وتوفي في غرة المحرم سنة ٢٤هـ وكان عمره ثلاثة وستين سنة ودامت خلافته عشر سنين وستة أشهر.

٣- خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه

نسبه : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي الأموي.

مولده : ولد في الطائف بعد عام الفيل بست سنوات .

صفاته الخلقية : كان متوسط الطول ، حسن الوجه ، فيه نكتات من جدري ، رقيق البشرة ، عظيم اللحية ، أسمر ، كثير الشعر ، معتدل القامة ، عظيم الكراديس ، أصلع ، يخضب بالصفرة .

صفاته الخُلقية : عرف رضي الله عنه بالحياء الشديد ، قال صلى الله عليه وسلم : (إن عثمان رجل حيي) رواه مسلم في الصحيح .

وكان راجح العقل عفيفاً وصولاً للرحم ، متواضعاً سخياً ، كثير التهجد .

اسلامه وهجرته :

كان من السابقين إلى الإسلام في المرحلة السرية أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه وقيل على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر الهجرتين إلى الحبشة وشهد المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم سوى بدراً فإنه تخلف لتمريض زوجته رقية ابنة النبي صلى الله عليه وسلم . وتوفيت بعد بدر فزوجه النبي صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم.

فضائله :

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة وهو الذي اشترى بئر رومة وجعلها لجميع المسلمين وكان لا يستقى منها إلا بثمن . وهو الذي جهز جيش العسرة وجاء بدنانير فصبها في حجر النبي صلى الله

عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما على عثمان بن عفان ما عمل بعد هذا . رواه أحمد بسند حسن .

وهو أحد أصحاب الشورى الذين قال عمر رضي الله عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض .

توليه الخلافة :

تولى عثمان الخلافة بعد أن جعله عمر رضي الله عنه أحد أصحاب الشورى الستة الذين تقدم ذكرهم وفي صحيح البخاري أن أصحاب الشورى الستة اجتمعوا بعد وفاة عمر رضي الله عنه ، فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي ، وقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان ، وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف ، فقال عبد الرحمن لعثمان وعلي : أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه ، والله عليه والسلام لينظرن أفضلهم في نفسه ، فأسكت الشيخان ، فقال عبد الرحمن : أفتجعلونه إلي والله لا آلو عن أفضلكم قالا : نعم ، فأخذ بيد أحدهما ، فقال : لك قرابة من رسول الله والقدم في الإسلام ما قد علمت ، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن ، ثم خلا بالآخر ، فقال مثل : ذلك ، فلما أخذ الميثاق قال : ارفع يدك يا عثمان فبايعه ، فبايع له علي ، وولج أهل الدار فبايعوه .

وفي رواية في الصحيح أن عبد الرحمن بن عوف بعد أن جعل إليه الشيخان أمرهما شاور الناس حتى مضت ثلاث ليال من وفاة عمر رضي الله عنه ثم اجتمع بعلي وعثمان ، ثم أرسل إلى المهاجرين والأنصار ، وأمراء الأجناد ، وتشهد عبد الرحمن بن عوف ، وقال : أما بعد يا علي ، إني نظرت في أمر الناس ، فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً ، فقال عبد الرحمن لعثمان : أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده ، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس .

والخبرين يكمل بعضهما بعضا ، فالأول ليس فيه مشاورة عبد الرحمن الناس وذكرت في الثاني ، والثاني ليس فيه مبايعة علي لعثمان وذكرت في الثاني وكانت بيعة عثمان رضي الله عنه في غرة المحرم سنة ٢٤ هـ.

الفتوحات :

بلاد المشرق:

تقدم أن الفتوحات في المشرق في عهد عمر رضي الله عنه شملت ضم جميع أراضي الدولة الفارسية وأن فتوحات المسلمين بلغت بلاد الترك وفي عهد عثمان انتفضت بعض البلاد المفتوحة ونقضت العهد فأعيد فتحها ومنها خراسان وفتحت طخارستان وطبرستان وأعيد فتح أذربيجان ، وفتحت إرمينية آخر خلافة عثمان رضي الله عنه بعد معارك طويلة استمرت عشر سنوات .

وعبر الأحنف بن قيس نهر جيحون مصالحه أهل بلاد ما وراء النهر .

فتوح الشام وإفريقية :

تقدم أن بلاد الشام ومصر تم فتحها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي عهد عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وولى عليها عبد الله بن أبي السرح ، فثارت الإسكندرية ، فأعاد عمرو بن العاص اخضاعها .

فتح افريقية :

وقام عبد الله بن أبي السرح في ولايته لمصر بفتح إفريقية (تونس) سنة ٢٧هـ وقاد عبد الله بن أبي السرح الجيش الذي توجه لفتحها ثم اسند قيادته لعبد الله بن الزبير العوام الذي حقق الله على يديه النصر وفتحت افريقية وقتل ملكها جرجير.

معركة ذات الصواري سنة ٣٤ هـ :

بقيادة عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه وكانت هذه المعركة في البحر الأبيض المتوسط قرب الإسكندرية . وتشابكت سفن المسلمين بسفن الروم وقام المسلمون بعقد سفنهم بسفن الروم، ولحقت بالروم هزيمة منكرة حتى قيل إن جثث قتلاهم صارت أمثال الجبال على الساحل.

غزوة الأساورة سنة ٣١هـ :

وكانت ببلاد النوبة ، وانتهت بعقد ابن أبي السرح الصلح مع أهالي النوبة ، وهو أول قائد اسلامي اقتحم بلاد النوبة .

فتح جزيرة قبرص سنة ٢٨هـ :

وكانت بقيادة معاوية بن أبي سفيان خرج إليها معاوية رضي الله عنه في جيش كثيف بعد أذن عثمان رضي الله عنه له بركوب البحر فكانت أول معركة بحرية للمسلمين وكان خروج معاوية إلى الجزيرة من الشام وخرج عبد الله بن أبي السرح بجيش آخر مدداً له وانتصر المسلمون وغنموا غنائم كثيرة وسبوا سبياً كثيراً وقتل من الروم مقتلة عظيمة وكان في هذا الجيش أم حرام بنت ملحان التي نام النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها فاستيقظ وهو يضحك ، فقالت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ فقال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثج هذا البحر ملوكاً على الأسرة ، فقالت أم حرام : ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا . رواه البخاري من الصحيح .

فلما عزم الجيش على الرجوع قدمت لأم حرام بغلة لتركبها ، فسقطت عنها فماتت ، ودفنت هناك.

وصالح معاوية أهل قبرص على سبعة آلاف دينار كل سنة .

السياسة الإدارية والتنظيمات العامة :

١- النظر في قضية عبيد الله عمر فقد ثبت عند عبد الرزاق بسند صحيح أن عبيد الله قام بقتل الهرمزان وجفينة النصراني وابنة أبي لؤلؤة المجوسي ثأراً لمقتل والده على يد أبي لؤلؤة بعد أن سمع عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق يقول أنه وجد الهرمزان

وجفينة مع أبي لؤلؤة فبغتهم ، فثاروا ، فسقط من بينهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه فوجدوه على صفة الخنجر الذي طعن به عمر وكان رأي المهاجرين أن يقتل عبيد الله بن عمر ، وقال البعض يقتل عمر بالأمس ، ويقتل ابنه اليوم ، وأشار عمرو بن العاص على عثمان أن يدعه لأن هذا الأمر وقع وليس لعثمان سلطان على الناس فتفرق الناس على كلام عمرو بن العاص وودى عثمان الرجلين والجارية .

وعدم قتل عثمان لعبيد الله بن عمر كما يقول ابن تيمية لأنه والله أعم كان متأولاً كما فعل أسامة في قتل الكافر الذي نطق بالشهادة ولم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم .

٢- جمع القرآن :

تقدم أن أبا بكر رضي الله عنه أمر زيد بن ثابت بجمع القرآن فجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال وكتبه في الصحف .

وفي عهد عثمان رضي الله عنه جمع القرآن عام ٣٠هـ وكان سبب ذلك كما روى البخاري في الصحيح أن حذيفة بن اليمان غزا مع جيش العراق إرمينية وأذربيجان ومعهم جيش الشام أيضاً ، فأفزعه اختلاف الناس في القراءة ، فأرسل إلى عثمان فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان رضي الله عنه لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء ، فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل القرآن بلسانهم، ففعلوا فلما نسخوا الصحف التي كانت عند حفصة في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فحرق .

وكان جمع عثمان رضي الله عنه القرآن بمشورة المسلمين ، أخرج ابن أبي داود في المصاحف بإسناد صحيح عند سويد بن غفلة قال : قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا ، قال : ما تقولون في هذه القراءة ، فقد بلغني أن بعضهم يقول : إن قراءتي خير من قراءتك ، وهذا يكاد يكون كفراً قلنا فما ترى؟ قال : أرى أن تجمع الناس على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة ولا اختلاف ، قلنا : فنعم ما رأيت .

٣- النواحي المالية:

١) الموارد المالية: هي نفس الموارد التي كانت في عهد عمر رضي الله عنه وهي الجزية ، الخراج ، الزكاة ، الغنائم والفيء ، العشور .

ومما تجدر الإشارة إليه في الموارد بعض الأمور :

الجزية : فقد فتحت إفريقية وصولحت على ألفي دينار وخمسمائة درهم وصولحت أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم .

الخراج:

زاد إيراد مصر من الخراج والجزية في عهد عثمان رضي الله عنه فقد كان زمن عمر مليوني دينار ، وارتفع إلى أربعة ملايين في عهد عثمان وذلك راجع إلى دخول مدن وقرى جديدة في ولاية ابن أبي السرح وإلى الاستقرار والأمن السياسي وبالتالي النمو السكاني والاقتصادي ويرجع أيضاً إلى الاصلاحات الزراعية .

أما ميراث النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح ما ورد من أن عثمان رضي الله عنه أقطع فدكا وهي ميراث النبي صلى الله عليه وسلم لمروان بن الحكم فقد رواه أبو داود في السنن وضعفه الألباني ولوثبت عنه ذلك لكان كما قال الخطابي أن تأول أن ميراث النبي صلى الله عليه وسلم يكون أمره إلى الإمام يضعه في مصالح المسلمين ودولتهم .

أما الزكاة : فقد روى أبو عبيدة بسند صحيح أن عثمان رضي الله عنه ترك للناس إخراج زكاة الأموال الظاهرة العين كالذهب والفضة بأنفسهم ولم يبعث السعاة لأخذها وهذا تيسير منه عليهم وليس تهاوناً في جباية الزكاة لأنه لو علم منهم التواني أو الامتناع في إعطائها أخذها منهم بالقوة ، أما بقية أصناف الزكاة فكان السعاة يجمعونها .

٤- النفقات :

العطاء :

تقدم ذكر سياسة عمر رضي الله عنه في العطاء وهي المفاضلة بين الناس وأنه كان ينوي التسوية بينهم .

وفي عهد عثمان رضي الله عنه سار على سياسة عمر في العطاء وهي التفضيل وروى أنه زاد في أعطيات الناس مائة مائة .

ووسع عليهم في القوت والكسوة، وشمل العطاء في زمن عثمان رضي الله عنه جميع الناس قال عروة بن الزبير : أدركت زمن عثمان وما نفس منفوسة إلا ولها في مال الله حق إسناده حسن . ولم يثبت ما روي من إعطاء عثمان رضي الله عنه قرابته الأموال الكثيرة وأموال الزكاة مثل : عبد الله بن خالد بن أسيد والحكم بن أبي العاص والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص .

ووردت هذه الأخبار من طريق اليعقوبي وهو مؤرخ رافضي ومن طريق الواقدي وهو متروك عند المحدثين

الإقطاع :

أقطع عثمان رضي الله عنه الصوافي وهي الأراضي التي هرب أهلا وملاكها ، فصارت ملكاً للدولة الإسلامية ، وارتفعت غلة الصوافي في عهد عثمان رضي الله عنه من تسعة آلاف درهم في عهد عمر إلى خمسين مليون درهم . وهو دليل على نجاح سياسة الصوافي.

الاصلاحات :

١) توسعة المسجد النبوي سنة ٢٩ هـ :

روى البخاري في الصحيح أن عثمان رضي الله عنه زاد في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمدة من حجارة منقوشة وسقفه الساج .

والقصة: هي الجص وهو ما يطبخ فيصير كالحجارة فيبنى به. وهو أيضاً ما تطلى به البيوت من الكلس ، والساج : نوع من الخشب يؤتى به من الهند.

والزيادة التي زادها عثمان رضي الله عنه على توسعة عمر أنه زاد فيه من الناحية الشمالية ثلاثة أمتار ونصف ومن الجهة الغربية مترين ومن الجهة الجنوبية مترين ، ولم يزد فيه شيئاً من جهة الشرقية .

واستبدل عثمان رضي الله عنه بناء المسجد بدل اللبن فبناه بالحجارة المنقوشة، واستبدل سقف الجريد والخصف بخشب الساج وأما الأبواب فكانت في عهد عمر رضي الله عنه ستة أبواب .

ثلاثة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي باب جبريل ، أو باب النبي صلى الله عليه وسلم وباب عاتكة أو باب الرحمة وباب في مؤخرة المسجد . والثلاثة التي زادها عمر هي باب مروان أو السلام وباب النساء وباب في مؤخرة المسجد .

ومن الإصلاحات التي أمر بها عثمان رضي الله عنه :

١. أنه أنشأ داراً للضيافة في الكوفة لمن ليس لهم منازل ، ينزل بها التجار وغيرهم
٢. حول ميناء الحجاز من الشعيبة إلى جدة لاتساعها وقربها من مكة .
٣. ردم مجرى سيل وادي مهزور في المدينة بعد أن كانت مياهه تغرق أهل المدينة.
٤. حفر نهر الأبلة والأساورة بالبصرة .

٤- الولاة :

سار عثمان رضي الله عنه في توليه ولاته على ما كان عليه سلفه الصالح من توليه أهل الصلاح والتقوى والزهد وأهل الكفاءة من الصحابة رضوان الله عليهم .

إلا أن عثمان ولى بعض قرابته من ذوي الكفاءة والقدرة بالقيام بمهام الولاية ، ومن هم من أهل التقوى والصلاح وهؤلاء هم : معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبي السرح . وعبد الله بن عامر بن كريز .

واتهم أهل الأهواء عثمان رضي الله عنه بأن ولى الأحداث من قرابته ممن ظهر فسقهم وعدم أمانتهم ، وقله علمهم .

وهذا قول باطل فليس هؤلاء الذين ولاهم عثمان رضي الله عنه كما وصفهم هؤلاء المبطلون .

أما معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فإنه صحابي جليل من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ومن كتاب الوحي ، ولاه قبل عثمان عمر رضي الله عنه وأثبت مقدرته على سياسة الأمور ، وأقره عثمان وأضاف إليه ولاية حمص.

وأما الوليد بن عقبة فإن عثمان ولاه الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص عنها وهو صحابي من مسلمة الفتح غير أن عثمان رضي الله عنه عزله بعد أن ظهر له سوء إدارته وشربه الخمر وصح عند أحمد أنه أمر علياً أن يقيم عليه الحد فجلده أربعين .

وأما سعيد بن العاص فقد كان من فصحاء قريش وممن ندبهم عثمان لكتابة القرآن واتهم بأنه أنقض أهل القادسية عطاءهم ولم يثبت ذلك وكان سعيد كما قال الذهبي : أميراً شريفاً جواداً حليماً. وقرب سعيد فقهاء الكوفة وقراءها وأبعد أصحاب الشر من زعماء القبائل وقام بأعمال جليلة وفتوح عظيمة في طبرستان وقضى على تمرد أذربيجان.

وأما عبد الله بن سعد بن أبي السرح رضي الله عنه : فإنه كان من كتاب الوحي فأزله الشيطان فارتد ولحق بالمشركين فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه ، ثم استجار له عثمان يوم الفتح فأجاره النبي صلى الله عليه وسلم وعفا عنه ، فأسلم وحسن اسلامه وهو ليس من بني أمية وإنما هو قريش عامري وهو أخو عثمان رضي الله عنه الرضاعة وقد ولى عمر رضي الله عنه عبد الله بن سعد الصعيد بمصر وكان محمود السيرة وتكلم فيه الطاعنون بأن عثمان ولاه بعدما فعل ما فعل وتقدم أنه تاب وحسن اسلامه وولاه عمر رضي الله عنه الصعيد .

ولم يثبت أن قوله تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَى إِلَيْهِ شَيْءٌ) نزل فيه .

وغزا رضي الله عنه في خلافة عثمان عدة غزوات في إفريقية والبحر المتوسط وأبلى فيها بلاءاً حسناً.

وصح أنه دعا الله تعالى أن يقبضه وهو يصلي : فاستجاب الله دعاءه فقبض وهو يسلم من صلاة الفجر.

وأما عبد الله بن عامر بن كريز فقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه أُتي به وهو صغير إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتفل عليه وعوذه فجعل يتسوغ ريق النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه لمُسْقى فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء وكان سخياً كريماً وهو الذي افتتح خراسان .

القضاة :

عين عثمان رضي الله عنه قضاة في الأمصار ، وكان أحياناً يطلب من الوالي أن يقوم بالقضاء إذا عزل القاضي من منصبه .

وكان بعض ولاته قضاة يتولون تلك المهمة كما كان واليه على اليمن يعلى بن أمية .

مقتل عثمان رضي الله عنه :

ذكر ابن كثير رحمه الله تعالى أن الخارجين على عثمان رضي الله وأرباب الفتنة كانوا في ولاية عمرو بن العاص على مصر لا يستطيعون أن يتكلموا بسوء في خليفة ولا أمير فلما عزل عثمان عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد بن أبي السرح قام هؤلاء من أهل مصر.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع الفتنة في عهد عثمان رضي الله عنه وأخبر أن عثمان رضي الله عنه يكون على الحق والهدى .

روى أحمد في فضائل الصحابة بسند صحيح عن مرة بن كعب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة كائنة ، فمر رجل متقنع فقال : أي النبي صلى الله عليه وسلم : هذا وأصحابه يومئذ على الهدى قال : فإذا عثمان بن عفان . أي الرجل المتقنع .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... فكان آخر كلام كلمة أن ضرب بين منكبيه ، وقال: يا عثمان ، إن الله عز وجل عسى أن يلبسك قميصاً ، فإن أرادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ، ثلاثاً.

أسباب الخروج على عثمان بن عفان رضي الله عنه :

لقد لفق الخارجون وعثروا الفتنة أكاذيب على عثمان سوغوابها الخروج عليه ومن ذلك.

١. أنه كتب المصحف وحرق ما سواه من المصاحف وهو أمر مبتدع، وهذا لم يرد على لسان المعارضة ولكنه يفهم من قول علي رضي الله عنه : لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوا الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا . ولعل الكلام علي ذلك كان أثناء فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه فبين علي رضي الله أن جمع عثمان للقرآن لم يكن من عند نفسه حتى ينتقد ويعاب ذلك عليه وإنما كان عن مشورة المسلمين .

٢. عدم شهوده بدراً ، وفراره يوم أحد وعدم اشتراكه في بيعة الرضوان ، ورد ابن عمر رضي الله عنه على هذه الافتراءات الثلاث كما ورد في صحيح البخاري فأما تغيب عثمان رضي الله عنه يوم بدر فكان لتمريضه زوجته رقية ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم بسهم من غنائم بدر وأما فراره يوم أحد فقد عفا الله عنه وعن من فر يومئذ . كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ) وأما تأخره عن بيعة الرضوان ، فلأن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه ليفاوض قريشاً ، فتأخر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان ، فضرب بها على يده ، وقال : هذه لعثمان .

٣. اتمامه الصلاة بمنى وقد قصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وأجيب عن هذا بأن عثمان رضي الله عنه أتم لأنه كان يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بالرخصة وكذا أبو بكر فأخذ هو بالشدة ، وكذلك ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تتم في السفر لهذا التأويل.

وذكر أنه كان من مطالب الخارجين : أن المنفي يقلب ، والمحروم يعطى ، ويوفر الفيء ، ويعدل في القسم ،ويستعمل ذوو الأمانة والقوة ، وثبت أنهم احتجوا عليه بأنه حمى الحمى ورد عليهم بأن عمر حماة قبله أيضاً وقد رد عثمان رضي الله عنه على احتجاجات وشبهات المعارضة الخارجة عليه جميعها .

- **عودة الخارجين إلى مصر على المدينة :**

وعاد الوفد إلى مصر بعد رد الصحابة عليهم كما ورد في خبر حسن انهم في طريق عودتهم إلى مصر مر بهم راكب ومعه كتاب من عثمان عليه خاتمه إلى والي مصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، فلما رأوا ذلك عادوا إلى عثمان فحاصروه في الدار.

ولاشك أن هذا الراكب اختلق قصته أولئك الوفد الخارجين ليبرروا قتله لأنه يستحيل أن يبعث عثمان رسولاً ثم يسلك طريقاً مجاور لأولئك الوفد ويعرض نفسه عليه . ويثير الشبهة حوله حتى يقبضوا عليه .

ومما يؤيد ذلك أيضاً أن عثمان ذكر لأولئك الوفد بعد رجوعهم أنه لم يكتب ذلك الكتاب المزعوم إلى والي مصر وأن الخط قد يكتب ويزور مثله وكذلك الختم وكان بإمكان أولئك الوفد أن يتحققوا من ذلك من ذلك الرسول المزعوم ولكنهم لم يفعلوا .

وقد أوردت كتب التاريخ من رواية سيف بن عمر وغيره أن عبد الله بن سبأ اليهودي كان له دور خطير في تأليب أهل الأمصار على عثمان وعلى ولاته ، وهذا أمر احتمال وقوعه كبير وإن لم يرد من طرق قوية، وابن سبأ حقيقة تاريخية وليس هو مجرد أسطورة كما يزعم البعض فقد روى الغزاري في السير بسند صحيح عن سويد بن غفلة أنه قال لعلي رضي الله عنه أنه مر بنفر يذكرون أبا بكر وعمر بغير الذي هما له أهل ويرون أنك تضمر لهما مثل ذلك، منهم عبد الله بن سبأ . فقال علي رضي الله عنه : مالي ولهذا الخبيث الأسود، معاذ الله أن أضمر لهما إلا الحسن الجميل ثم أمر بابن سبأ فنفي إلى المدائن

حصار عثمان بن عفان في الدار ومقتله:

لقد أصر الخارجون على عثمان رضي الله عنه على التمسك بموقفهم على الرغم من تفنيد عثمان رضي الله عنه لجميع شبههم وحججهم وطلبوا منه إذا أراد أن يسلم ويفك عنه الحصار أن يخلع نفسه من الخلافة ويتنازل عنها ولكنه رضي الله عنه رفض هذا العرض لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له كما تقدم إن الله ملبسك قميصاً فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه، وكان رضي الله عنه على علم تام بأنه مقتول فإن النبي صلى الله عليه وسلم بشره بالشهادة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري .

واستمر حصار عثمان رضي الله عنه في داره التي تقع في شرق الحرم النبوي وهي بالتحديد مقابل باب جبريل عشرين يوماً ، وقيل شهراً وقيل أربعين يوماً وقيل شهرين وعشرين يوماً.

ومنع المحاصرون عثمان رضي الله عنه من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وكان يصلي بهم أحد قادة الفتنة قيل إنه عبد الرحمن بن عديس البلوي المصري وكان عثمان رضي الله عنه يشرف على محاصريه ويذكرهم الله ويذكرهم بفضائله ويرد على مزاعمهم ، وبعد أن أيقن رضي الله عنه أنه لا فائدة من عمله ذلك وأن قضاء الله نافذ لا محالة فتح داره للذين يحاصرونه ونشر مصحفه أمامه وأمر الصحابة رضوان الله عليه بعدم الدفاع عنه وقتل أنفسهم فقال رضي الله عنه : أعزم على كل من رأى أن عليه سمعاً وطاعة إلا كف يده وسلاحه . رواه خليفة بن خياط بسند صحيح .

ودخلوا عليه بعد خروج من كان معه من الصحابة ، وروي بسند حسن أن أول من دخل عليه رجل فذكره عثمان بالله فخرج ثم دخل عليه آخر فقال له عثمان رضي الله عنه : بيني وبينك كتاب الله ، فأهوى إليه بالسيف ، فاتقاه عثمان بيده فقطعها ، وقيل إن أول من ضربه رجل يسمى رومان ضربه بصولجان وهي العصا الغليظة الرأس.

وأكثر الروايات تشير إلى أن قاتل عثمان رضي الله عنه رجل مصري من بني سدوس أسود البشرة ولم يحدد اسمه .

وكان قتله رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين من الهجرة في ذي الحجة وكان عمره على قول الجمهور اثنين وثمانين عاماً. ودفن رضي الله عنه في حش كوكب قرب البقيع ثم ادخل هذا المكان في البقيع بعد توسعته من الجهة الشمالية الشرقية.

٤ - خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه

نسبه : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم .

مولده : ولد بمكة قبل البعثة قيل بعشر سنين ورجحه ابن حجر ، وقيل بخمس .

كنيته : أبو الحسن والحسين ، ويكنى بأبي تراب كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثبت ذلك في صحيح البخاري .

صفاته الخلقية : كان رضي الله عنه آدم شديد الأدمه ، أشكل العينين عظيمها ، ذو بطن ، أصلع ، إلى القصر أقرب ، عظيم اللحية قد ملأت صدره ومنكبيه كثير شعر الصدر والكتفين ، خفيف المشي على الأرض .

صفاته الخُلقية : كان شجاعاً خطيباً بليغاً ، عرف ببراعته في القضاء قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : علي أقضانا . رواه البخاري في الصحيح .

وعرف ببراعته وفصاحته وقدرته على الاقناع ، فقد بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن داعياً فأسلمت همدان كلها على يديه في يوم واحد . رواه الطبري بسنة حسن.

إسلامه : هو أول من أسلم من الصبيان أو الغلمان ورجح ابن جرير أن اسلامه كان وهو ابن عشر سنين .

وسبب اسلامه : أنه تربى عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كفله رداً لجميل أبي طالب حين كفله وهو صغير ،وكان قليل المال كثير العيال . رواه الترمذي بسند صحيح

وفي الهجرة إلى المدينة ثبت بسند حسن أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن ينام في فراشه في بيته الذي أحاط به المشركون وشهد رضي الله عنه المشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا تبوكاً فإن النبي صلى الله عليه وسلم أنابه على المدينة فقال : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى .

وكانت له مواقف مشهودة في غزوة بدر وأحد والخندق وخيبر ولم يثبت بسند صحيح أو غيره أن النبي صلى الله عليه وسلم عهد إليه بالخلافة من بعده ولو ثبت لا حتج به على الخلفاء قبله ولم يثبت هذا والقول به يلزم منه تخوين الصحابة رضي الله عنه وأنهم تمالؤا على عدم تنفيذ وصية النبي صلى الله عليه وسلم .

فضائله :

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة خيبر بأنه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وهو أحد أصحاب الشورى الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة من بعده الذين توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضي ، وفضائله كثيرة .

توليه الخلافة :

تولي علي رضي الله عنه الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه في ظروف خطيرة سيطر فيها الخارجون والناقمون على عثمان على الأمر وأفلت الأمر من يد كبار الصحابة ولم تعد ثمة سلطة تحكم الدولة .

وقد رشح علي للخلافة في أثناءحصار الخارجين على عثمان رضي الله عنه ولا شك أنه أولى من بقي من أصحاب الشورى الستة وأفضلهم . روى الطبري بسند صحيح عن الأحنف بن قيس أنه حج فلقي طلحة والزبير ، والناس مجتمعون حولهم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال الأحنف لطلحة والزبير: إني لأرى هذا الرجل يعني عثمان مقتولاً فمن تأمراني به؟ قالا علي ، قال الأحنف : ثم قدمنا مكة فلقيت عائشة ، وبلغنا مقتل عثمان ، فقلت لها: من تأمرني به؟ قالت : علي ، قال : فرجعنا إلى المدينة فبايعت علياً.

وروى الإمام أحمد بسند صحيح أن الناس اجتمعوا على علي رضي الله عنهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ، فدخل بيته كراهية توليه الخلافة، وأغلق عليه بابه ، فأتوه وضربوا عليه بابه ودخلوا عليه ، وقالوا : إن هذا الرجل قد قتل، ولا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك ، فقال لهم : لا تريدوني فإني لكم وزيراً خير مني لكم أميراً ، فقالوا: لا والله ما نعلم أحداً أحق بها منك

، قال: فإن أبيتم علي ، فإن بيعتي لا تكون سراً ولكن أخرج إلى المسجد ، فمن شاء أن يبايعني بايعني فخرج إلى المسجد فبايعه الناس.

من تخلف عن بيعة علي رضي الله عنه :

توقف عدد من الصحابة رضي الله عنهم عن بيعة علي رضي الله عنه ورأوا أن الناس في اختلاف وفرقة وفتنة وأنه ينبغي الانتظار حتى تنجلي تلك الفتنة ثم يبايعوا على بصيرة

ومن الصحابة الذيـــن لم يبايعوا محمد بن مسلمة ، وأهبان بن صفي ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر .

كذلك لم يبايع علياً معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام وكثير من أهل البصرة ومصر واليمن وطالبوا بالاقتصاص أولاً من قتله عثمان رضي الله عنه.

ويرى ابن حزم رحمه الله أن عدد من لم يبايع علياً مثل عدد من بايعه وهم مائة ألف مسلم

غير أن معظم أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار بالمدينة بايعوا لعلي رضي الله عنه وبذلك انعقدت له البيعة وصار خليفة للمسلمين ، وأقر ببيعة علي رضي الله عنه كبار الصحابة وكان يحج بالناس ، ويقيم الحدود ، ويقسم الفيء ، وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينادونه يا أمير المؤمنين ، فكيف لا يكون خليفة كما قال الإمام أحمد

وقال ابن تيمية : المنصوص عن أحمد تبديع من توقف في خلافة علي وقال : هو أضل من حمار أهله ، وأمر بهجرانه ونهى عن مناكحته . الفتاوى ٤٣٨/٤

بعض القضايا الهامة في خلافة علي رضي الله عنه :

١- نقل علي رضي عنه مقر الخلافة إلى الكوفة حيث أنه خرج إليها بعد موقعة الجمل لأن بها أنصاره.

٢- لم تقع أي فتوحات جديدة في خلافة علي رضي الله عنه بسبب الحرب بين علي ومعاوية رضي الله عنهما .

٣- تقلصت الموارد المالية، واستهلك كثير من ميزانية الدولة في الحرب بين علي ومعاوية .

الحرب بين علي ومعاوية :

كان من أكبر القضايا التي واجهت علياً بعد توليه الخلافة ، وكانت سبباً في الحرب بينه وبين معاوية :الاقتصاص من قتله عثمان ابن عفان رضي الله عنه .

وطالب بها في المدينة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وبالشام معاوية بن أبي سفيان وكان معاوية يرى أنه ولي دم عثمان وله الحق في المطالبة به ولكن علياً رضي الله عنه لم يكن قادراً على إيقاع العقوبة والقصاص بالقتلة في ظل الفتنة والانشقاق الذي يسود الأمة ، بل إنه لم يكن يعرف من هم القتلة وأين هم.

موقعة الجمل :

وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة بعد مضي أربعة أشهر من مطالبة المعارضة بدم عثمان رضي الله عنه وعدم تنفيذ علي لذلك، خرج الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ومعهم أنصارهم من مكة متوجهين إلى البصرة ، وبلغ عددهم في البصرة ثلاثة آلاف، وبعد وصولهم إلى البصرة انضم إليهم معظم أهلها سوى الأحنف بن قيس ومعه ستة آلاف من قومه بني تميم.

وقد روى الطبري بسند صحيح أن الأحنف قال : إن خذلاني لهؤلاء ومعهم أم المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد ، وإن قتالي رجلاً ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أمروني ببيعته لشديد ، واعتزل رحمه القتال معهم .

وحين وصل جيش الزبير وطلحة البصرة غلبوا عليها ولم يتمكن والي علي رضي الله عنه عليها عثمان بن حنيف من مقاومتهم ، وتوجه جيشهم إلى بيت مال البصرة ، فقاومهم حكيم بن جبلة العبدي أحد قادة الفتنة في مقتل عثمان رضي الله عنه فقتلوه وسبعين من قومه وكانوا شاركوا في حصار دار عثمان رضي الله عنه واستولى الجيش على بيت المال .

خروج علي رضي الله عنه إلى العراق

علم علي رضي الله بما فعله جيش طلحة والزبير فأدرك خطورة الموقف. فاستنفر الناس وسار بهم نحو الكوفة بعد أن عزل واليها أبا موسى الأشعري رضي الله عنه لأنه اعتزل الدخول مع أي الفريقين .

وانضم لعلي وهو بذي قار قرب الكوفة ما بين ستة آلاف وسبعة آلاف رجل ، والتحق به ألفان من أهل البصرة ، وفئات من قبائل أخرى فأصبح عدد جيشه اثني عشر ألفاً منهم ثمانمائة من الأنصار وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان .

محاولات الإصلاح :

وقد بذلت محاولات عديدة لتجنب القتال واجتمع علي بطلحة والزبير ، وأقر له انه لم يفعل ما يوجب السخط عليه . رواه أحمد بسند حسن ولم تأت تلك المحاولات والمفاوضات بنتيجة .

بداية القتال ونتائجه :

دلت الروايات الصحيحة أن الذي بدأ بالقتال جيش الزبير بن العوام وطلحة واستمر القتال من بعد الظهر حتى غروب الشمس ، وكان جيش الزبير وطلحة يذب عن جمل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت مع الجيش فما غربت شمس ذلك اليوم وحول الجمل عين تطرف . رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح .

واتضح للزبير المأساة التي لحقت بجيشه وبالمسلمين وخيرة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف لا يريد القتال فلحق به عمر أو عمير بن جرموز وآخرين إلى ماء قرب البصرة يسمى سفوان فقتلوه . رواه ابن سعد بسند صحيح .

ورمى مروان بن الحكم طلحة بن عبيد الله بسهم فقتله . رواه ابن سعد بسند صحيح .

النتائج:

١- كان عدد القتلى من الجيشين عشرون ألفاً.

٢- كان النصر في هذه المعركة لجيش علي بن أبي طالب.

٣- ندم كل من الفريقين على ما وقع بينهما من قتال وسقوط القتلى قال الحسن بن علي رضي الله عنه: لقد رأيته أي علي بن أبي طالب حين اشتد القتال يلوذ بي ويقول : يا حسن لوددت أني مت قبل هذا بعشرين حجة أو سنة . رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

وقالت عائشة رضي الله عنها : وددت أني كنت غصناً رطباً ولم أسر مسيري هذا. رواه ابن شيبة بسند صحيح .

٤- كان كلاً الفريقين يعتقد عصمة دم الفريق الآخر وحرمة ماله وأهله وأنه من أهل الإسلام . فقد صح ان عائشة رضي الله عنها ترحمت على زيد بن صوحان وكان في جيش علي رضي الله عنه .

وقال عمّار بن ياسر لعلي رضي الله عنهما يوم الجمل: ما ترى في سبي الذرية؟ فقال : إنما قاتلنا من قاتلنا . فقال عمار : لو قلت غير هذا لخالفناك . رواه ابن أبي شيبة بإسناد حسن

٥- اخذ علي رضي الله عنه بعد موقعة الجمل البيعة من أهل البصرة .

موقعة صفين سنة ٣٦ هـ :

كانت القتال فيها بين علي ومعاوية رضي الله عنهما

فقد أصر معاوية على تسليم علي لقتلة عثمان رضي الله عنه قال معاوية : ما قاتلت علياً إلا في أمر عثمان . إسناده حسن .

ولعل مما كان يجعل معاوية يصر على موقفه اعتقاده أنه على الحق لما ورد من أحاديث تؤيد موقفه من المطالبة بدم عثمان رضي الله عنه منها وصف النبي صلى الله عليه وسلم الخارجين على عثمان بالمنافقين كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم : فإن أرادك المنافقون على خلعه ..... وأخباره صلى الله عليه وسلم أن فتنة ستكون ويكون عثمان رضي الله عنه على الهدى وقد تقدم . ولكن الحق كان مع علي رضي الله عنه لأنه خليفة المسلمين وتجب طاعته ولأنه كان غير قادر على إيقاع العقوبة بقتلة عثمان بعدم معرفته بهم في ظل الفتنة القائمة لذلك كان ابن عمر يقول متندماً على عدم قتاله مع علي رضي الله عنه وكان قد اعتزل الفريقين : ما آسى على شيء كما آسى أني لم أقاتل مع علي رضي الله عنه . رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

ومما أظهر رجاحة موقف علي رضي الله عن وأنه على الحق وجود عمار بن ياسر مع علي رضي الله عنه ومقتله على يد قوات معاوية وقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر : تقتلك الفئة الباغية ، وسنده صحيح .

ولكن هذا لم يتبين إلا بعد نهاية معركة صفين .

تهيأ الجيش وبداية القتال:

اشترك الأحنف بن قيس التميمي في حرب صفين وكان اعتزل القتال في الجمل .

تجمع جيش علي بالنخيلة غرب الكوفة وكان في جيش علي رضي الله عنه عدد من الصحابة البدريين وأصحاب بيعة الرضوان ، وكان عدد جيشه ما بين خمسين ألفاً ومائة وخمسين ألفاً .

وكان عدد جيش معاوية ما بين ستين أو سبعين ألفاً إلى مائة وعشرين ألفاً.

سار علي رضي الله عنه بجيشه واجتاز المدائن حتى عبر الفرات قرب الرقة ونزل على صفين وكان جيش معاوية نزل قبله عليها واستولى على المياه واستطاع جيش علي تخليص المياه .

استمر القتال بين الجانبين بشكل كتائب محدود طيلة الأسبوع الأول من المحرم سنة ٣٧هـ ثم بدأ القتال وكان الأمل يحدو الجانبين إلى تجنب القتال ولكن القتال استمر ثلاثة أيام بلياليها.

وصف أبي العالية رضي الله عنه لحال الجيشين :

قال رضي الله عنه : لما كان زمن علي رضي الله عنه ومعاوية ، وإني لشاب القتال أحب إلي من الطعام الطيب ، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم فإذا صفان لا يرى طرفاهما ، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء ، وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء ، قال : فراجعت نفسي ، فقلت: أي الفريقين أنزله كافراً ، وأي الفريقين أنزله مؤمناً ، فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم . رواه ابن سعد بسند حسن .

نتائج المعركة :

١- انتصار جيش علي رضي الله عنه ومقتل خمسة وأربعين ألفاً من أهل الشام وخمسة وعشرين ألفاً من أهل العراق .

٢- التزام كلا الطرفين بأحكام البغاة ، فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلاً. رواه ابن سعد وصححه الألباني في إرواء الغليل ١١٤/٨.

٣- سئل علي رضي الله عنه قتلى صفين ، فقال : قتلانا وقتلاهم في الجنة ، ويصير الأمر إلي وإلى معاوية ، سنده حسن .

التحكيم :

كان الذي عرض فكرة التحاكم إلى كتاب الله عمرو بن العاص رضي الله عنه لانقاذ جيش الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه من إجهاز جيش علي على بقيته الباقية .

فقام رجل من جيش الشام يحمل المصحف وقال : بيننا وبينكم كتاب الله . فقال علي رضي الله عنه : أنا أولى بذلك بيننا وبينكم كتاب الله . رواه أحمد بسند صحيح .

وقبل معظم جيش علي رضي الله عنه التحكيم واستجابوا لعلي رضي الله عنه .

ولكن عدداً من القراء من جيش علي رضي الله عنه رفضوا التحكيم وقالوا لا حكم إلا الله .

فقال علي رضي الله عنه : كلمة حق أريد بها باطل واعتزل القراء جيش علي رضي الله عنه وزعموا أنه محا اسمه من إمرة المؤمنين وذلك بعد كتابه وثيقة التحكيم لأن معاوية رفض أن يكتب علياً في وثيقة التحكيم: هذا ما قاضي عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فمحا علي أمير المؤمنين وكتب هذا ما قاضي عليه علي بن أبي طالب . رواه أحمد بسند صحيح .

كان مكان التحكيم دومة الجندل وكان الذي يمثل علياً فيه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه ويمثل معاوية عمرو بن العاص وحضر التحكيم عدد من الصحابة .

نتيجة التحكيم :

١- لم يفض التحكيم إلى نتيجة واستمر الأمر على ما هو عليه علي خليفة للمسلمين ومعاوية أميراً على الشام ولم يبايع لعلي ، ولم يفض النزاع في قضية الاقتصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه .

قتال علي رضي الله عنه الخوارج :

كان عدد القراء الذين رفضوا التحكيم بعد صفين أربعة آلاف فهم أقلية في جيش علي الذي يزيد عدد على الخمسين ألفاً.

وقال عروة بن حدير التميمي (أتحكمون في أمر الله الرجال لا حكم إلا لله) وصار هذا شعار حركة الخوارج وسموا (بالمحكّمة) وسموا (بالخوارج) لخروجهم على بيعة علي رضي الله عنه وسمو (بالحرورية) نسبة لقرية حروراء التي انشقوا فيها عن علي رضي الله عنه قرب الكوفة .

وزاد عدد الخوارج حتى وصل في مرحلة متأخرة إلى أربعة وعشرين ألفاً وصح أن علياً رضي الله عنه بعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنه فناظرهم في قضية تحكيم الرجال وبين لهم أن ذلك في كتاب الله قال تعالى : (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ) وقال تعالى : (فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا) وأما محو علي اسمه من أمير المؤمنين فإن النبي صلى الله عليه وسلم محا محمد رسول الله وكتب محمد بن عبد الله وبعد هذا الحوار والمناظرة رجع منهم أربعة آلاف منهم أحد زعمائهم وهو عبد الله بن الكواء وقبل أيضاً شبث بن ربعي

وظن الخوارج أن علياً رجع عن التحكيم حتى حضروا خطبته للجمعة فعلموا أنه مازال على أخذه وعمله بالتحكيم والكفر كما يزعمون.

وروى ابن أبي شيبة بسند حسن أن عدداً كبيراً من الخوارج رجع بعد مناظرة بعض الصحابة لهم أيضاً ولم يتبقى منهم على الخروج سوى أربعة آلاف.

تجهز الخوارج لقتال علي رضي الله عنه

بايع الخوارج عبد الله بن وهب الراسبي ونقضوا بيعة علي رضي الله عنه ، وخرج بهم الراسبي خفية لئلا يصدهم أحد إلى النهروان وكان علي رضي الله عنه قد تجهز لقتال أهل الشام بعد فشل التحكيم بجيش قوامه ثمانية وستون ألفاً ومائتين (٦٨,٢٠٠).

غير أن علياً رضي الله عنه قرر المسير بجيشه أولاً لقتال الخوارج بالنهروان وذلك بعد انتشر شرهم وفسادهم وقتلوا الناس وكان ممن قتلوه عبد الله بن خباب رضي الله عنه وأم ولده كما ثبت ذلك عند ابن أبي شيبة بسند حسن .

سار علي رضي الله عنه وعسكر في الضفة الغربية لنهر النهروان والخوارج شرقة وطلب علي من الخوارج تسليم قتلة عبد الله بن خباب فأجابوه كلنا قتلناه ، رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح .

فاستحل علي رضي الله عنه قتالهم وقاله لجنده : تذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم ، والله إني لأرجوا الله أن يكونوا هؤلاء (أي الذين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم شيء ، ولا صلاتكم إلى صلاتهم شيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم) قال علي فإنهم قد سفكوا الدم الحرام ، وأغاروا على سرح الناس ، فسيروا على اسم الله . رواه مسلم في الصحيح .

قام علي رضي الله عنه بالهجوم على قوات الخوارج بعد أن عبروا إليه النهر في معركة خاطفة وغير متكافئة ، فأجهز جيش علي رضي الله عنه على جيش الخوارج إجهازاً كاملاً ولم يُصب من جيش علي سوى رجلين وأخرج المخدج من جيش الخوارج الهالك وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يخرج مع الخوارج وأن علامته أنه رجل له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فأخرجوه

ووجدوا صفته كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم في الصحيح وكان هذا دليلاً على ضلال الخوارج وعلامة على أن علياً رضي الله عنه ومن معه على الحق والهدى.

الموقف بعد معركة النهروان ومقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

أصيب بعض قرابة الخوارج في جيش علي رضي الله عنه من أهل البصرة والكوفة بالحزن لمقتل قرابتهم فأصيبوا بالوهن وأثر ذلك على معنويات الجيش بينما كان جيش معاوية رضي الله عنه في منأى عن الحرب وأخذ النقاهة الكافية بعد موقعة صفين واستفاد معاوية من ذلك فبعث عمرو بن

الحسن أحد الخلفاء الراشدين:

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الحسن سيد المسلمين ، وأحد علماء الصحابة وحلماؤهم وذوي آرائهم ، والدليل على أنه أحد الخلفاء الراشدين الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة من طرق عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الخلافة من بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً).

وإنما اكتملت الثلاثون بخلافة الحسن رضي الله عنه ، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، وذلك كمال الثلاثين من موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكائنة العظيمة التي حقن بها دماء الأمة ، وأثنى على الحسن رضي الله عنه وهو من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته فعن أبي بكر رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد المنبر يوماً ، وجلس الحسن بن علي إلى جنبه ، فجعل ينظر إلى الناس مرة وإليه أخرى ، ثم قال : أيها النـــاس ، إن ابني هذا سيد ، وسيصلح به بين فئتين عظيمتين . رواه البخاري في الصحيح .

العاص فأخضع مصر لسلطته وتعاون معه العثمانية الموجودون في مصر مما أضاف لموقف معاوية قوة بشرية واقتصادية .

وأمام ذلك لم ينشط جيش علي رضي الله عنه لمواجهة جيش الشام وبدأ الملل يظهر فيهم وشعر علي رضي الله عنه بأن جنده أصابتهم السآمة والكراهة والملل فكرههم وملهم وقال في خطبته اللهم إني قد سئمتهم وسئموني ، ومللتهم وملوني ، فأرحني منهم وأرحهم مني ؛ ثم قال فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم ، ووضع يده على لحيته . رواه عبد الرزاق في المصنف بسند صحيح .

وكأن علي رضي الله عنه شعر بمن يخطط ويدبر من العراقيين لقتله وفي الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة طعنه عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي وهو يصلي صلاة الفجر ولم يمت مباشرة وأوصى بقاتله خيراً وقال : إنه أسير فأحسنوا إليه وأكرموا مثواه ، فإن بقيت قتلت أو عفوت ، وإن مت فاقتلوه قتلي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين . رواه ابن سعد في الطبقات بسند حسن لغيره .

وقبل وفاته رضي الله عنه طلب منه أن يستخلف فأبى وقال : إن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي رضي الله عنه في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة .

بيعة الحسن بن علي رضي الله عنه :

بعد وفاة علي رضي الله عنه صلى عليه ابنه الحسن رضي الله عنه ثم بويع الحسن وكان أول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة ، وقال : أبسط يدك أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، فسكت الحسن ، فبايعه ثم بايعه الناس بعده .

ثم إن الناس غلبوا الحسن رضي الله عنه على رأيه فأرغموه على السير لقتال معاوية رضي الله عنه ، فسار بهم بقيادة قيس بن سعد في اثني عشر ألفاً والجيش خلفه ، فلما وصل المدائن ، صرخ صارخ أن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل ، فثار الناس فانتهب بعضهم بعضاً حتى انتهبوا سرادق الحسن ونازعوه بساطاً كان جالساً عليه ، وطعنه بعضهم طعنة أشوته ، فكرههم الحسن ، فكتب إلى معاوية يعرض عليه الصلح ، فبعث إليه معاوية عبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن سمرة فقدما عليه الكوفة ، وبذلا له مالاً ، فاشترط الحسن رضي الله عنه لتنازله عن الخلافة ثلاثة شروط :

١- أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف درهم .

٢- أن يكون خراج دار بجرد له .

٣- أن لا يسب علي وهو يسمع .

فاستجاب معاوية لذلك ، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية حفاظاً للأمة وحقناً لدماء المسلمين ، وقطعاً للفتنة وسمي هذا العام بعام الجماعة .

الدولة الأموية

الدولة الأموية

تأسست الدولة الأموية على يد معاوية بن أبي سفيان بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما له عن الخلافة .

ولقد وقف بعض الكتاب والمؤرخين من السابقين والمتأخرين من الدولة الأموية موقفاً عدائياً وذلك راجع إلى أمور وهي:

١- موقف العداء الذي وقفه كثير من الأمويين من الإسلام في البداية وخاضوا المعارك ضده ، ولم يسلموا إلا متأخرين عند فتح مكة .

٢- دخول الأمويين في حروب مع آل البيت مما جعل عواطف الناس تميل إلى آل البيت ضد الأمويين كالحرب بين علي ومعاوية وما بعد ذلك .

٣- بعض الأخطاء التي ارتكبها الأمويون والتي هزت مشاعر المسلمين مثل حادثة مقتل الحسين بن علي وموقعه الحرة ، ومقتل عبد الله بن الزبير. غير أن من العدل النظر إلى المناقب والمثالب وليس المثالب فقط ، فلئن وقع بين بني أمية ما وقع فإنه كان منهم السابقون إلى الإسلام ومن حسن إسلامهم وأبلوا بلاء حسناً في الذود عن الإسلام ورفع رايته . وكان للدولة الأموية الفضل الكبير بعد الله في ضم مناطق شاسعة من العالم وأدخلها ضمن حدود الدولة الإسلامية ونشر الإسلام والعلم والأمن والعدالة فيها ، ولم تنتكس فيها راية الجهاد فيها بل ظلت خفاقة عالية حتى سقوط تلك الدولة العلية .

الخلفاء :

١) معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ٤١- ٦٠هـ

نسبه : هو معاوية بن أبي سفيان ﷺ صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وهو خال المؤمنين فأخته هي أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما.

مولده : ولد رضي الله عنه قبل البعثة بخمس سنوات وهو الأشهر كما قال ابن حجر.

إسلامه : ذكر الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية ، وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح وأنه كان في عمرة القضاء مسلماً ، وهذا يعارضه ما ثبت في الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أنه قال في العمرة في أشهر الحج : فعلناها ، وهذا أي معاوية يومئذ كافر قال ابن حجر: ويحتمل إن ثبت الأول أن يكون سعد أطلق ذلك بحسب ما اصطحب من حاله ولم يطلع على أنه كان أسلم لإخفائه لإسلامه .

صفاته الخلقية : كان طويلاً أبيض ، أجلح جميلاً.

صفاته الخُلقية : كان فصيحاً ، حليماً، وقوراً ، وكان من دهاة العرب ومن أوفرهم حظاً بالسياسة ، وكان عمر بن الخطاب إذا رآه قال: هذا كسرى العرب.

فضائله : كان رضي الله عنه من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم ودعا له فقال : اللهم اجعله هادياً مهدياً واهديه . رواه الترمذي وصححه الألباني.

توليه الحكم :

تولى الحكم بعد أن تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة قال ابن كثير رحمه الله : فأيام معاوية أول الملك ، فهو أول ملوك الإسلام وخيارهم .

دخل معاوية الكوفة ، وأخذت له البيعة بحضور الحسن والحسين في الخامس والعشرين من ربيع الثاني في سنة إحدى وأربعين من الهجرة وبايعه الجميع سوى الخوارج .

لم يكن معاوية رضي الله عنه قبل الحكم بعيداً عن الجهاد والسياسة ففي خلافة الصديق رضي الله عنه شارك في قتال مسيلمة الكذاب وأبلى بلاء حسناً في موقعة اليمامة ، وبعثه الصديق مع أخيه يزيداً إلى بلاد الشام لفتحها وكان له دور كبير في فتح مدن صيدا وبيروت وعكا وغيرها .

وفي خلافة عمر رضي الله عنه ولاه الأردن وولى أخاه يزيد الشام (دمشق) ولما توفي يزيد في طاعون عمواس أضاف عمر إليه دمشق وفي خلافة عثمان رضي الله عنه ولاه الشام بأجمعه ثم استقل بها بعد مقتله .

سياسة معاوية التي سار عليها :

١- تحقيق الاستقرار الداخلي والتوسع في الفتوحات وإنشاء جيش قوي محكم التنظيم .

٢- إخضاع المعارضة ، وتحقيق التوازن القبلي.

٣- الإحسان إلى كبار الشخصيات الإسلامية من الصحابة وأبنائهم وخاصة بني هاشم .

٤- اختيار القادة ورجال السياسة الأكفاء من الأمراء والوزراء .

٥- الوقوف المباشر على مصالح المسلمين وأمور المسلمين ، ورعايتها بنفسه .

المعارضة :

١- الخوارج :

لم يبايع الخوارج معاوية ورأوا أنه انحرف عن الإسلام لاتخاذه القصور والحراس والحجاب وغير ذلك من مظاهر البلاط البيزنطي .

وتجهز الخوارج لقتال معاوية ، وحارب معاوية رضي الله عنه الخوارج في العراق وقتل أعداد كبيرة من زعمائهم وأباد مثلها من جندهم ومن حركات الخوارج التي قضى عليها في الكوفة والبصرة حركة المستورد بن علقمة ، وحركة حيان بن ظبيان السلمي وسهم بن غالب والخطيم الباهلي

وكان أول الخارجين على معاوية فروة بن نوفل الأشجعي بالنخيلة قرب الكوفة وتم اخضاعه وكانت تلك الحروب في الأعوام من ٤١-٥٨هـ .

٢- الشيعة :

انتشر شيعة علي رضي الله عنه في الكوفة والبصرة واستطاع واليه على الكوفة المغيرة بن شعبة تهدأه الموقف بلينة ثم ولى معاوية على الكوفة والبصرة زياد بن أبيه فأخذهم بالقوة فضعف موقفهم ولم يرتفع صوت معارض فيهم سوى حجر بن عدي فقبض عليه وقتل.

٣- استتب الوضع خارج العراق لمعاوية ولكنه كان يخشى من التكتل الهاشمي في الحجاز كالحسن والحسين وعبد الله بن الزبير فوضعهم تحت المراقبة وولى على الحجاز ولاة من بني أمية فكان على إمره المدينة مروان ابن الحكم وسعيد بن العاص ، وشجع معاوية النشاط غير السياسي مثل الشعر والعلوم الدينية .

وقد أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد من بعده بقصد تثبيت قواعد ملك الأمويين وخوفاً من عودة الفتنة للأمة الإسلامية ولكن لم يستجب له الحسن والحسين وابن الزبير.

الفتوحات :

الشرق :

عمل معاوية رضي الله عنه على نشر الإسلام في بلاد فارس وخراسان وكذلك نشر اللغة والثقافة العربية لذلك قام بإسكان الآلاف الأسر العربية في فارس وخراسان وقام مع ذلك بإرسال جيوش لإعادة اخضاع بعض المدن وفتح ما لم يفتح منها .

وأعيد في عهد معاوية فتح بعض المدن في فارس وخراسان مثل باذغس وهراة وبلخ وكابل وعبر المسلمون نهر سيحون ووصل إلى بيكند وهزم الترك واضطرت الملكة خاتون لدفع الجزية لعبيد الله بن زياد .

ثم دخل المسلمون بقيادة سعيد بن عثمان بن عفان بخارى واخضع سمرقند وترمذ .

الغرب:

ركز معاوية رضي الله عنه جهوده للتصدي للدولة البيزنطينية وذلك لأسباب هي : قرب الدولة الدولة البيزنطية من مركز القيادة في دمشق ولا زال خطر الدولة البيزنطية على الدولة الإسلامية قائماً وكانت اهدافها واضحة في طرد المسلمين من البلاد التي استولوا عليها في الشام ومصر وتمثلت جهوده في الآتي:

١- قام معاوية بفتح عدة مدن على مناطق الثغور الحدودية ففتح سميساط وملطية وحصن زيطرة .

٢- ورمم المدن الساحلية لمواجهة غارات البيزنطين البحرية .

٣- وضع نظام الشواتي والصوائف وهي حملات عسكرية منتظمة تغير على الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى .

٤- وغزا معاوية الجزر البحرية المواجهة لساحل الشام مثل أرواد وقبرص ورودس لجعلها مراكز أمامية لشن الحملات العسكرية .

٥- أعد أسطولاً بحرياً تمكن من معاوية من إحكام السيطرة على سواحل بلاد الشام .

٦- أرسل معاوية حملة عسكرية برية ضخمة سنة ٤٩هـ لمحاصرة القسطنطينية ولكن الجيش لم يتمكن من تحقيق النصر لقوة تحصينها ونفاذ المؤن وبعد طرق الإمدادات ولكنه استولى على الجزر القريبة من القسطنطينية وأحكم الطوق البحري على القسطنطينية وحاصر معاوية القسطنطينية مرة أخرى سنة ٥٤هـ واستمر الحصار سبعة أعوام ، ولم يحقق انتصاراً حاسماً ، ورأى معاوية رفع الحصار لعدم تحقيقه أهدافه ولأن الروم رغبوا في ذلك لأن الحصار أنهك قواهم ولأن معاوية شعر بدنو أجله ، فرأى أن يعود الجيش الضخم الذي يحاصر القسطنطينية لمواجهته أي مشكلة تواجه الدولة بعد وفاته ، وعقدت هدنة بين الروم والمسلمين لمدة ثلاثين عاماً.

فتح إفريقية :

كان بدء فتح إفريقية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففتح عمرو بن العاص برقة وطرابلس الغرب.

وفي عهد عثمان رضي الله عنه فتح عبد الله بن سعد بن أبي السرح حصن الأجم جنوب القيروان . وتوقفت الفتوحات بسبب الفتن الداخلية .

وبعد أن تولى معاوية الخلافة قام بفصل برقة وطرابلس عن مصر سنة ٤٩هـ وولى عليها عقبة بن نافع الفهري رحمه الله تعالى وقام عقبة بن نافع الفهري بفتوحات عظيمة وهو الذي اختط وبني مدينة القيروان سنة ٥٠هـ في منطقة صحراوية بعيدة عن هجمات البيزنطيين البحرية واتبع عقبة مع البربر سياسة العنف فأفضى بهم ذلك إلى التحالف مع البيزنطيين فعزله معاوية وولى أبا المهاجر الأنصاري ، فاتبع سياسة أكثر اعتدالاً مع البربر فأقبلوا على الإسلام.

وفتح أبو المهاجر قرطاجنة وجزيرة شيريك وميله وأخذ يبث الدعوة إلى الإسلام في المغرب الأدنى بين البربر ثم تقدم نحو المغرب الأوسط (الجزائر) وأعد زعيم البربر كسيلة جيشاً كثيفاً واعتبر أن هذه المعركة معركة مصيرية وكذلك اعتبرها المسلمون وتقدم أبو المهاجر واشتبك بقوات البربر فحلت بهم الهزيمة وأسر كسيلة وجيء به إلى أبي المهاجر فأحسن معاملته وأسلم كسيلة ، واستعان به أبو المهاجر في فتح تلمسان

وعاد أبو المهاجر إلى القيروان ثم عزله يزيد بن معاوية عام ٦٥هـ بعد وفاة مولاه مسلمة بن مخلد والي مصر الذي كان سنده القوي.

النواحي الإدارية :

تطورت الدواوين في عهد معاوية تطوراً كبيراً بفضل انفتاحه على الحضارات الرومية والفارسية ، وأنشأ معاوية ديوان الخاتم الذي تختم فيه توقيعات الخليفة ويستقبل الرسائل الواردة من الولاة وأنشأ كذلك ديوان البريد الذي ينقل الرسائل من دار الخلافة وإليها وكان موظفي هذا الديوان عيوناً للخليفة يراقبون الولاة والعمال ويرفعون إلى الخليفة تقاريرهم .

وفاة معاوية :

توفي رضي الله عنه بعد مرضه في دمشق وكان ابنه يزيد غائباً عنها فدعى الضحاك بن قيس ومسلم بن عقبة وأبلغهما وصيته إلى يزيد ثم توفي في شهر رجب سنة ٦٠هـ

٢- يزيد بن معاوية ٦٠- ٦٣ هـ

أمه : ميسون بنت بحدل الكلبية تزوجها معاوية قبل أن يلي الخلافة ونشأ يزيد في كنف أمه التي تركت دمشق وعاشت في بادية قومها فشب فصيحاً وشاعراً.

توليه الخلافة :

عهد إليه معاوية رضي الله عنه بولاية العهد من بعده وبايعه الناس وتخلف عن بيعته الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن الزبير العوام في الحجاز .

الأحداث الداخلية :

المعارضة :

الشيعة – مقتل الحسين بن علي رضي الله عنه .

أساء شيعة العراق (الكوفة) تولي يزيد بن معاوية الخلافة وبلغهم عدم مبايعة الحسين بن علي بن ليزيد فأرسلوا إليه يعلنون ولاءهم له ومبايعتهم إياه وكان عددهم أثني عشر أو ثمانية عشر ألفاً أقسموا بين يدي رسوله إليه مسلم بن عقيل بالإخلاص للحسين وكتب مسلم إلى الحسين رسالة يطمأنه على الوضع ويطلب منه القدوم إلى الكوفة وعلم يزيد بهذه التحركات فخلع واليه على الكوفة النعمان بن بشير وولى عبيد الله بن يزيد الذي تمكن من القبض على مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وهما من رؤوس الشيعة وقتلهما.

ولم يعلم الحسين بن علي بهذه التطورات وعزم على الخروج إلى العراق وحذره ابن عباس من الخروج لأن السلطة ما زالت أموية وأهل الكوفة عرفوا بالغدر ولكنه أصر على الخروج فخرج في ذي الحجة سنة ٦٠هـ

وعلم يزيد بخروج الحسين وعلم الحسين بالأخبار السيئة عن الشيعة وأراد الرجوع لكن أتباعه شجعوه على المسير. وعندما وصل إلى كربلاء قدم إليه رسول يزيد فعرض عليه الحسين أموراً هي:

١- أن يرجع من حيث أتى

٢- أن يبايع يزيد .

٣- أن يذهب إلى أحد الثغور التائية للجهاد

فرفض رسول يزيد وهو عمر بن سعد بن أبي وقاص هذا العرض فاستعد الجانبان للقتال ودارت معركة غير متكافئة قتل فيها الحسين بن علي وسبعون من أتباعه واحتز رأسه وبعث به إلى يـــزيد ، فلما رآه دمعت عيناه وقال : كنت أرضى من طاعتكـــم بدون قتل الحسين ، لعن الله ابن سمية أي (عبيد الله بن زياد) وهو قائد ذلك الجيش وكان لهذه الحادثة أثراً سيئاً على الأمة الإسلامية بأشعة روح الفرقة والعداء والخروج على الولاة .

وكان لها أثراً سيئاً ايضاً على الخلافة الأموية فقد أشعلت نار الثأر لدى الشيعة ، وإشاعة الشائعات ، والتحريض على إسقاط الدولة الأموية .

موقعة الحرة:

عارض أهل المدينة بيعة يزيد بن معاوية ، واشتدت معارضتهم لها بعد مقتل الحسين بن علي وحاول يزيد أخذهم باللين والحسنى أملاً في رجوعهم ، وعدم شقهم عصا الطاعة فخلع والي المدينة الوليد بن عقبة الذي اتصف بالقسوة وولى عليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان الذي عرف بلينة وسهولته ، وأحسن عثمان إلى أهل المدينة ومكة ، وبعث بوفد منهم إلى الشام فأكرمهم يزيد وأحسن وفادتهم وجوائزهم .

لكن ذلك لم يغير شيئاً فبعد عودة الوفد تجددت الانتقادات وحذر عبد الله بن عمر رضي الله عنه أهل المدينة من الخروج على ولي أمر المسلمين ، ومنع أهله من المشاركة مع المعارضين .

وانتهى الأمر بإعلان أهل المدينة الخروج على يزيد ومبايعة عبد الله بن حنظلة الأنصاري علم يزيد بالأخبار فأرسل النعمان بن بشير الأنصاري يدعو أهل المدينة للعودة للجماعة ولكنه فشل عند ذلك أعد يزيد بن معاوية جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المري يرافقه الحصين بن نمير السكوني لإخضاع أهل المدينة ، وأمر يزيد مسلماً أن يدعو أهل المدينة ثلاثاً للرجوع وإلا قاتلهم ، وصل مسلم المدينة في ذي الحجة سنة ٦٣هـ وحاصر المدينة ودعى أهلها ثلاثاً فلم يستجيبوا له فقام الهجوم عليها ، وقاوم أهلها مقاومة شديدة وانتهى القتال بإخضاع أهل المدينة وقتل عدد كبير منهم

حركة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه :

استغل عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه وفاة معاوية والنقمة على يزيد بعد مقتل الحسين وموقعة الحرة ، فدعا أعيان أهل الحجازوتهامة لبيعته فبايعوه جميعاً سوى عبد الله بن عباس رضي الله عنه ومحمد بن الحنفية وطرد عمال يزيد من مكة والمدينة .

حاول يزيد استرضاء ابن الزبير ، فعرض عليه ولاية الحجاز وما أحب لأهل بيته من الولاية على أن يبايعه بالخلافة فرفض، عند ذلك أمر يزيد مسلم بن عقبة بعد فراغه من أهل المدينة أن يتوجه إلى مكة ، فتوجه مسلم بن عقبة بعد إخضاعه أهل المدينة إلى مكة ولكنه توفي في طريقه إليها ، فأخذ أمرة الجيش الحصين بن نمير السكوني الذي وصل مكة في السادس والعشرين من شهر

محرم سنة ٦٤هـ فحاصر مكة حصاراً محكماً وضربها بالمنجنيق ، غير أن مقاومة جند ابن الزبير ومن انضم إليه من الخوارج والشيعة بقيادة المختارين أبي عبيد كانت عنيفة ، وبينما كانت الحرب قائمة وصل إلى الحصين نعي يزيد بن معاوية فقك الحصار عن مكة وعاد بجيشه إلى الشام .

الفتوحات :

لم تحدث فتوحات تذكر في عهد يزيد سوى ما وقع في الجبهة الإفريقية فبعد عزل يزيد بن معاوية لأبي المهاجر أعاد عقبة بن نافع إلى ولاية إفريقية سنة ٦٢هـ

فانطلق عقبة بجيش كثيف من القيروان ومعه جموع البربر بقيادة كسيلة ومعه المهاجر فاستولى على عدة مدن منها (بجاية) وسيطر على (المسيلة) عاصمة إقليم الزاب الصغير في المغرب الأوسط (الجزائر) وتعتبر السيطرة على هذا الإقليم نقطة تحول حاسمة في فتوح افريقية لأنهم دخلوا أقليماً بربرياً داخلياً وواصل عقبة زحفه وسيطر على مدينة (تاهرت) وانتصر على التحالف البربري البزنطي فيها ثم سار إلى المغرب الأقصى (المغرب) فأخضع قبائله وامتلك مدينة (طنجة)

مقتل عقبة بن نافع :

توقف عقبة بن نافع عند النقطة التي وصل إليها في طنجة وعاد إلى القيروان وكان من الأخطاء التي وقع فيها :

١- إساءته معاملة كسيلة وجماعته كما تذكر المصادر مما دفعه إلى الفرار من معسكره والانضمام إلى العدو .

٢- أنه سمع أو أذن لأكثر جيشه أثناء عودته بالانفصال عنه والعودة سريعاً إلى القيروان وبقي هو في خمسة آلاف مقاتل سار بهم نحو مدينة (تهوده) .

ما كاد عقبة رضي الله عنه أن يصل إلى مدينة تهوده حتى وجد نفسه محاصراً بحشود بربرية وبيزنطية هائلة بزعامة كسيلة ، فخاض معركة غير متكافئة انتهت باستشهاده وعدد كبير من قواته رحمهم الله أجمعين.

كانت معركة تهوده كارثة على المسلمين ، في إفريقية فبالإضافة لاستشهاد عقبة بن نافع فإن المسلمين أصيبوا بصدمة نفسية قوية ودخل الرعب قلوبهم حتى تركوا مدينة القيروان التي دخلها كسيلة بجنده .

وفاة يزيد بن معاوية :

توفي يزيد لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ٦٤هـ بحوران أرض الشام ودام حكمه ثلاث سنوات وثمانية عشر شهراً.

٣- معاوية بن يزيد ٦٤هـ :

بعد وفاة يزيد كانت هناك بيعتان : بيعة في الشام لمعاوية بن يزيد وبيعة في مكة لعبد الله بن الزبير.

تنازل معاوية عن الخلافة :

تولى معاوية بن يزيد الخلافة وعمره ثمانية عشر عاماً ولكنه تنازل عنها بعد أن رأى نفسه غير قادر على توحيد فرقة المسلمين ولم شعثهم وترك الأمر شورى بين المسلمين يرشحوا من يرونه أهلاً وتغيب في منزله ، وتوفي بعد ذلك بثلاثة أشهر .

الأوضاع بعد وفاة يزيد وابنه معاوية:

كانت الأوضاع السياسة في الدولة الأموية بعد وفاة يزيد بن معاوية خطيرة جداً ففي العراق اشتعلت نار العصبية القبلية بعد فرار والي الكوفة والبصرة عبيد الله بن زياد ، فأرسلت وفود من البصرة والكوفة إلى عبد الله بن الزبير يبعث ولاة عليهم ، فأرسل عبد الله بن الزبير عمالاً من قبله .

وفي الحجاز كانت بيعة عبد الله بن الزبير وفي الشام انقسم أهلها إلى بين مؤيد لعبد الله بن الزبير ومعارض ووصلته وفود من قنسرين وحمص تبايعه وكان قسم من أهل الشام يريد الحفاظ على الخلافة الأموية أما مصر فدخلت في طاعة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

٤- مروان بن الحكم رضي الله عنه ٦٤- ٦٥هـ

نسبه : هو مروان بن الحكم بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن عم عثمان بن عفان رضي الله عنه وكاتبه في خلافته .

مولده : ولد بعد الهجرة إلى المدينة بسنتين .

فضائله : قال ابن كثير رحمه الله : وهو صحابي عند طائفة كثيرة لأنه ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه حديث صلح الحديبية وفي رواية في صحيح البخاري عن مروان والمسور بن مخرمة عن جماعة من الصحابة الحديث بطوله البداية والنهاية ٢٥٩/٨ .

وقال ابن العربي : مروان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين . العواصم من القواصم ص ٨٩.

صفاته : كان ذا شهامة ومروءة وشجاعة ومكر ودهاء .

توليه الخلافة :

بعد وفاة معاوية بن يزيد تفرقت كلمة الأمويين ومؤيديهم فيمن يرشحون لخلافته فرشح قسم منهم خالد بن يزيد بن معاوية ورشح آخرون مروان بن الحكم وقسم ثالث رشح عمرو بن سعيد العاص .

ثم عقد عدول بني أمية مؤتمراً واتفقوا على توليه مروان بن الحكم لشيخوخته و تجربته.
وانتقلت بذلك الخلافة والملك من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني واتحدت كلمة مؤيدوا بني أمية .

الأحداث الداخلية :

توحيد الشام ومصر :

كان عبد الله بن الزبير عيَّن والياً على الشام من قبله هو الضحاك بن قيس الفهري وبعد أن تولى مروان الخلافة استطاع أن يسيطر على دمشق وخرج لمواجهة الضحاك فجرى بينهما قتال في (موقعة مرج راهط) في ذي القعدة سنة ٦٤هـ انتهت بهزيمة الضحاك بن قيس ومعه القبائل القيسة وانتصار مروان ومؤيديه من الكلبية القحطانية واستطاع مروان توحيد الشام بعد مقتل الضحاك بن قيس.

ثم توجه مروان نحو مصر واستطاع التغلب على واليها من قبل ابن الزبير عبد الرحمن بن جحدم ولم يجد صعوبة في توحيدها لأن ميول أهلها كانت أموية وعين عليها ابنه عبد العزيز بن مروان .

الاستعداد لمواجهة ابن الزبير وولاته في الحجاز والعراق و الجزيرة .

عاد مروان إلى الشام وجهز جيشين - الأول يتوجه إلى الجزيرة لاخضاعها ثم العراق والثاني : يتوجه إلى الحجاز لاخضاع عبد الله بن الزبير .

أما جيش الحجاز فلم يستطع دخولها وقضي عليه .

وأما جيش الجزيرة والعراق والذي كان بقيادة عبيد الله بن زياد فقد عاد إلى الشام بعد أن بلغه نبأ وفاة مروان بن الحكم .

وفاة مروان بن الحكم :

توفي مروان بن الحكم في مستهل شهر رمضان سنة خمس وستين من الهجرة وعهد بالحكم لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز .

٥- عبد الملك بن مروان ٦٥- ٨٦هـ

مولده : ولد بالمدينة سنة ٢٦هـ

نشأته : نشأ نشأة دينية ، فحفظ القرآن الكريم وقرأ الفقه والتفسير والحديث على مشيخة الحجاز ، وروى الحديث عنهم وروى عنه جماعة من التابعين ، وكان رحم الله يلقب بحمامة المسجد لملازمته له ، وإكثاره مجالسة العلماء ، ومداومته تلاوة القرآن والأخبار متواترة على فقه وغزارة علمه ورجاحة عقله وتكاد المصادر تجمع على أنه كان خلال حياته الأولى متديناً جداً.

مبايعته بالخلافة :

بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه والده ، وتولى عبد الملك الخلافة وكانت الدولة الأموية على وشك السقوط وسادت العالم الإسلامي الفوضى والاضطرابات .

واستطاع القضاء على الفوضى وإعادة وحدة الكلمة للأمة والدولة الأموية ، وأعاد تأسيسها على قواعد متينة لم يسبق إليها ، ويعتبر بحق المؤسس الثاني للدولة الأموية.

الأحداث الداخلية :

١- القضاء على التمرد الشيعي

١. حركة التوابين بقيادة سليمان بن صرد التميمي وزعموا أنهم يريدون التوبة والتكفير عند تقصيرهم في مناصرة الحسين بن علي وكانوا من شيعة الكوفة والبصرة والتقوا لقتال الجيش الأموي في عين الواردة بأرض الجزيرة وانتهى القتال بالإجهاز عليهم وقتل زعمائهم سوى رفاعة بن شداد الذي عاد بما بقي من الجيش

٢. حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي :

وهي حركة شيعية واستطاع قائدها المختار الاستيلاء على الكوفة واستطاع أن يهزم الجيش الأموي بقيادة عبيد الله بن زياد وحصين بن نمير السكوني اللذين قتلا أثناء القتال ، وتعاظم أمر المختار بعد هذه الهزيمة واستولى على شمالي العراق والجزيرة ثم أعد جيشاً لانتزاع البصرة من مصعب بن الزبير إلا أن مصعب بن الزبير تمكن من الحاق هزيمة منكرة بجيش المختار وقتل المختار ابن أبي عبيد ، واستولى مصعب على الكوفة وهكذا كفى عبد الملك ابن مروان خطر المختار بن أبي عبيد وقضي عليه .

٢- القضاء على نفوذ عبد الله بن الزبير في الحجاز وأخيه في العراق :

بعد القضاء على المختار بن أبي عبيد انحسر التناقس على الخلافة بين ابن الزبير وبني أمية .

وهيأ عبد الملك نفسه للقضاء على نفوذ ابن الزبير فتمكن من تهدأة الوضع على الجبهة البيزنطية بعقد معاهدة مع الأمبراطور جستنيان الثاني مقابل دفع ضريبة مالية ، واستطاع التخلص من منافسيه على الحكم من بني أمية.

بعد ذلك سار عبد الملك بن مروان بجيشه نحو العراق وسار مصعب بن الزبير للقائه والتقى الجيشان على نهر الدجيل وانتصر عبد الملك بن مروان وقتل مصعب ودخل عبد الملك الكوفة .

ثم أسرع عبد الملك بإرسال جيش إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف ، ووصل جيش الحجاج الحجاز وأعطى الأمان لأتباع عبد الله بن الزبير فانفض كثير منهم عنه ، وحاصر الحجاج مكة وضرب الحرم والكعبة بالمنجنيق وانتهى القتال . بمقتل عبد الله بن الزبير ، وانتهت خلافة ابن الزبير في جمادي الأولى ستة ثلاث وسبعين من الهجرة واستمرت تسع سنوات وبذلك توحدت الأمة على خلافة عبد الملك بن مروان .

٣- القضاء على الخوارج :

كان خروج في البصرة في ولاية مصعب بن الزبير وقاتلهم ، وقتل زعيمهم نافع بن الأزرق سنة ٦٥هـ وبعد دخول عبد الملك البصرة عهد إلى المهلب بن أبي صفرة بقتالهم ، وتمكن من القضاء عليهم بعد ثلاث سنوات .

وقاتل عبد الملك الخوارج الصفرية في الكوفة وغيرها وتمكن بعد معارك متواصلة من التغلب عليهم في معركة نهر الدجيل سنة ٧٧هـ وقتل زعيمهم شبيب بن يزيد بن نعيم .

وقضى عبد الملك أيضاً على خوارج اليمامة بزعامة نجدة بن عامر الحنفي وهزم الخوارج في المشقر بالبحرين ، ودارت عليهم الدائرة وقتل أحد زعمائهم أبو فديك عبد الله بن ثور ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك .

٤- حركة ابن الأشعث :

كان الحجاج بن يوسف قد كلف عبد الرحمن بن الأشعث بقيادة جيش لقتال ملك كابل رتبيل الذي هزم المسلمون على يديه سنة ٧٩هـ وسار ابن الأشعث لقتال رتبيل بعد أن عين أميراً على سجستان وانسحب رتبيل أمام ابن الأشعث إلا أنه لم يقم بملاحقته فأمره الحجاج بملاحقته والقضاء عليه وإلا عزله فرأى ابن الأشعث في هذا الأمر إهانة له واعتقد هو وأتباعه أن الحجاج يخطط للقضاء عليهم والحيولة دون رجوعهم إلى العراق.

فخلعوه أمرة الحجاج وبايعوا ابن الأشعث فسار بهم نحو العراق وحقق بعض الانتصارات واستطاع دخول البصرة إلا أن الجيش الأموي التقى به في دير الجماجم سنة ٨٢هـ وهزم ابن الأشعث وفر إلى سجستان ولا حقه الحجاج حيث قتل فيها وقيل بأنه انتحر.

الفتوحات :

١- الشرق :

غزا المهلب بن أبي صفرة بعد أن ولي خراسان من قبل الحجاج سنة ٧٨هـ بلاد ما وراء النهر.

٢- الغرب :

لم تقع فتوحات جديدة على حدود الدولة البيزنطية وإنما كانت المعارك استرداداً لبعض المدن التي استولى عليها الروم .

وكانت الثورات الداخلية أضعفت الدولة الأموية عن القيام بأي فتوحات جديدة ونقض الأمبراطور جستنيان الثاني المعاهدة التي عقدها مع المسلمين واجتاح بلاد الشام سنة ٧٠هـ وعقد عبد الملك معه معاهدة أخرى تنص على :

١- دفع الدولة الإسلامية للبيزنطيين ٣٦٥ ألف قطعة ذهبية ٣٦٥ عبداً و ٣٦٥ جواداً أصيلاً كل سنة مقابل وقف الهجمات البيزنطية على حدود الدولة الإسلامية.

٢- تقسيم خراج أرمينيا وقبرص وإيبريا بين المسلمين والبيزنطيين.

٣- سحب الدولة البيزنطية المردة من شمالي الشام إلى ما رواه جبال طوورس داخل آسيا الصغرى .

٤- تستمر هذه المعاهدة عشر سنوات .

وأوقفت هذه المعاهدة خطر زحف الروم على بلاد المسلمين وأدت إلى إخراج المردة من بلاد الشام مما أعاد غارات المسلمين على بلاد البيزنطيين (الصوائف والشواتي) بعد أن استعادت الدولة الأموية قوتها .

ثم هاجم عبد الملك أرمينيا عام ٧٣هـ وانتصر فيها المسلمون وهاجم ملطية قاليقلا في آسيا الصغرى.

ولكن هجمات المسلمين توقفت بسبب مرض الطاعون في بلاد الشام عام ٧٨هـ وثورة ابن الأشعث واستمرت أربعة أعوام من عام (٨١هـ).

واستغل الأمبراطور (طيباريوس الثالث) هذه الأوضاع وهزم القوات الإسلامية في سمساط ومنطقة قيليقيا عام ٨٤هـ

ولكن عبد الملك بعد فراغه من ابن الأشعث هاجم قيليقيا وهزم القوات البيزنطية فيها وهزم القوات البيزنطية عند سيواس وكانت بقيادة الأمبراطور بنفسه وهكذا عادت سيطرة المسلمين على منطقة أرمينيا وفتحت المصيصة وظهر تفوق المسلمين على الروم مرة أخرى منذ عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

إفريقية :

تقدم ذكر هزيمة عقبة بن نافع الفهري في منطقة تهودة على يد قوات كسيلة البربري الذي ارتد ولحق بالروم .

وانشغلت الدولة الأموية بعد ذلك بالفتن الداخلية فلما استقرت الأوضاع لعبد الملك بن مروان بعث زهير بن قيس البلوي لقيادة جيوش المسلمين في إفريقية والمغرب.

جهز زهير جيشه للانتقام من كسيلة واستطاع أن يهزمه قرب ممس ودخل القيروان وقتل كسيلة غير أن زهير استشهد في قتاله مع الروم قرب درنه .

وبعد فراغ عبد الملك من ابن الزبير ولى حسان بن النعمان الغساني قيادة الجيوش بإفريقية والمغرب ففتح قرطاجنة أقوى القواعد العسكرية البيزنطية ودمر ميناءها .

وتغيرت الأوضاع في المغرب بظهور الكاهنة والتف حولها البربر وتحت ضغطها تراجع حسان بقواته إلى برقة واتبعت الكاهنة سياسة تخريب الأرض وحرق الزرع مما أدى إلى انقباض كثير من أتباعها عنها وبعد علم حسان بهذه التطورات استأنف هجـــومه ضدها ، ورحب به أهل البلاد واسترد بعض المدن . ودخل المغرب الأوسط وتراجعت الكاهنة وجندها ، ولحق بها حسان بن النعمان وتمكن من القضاء عليها بعد عامين وقتلت في معركة بئر الكاهنة وبمقتلها قضى على كل مقاومة من قبل البربر للمسلمين

وحاول البيزنطيون استعادة قرطاجنة ولكن حسان هزمهم ودمرها تدميراً كاملاً حتى لا يعود إليها الروم وكان ذلك عام ٨٢هـ

النواحي الإدارية :

كان من سياسة عبد الملك بن مروان الإدارية :

١- تطوير الجهاز الإداري وتنشيطه .

٢- تعريب الإدارة والنقد .

كانت الدواوين الموجودة في خلافة عبد الملك هي :

ديوان الخراج ، الجند ، الرسائل ، الخاتم ، البريد

وعمل عبد الملك على تعريب هذه الدواوين سوى ديوان الجند فكان عربياً واستغرق التعريب خمس سنوات وكلف عبد الملك ولاة الأقاليم بهذه المهمة وأشرف هو عليها في الشام حتى أصبحت الدواوين تكتب بالعربية ويقوم على شئونها العرب وكان من نتائج تعريب الدواوين :

١- سرعة انتشار اللغة العربية في البلاد المفتوحة .

٢- صبغ الدولة الأموية بالصبغة العربية .

٣-

تعريب النقود :

أنشأ عبد الملك داراً لضرب النقود وكانت النقود المستعملة قبل ذلك إما فارسية أو بيزنطية وأمر عبد الملك أن يكتب على الدنانير والدراهم من وجه سورة الإخلاص واسم النبي صلى الله عليه وسلم من الوجه الآخر . وأن يذكر عليها مكان وسنة الضرب.

واهتم بوزن الدراهم والدنانير حتى لا يدخلها الغش فوحدت الدراهم على وزن عشرة والدنانير على وزن سبعة مثاقيل وأمر بالتعامل بهذه الدراهم والدنانير.

وكان لهذه الخطوة نتائج محمودة فقد أعادت هذه الخطوة الثقة المالية واستقرت أسعار البضائع والحوائج ، وأصبح من السهولة معرفة النقود المزورة والمزيفة من غيرها .

إضافة إلى إظهار عزة المسلمين ، واستغنائهم عن الروم والفرس . ولم يعرف المسلمون عملة إسلامية خالصة إلا في عهده .

وفاة عبد الملك بن مروان :

توفي عبد الملك بن مروان في منتصف شهر شوال سنة ٨٦هـ في دمشق . وقد قارب الستين وعهد قبل وفاة بولاية العهد من بعده لابنه الوليد ثم سليمان ، وكتب البيعة لها إلى البلدان وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وشهراً ونصف .

❖

٦- الوليد بن عبد الملك ٨٦- ٩٦هـ

نشأته : اهتم به والده ، وشب على الصلاح والتقوى ، وكان مكثراً من تلاوة القرآن وقيل كان يختمه كل ثلاث وقيل كل سبع ويختم في رمضان سبع عشرة مرة.

وكان والده يحثه على تعلم العربية واتقانها لأنه كان لحاناً وقيل إن والده جمع عنده جماعة من النحاة فأقاموا سنة ، وقيل ستة أشهر فخرج يوم خرج أجهل مما كان

مبايعة :

بويع بالخلافة يوم وفاة والده عبد الملك بدمشق .

الاصلاحات الداخلية

استتم عهد الوليد بأنه عهد رخاء ويسر وخلو من الفتن والانشقاقات الداخلية التي كان والده قد قضى عليها .

لذلك تفرغ الوليد للاصلاحات الداخلية والقيام بالفتوحات الخارجية لقد قام الوليد بإكمال الاصلاحات الداخلية التي بدأها والده بتغريب الدواوين وصك النقود العربية.

ومن الاصلاحات الداخلية الهامة التي قام بها الوليد :

اهتم بإصلاح الطرق وحفر الآبار ، وبنى المساجد ، وأجرى العطاء على المجذومين ، وأعطى كل مقعد خادماً ولكل ضرير قائداً خاصة بدمشق .

توسعته المسجد النبوي:

فكتب إلى عاملة على المدينة عمر بن عبد العزيز بتوسعة المسجد النبوي وهدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وأدخلها في المسجد وأدخل حجرة عائشة رضي الله عنها التي فيها القبور الثلاثة وكان رأى أهل المدينة ألا تدخل حتى لا تستقبل في الصلاة ولكن عمر بن العزيز جعل جهتها الشمالية مثلثة الشكل حتى لاتستقبل فصار شكلها خماسياً واشترى البيوت الواقعة حول المسجد فأدخلها في المسجد حتى صارت مساحة مائتي ذراع في مثلها .

بناء الجامع الأموي في دمشق:

وبنى الوليد الجامع الأموي بدمشق وتفنن في بنائه ويقال إنه انفق في بنائه خراج دولته سبع سنوات ، وعمل في بنائه اثنى عشر ألف عامل.

الفتوحات:

١- بلاد ما وراء النهر :

عبر قتيبة بن مسلم الباهلي سنة ٨٦هـ نهر جيحون على رأس جيش كبير وأعاد فتح طخارستان ومرو وقتل القائد التركي نيزك وفتح بيكند وإقليم بخارى وثبت أقدام المسلمين فيه وفتح سمرقند وخوارزم ما بين عامي ٩٠-٩٢هـ وكان بسمرقند مصنع للورق فاستفاد المسلمون من ذلك وفتح قتيبة عام ٩٤هـ وما بعده مدن الشاش وفرغانة وكاشغر وتوقفت فتوحات قتيبة على حدود الصين بعد مفاوضات مع امبراطورها ولم يتدخل في أراضي الصين لأنها امبراطورية لا يستهان

بقوتها ويحتاج التدخل في أراضيها إلى قوة واستعدادت غير متوفرة لدى جيش قتيبة ولأن خط الإمداد إلى العاصمة الأموية بعيد جداً إضافة إلى أن بعض المناطق على هذا الخط كانت تنتقض على المسلمين.

بلاد السند :

كلف الحجاج صهره وابن عمه محمد بن القاسم الثقفي بقيادة الجيوش لفتح بلاد السند ولم يكن عمره يتجاوز العشرين.

جعل محمد بن القاسم نقطة انطلاقة مكران وخرج منها إلى الديبل (كراتشي) على ساحل بحر الهند وفتح في طريقه عده قلاع وحاصر الديبل وفتحها بعد ثلاثة أيام وهرب منها عامل داهر ملك السند وأسكن محمد بن القاسم الديبل أربعة آلاف من المسلمين وجعلها قاعدة بحرية ، ثم واصل محمد بن القاسم زحفه وفتح مدن البيرون وسير بيدوس وسهبان وسدوسان ثم التقى بداهر ملك السند في مدينة مهران وانتصر عليه وقتله وواصل زحفه في ملاحقة جيش داهر الذي تولى إمرأته ابنه سنك ووصل المسلمون إلى الملتان وفتحوها وفتحوا الكرج وأصبح وادي السند في قبضته المسلمين ثم توقفت الفتوحات بعد وفاة الوليد .

بلاد الروم (الجبهة البيزنطية) :

تولى قيادة الجيوش في هذه الجبهة مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد وفتحا عدة حصون مهمة مثل طونة وسبطية وطرسوس وبرجمة وأرسلت حملات تجاه العاصمة القسطنطينية حيث كانت الدولة الأموية قوية وخالية من الاضطرابات.

شمال افريقية :

ولى الوليد بن عبد الملك على هذه الجبهة موسى بن نصير مكان حسان بن النعمان وقام موسى بن نصير بتدعيم مركز المسلمين العسكري في القيروان وثبتت دعائم النصر في المغرب الأوسط بل وسيطر على المغرب الأوسط سيطرة تامة وطرد متمردي البربر وشجع ذلك قبائل البربر على اعتناق الإسلام وأصبح بعضهم أكثر حماسة للجهاد من المسلمين ، واستغل موسى بن نصير هذه النزعة فوجههم إلى الفتوحات الخارجية ، وعبر بهم مضيق جبل طارق بعد أن كان فتح سجوفه شمالي المغرب الأقصى (المغرب) وفتح بعد ذلك مباشرة سبتة وطنجة .

وبعد أن عبر موسى بن نصير مضيق جبل طارق استطاع أن يشل حركة الأساطيل البيزنطية في البحر المتوسط التي كانت تشكل خطراً مستمراً على المسلمين في إفريقيا ثم غزا موسى بن عقبة جزيرة صقلية سنة ٨٦هـ.

فتح الأندلس :

ساد بلاد الأندلس حين دخول المسلمين إليها الصراع على السلطة وانتشرت الطبقية فكانت الأملاك الواسعة والأموال الكثيرة في يد طبقة صغيرة والبقية يحيون حياة الفقر والعوز ، وعاش اليهود أبشع ألوان الجور والاضطهاد لأنهم كانوا قلة في المجتمع الأسباني النصراني.

وكان حاكم سبتة يوليان معارض لحاكم إسبانيا لذريق وكان يوليان خير معين للمسلمين لدخول إسبانيا ، واتصل يوليان بطارق بن زياد في طنجة وعرض عليه دخول إسبانيا ، فاتصل طارق بموسى بن نصير في القيروان فاستحسن ذلك ولكنه عرض هذا الأمر على الوليد بن عبد الملك فتردد في البداية وخشي أن يغرر بالمسلمين ثم أمر أبا موسى أن يتروي في الأمر وأن يختبر البلاد بالسرايا .

فأرسل موسى قوة قوامها ٤٠٠ راجل وأغارت على ساحل إسبانيا عام ٩١هـ فأصابت غنائم كثيرة وسبايا عظيمة .

ثم أرسل موسى بن نصير في رمضان سنة ٩١هـ قوة عسكرية عددها سبعة آلاف بقيادة طارق بن زياد وسار بقواته وفتح بعض المدن مثل قرطاجة والجزيرة الخضراء وخندة بقرب وادي لكة بعد عبوره المضيق الذي سمي منذ ذلك الوقت باسمه وعسكر في وادي لكة .

ولما علم بالحشود العظيمة التي حشدها لذريق لمواجهته طلب من موسى بن نصير أن يمده فأمده بخمسة آلاف من الجند ، والتقى الجيشان في كورة شذونة وجرت بين الجانبين معركة طاحنة ، انتهت بانتصار المسلمين والقضاء على الجيش القوطي وقتل لذريق.

فتحت هذه المعركة وما تحقق فيها من انتصار حاسم للمسلمين الطريق أمام المسلمين للتوغل في العمق الإسباني فاستولوا على مدن (مالقة) (البيرة) (أربولة) (طيلطلة) ثم تقدم موسى بن نصير بنفسه نحو الأندلس بجيش قواته ثمانية عشر ألفاً من المقاتلين وفتح في طريقه كل من (قرمونه) و (إشبيلية) و (سرقسطه) و (برشلونه) وفتحهما موسى و طارق .

ثم افترقا ففتح موسى بن نصير قرمشونة وتاريون بعد اختراقه لجبال البرينية ، ووصل إلى مدينة ليون .

واجتاز طارق وادي الأبرو وغزا جليقية .

وعندئذ جاءت الأوامر لموسى بن نصير وطارق بن زياد للتوقف فوراً والعودة إلى دمشق.

أثر فتح الأندلس:

١- أحسن المسلمون معاملة أهل الأرض الذين اضطهدهم القوط ، فسمح للمزارعين بممارسة نشاطهم الزراعي على حسابهم ، على أن يؤدوا الخراج .

٢- سارع كثير من رقيق الأرض العبيد إلى اعتناق الإسلام عندما وجدوا فيه التسامح.

٣- سمح المسلمون لليهود الذين أعانوهم بمزاولة التجارة وأمنوهم على أموالهم وأولادهم ، ومنحوهم حرية التملك ، وعمل كثير منهم في العلوم والآداب والطب والفلسفة .

٤- أدى الفتح الإسلامي إلى مصادرة كثير من ممتلكات النبلاء وممتلكات الكنيسة وأدى ذلك إلى زيادة عدد صغار المزارعين زيادة ملحوظة .

وفاة الوليد بن عبد الملك :

توفي رحمه الله في جمادي الآخرة عام ٩٦هـ وكانت مدة حكمه تسع سنوات ، وثمانية أشهر وكان عمره يوم وفاته ست وأربعين سنة .

٧- سليمان بن عبد الملك ٩٦- ٩٩هـ

مولده : ولد سنة ٥٤ هـ في المدينة ، ونشأ ، وأحب البادية ، وبنى فيها قصراً كان ينزل فيه .

صفاته : كان ديناً فصيحاً ، مفوهاً – عادلاً ، محباً للغزو والجهاد .

سياسته الداخلية :

عزل سليمان بن عبد الملك من ولاة وقادة أخيه الوليد منهم : محمد بن القاسم الثقفي ، وقتيبة بن مسلم الباهلي ، وموسى بن نصير ، وفعل سليمان ذلك لأن الدولة استقرت واتسعت أرجاؤها ، وقيل إن هذا كان بمشورة من عمر بن العزيز لأن هؤلاء كانوا عمال الحجاج بن يوسف ، وكان مصير محمد بن القاسم رحمه الله أن قتل على يد صالح بن عبد الرحمن عامل الخراج على العراق لأحقاد شخصيته ولم يثبت أمر الخليفة له بذلك وأما قتيبة بن مسلم فإنه شك في نوايا الخليفة تجاهه ، فخلعه فلم يستجب له أتباعه فقتلوه ، وأما موسى بن نصير فقد ارتكب بعض المخالفات فوضع قيد الإقامة الجبرية ولكن سليمان بن عبد الملك ضمه إلى مستشاريه واصطحبه معه إلى الحج فمات في وادي القرى سنة ٩٧هـ ..

الفتوحات:

لم تحدث فتوحات جديدة في عهد سليمان بن عبد الملك خاصة في المشرق بعد وفاة محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم رحمهما الله تعالى ، ولأن الظروف التي مرت بها الدولة الأموية منذ سنة ثمان وتسعين وحتى سقوطها سنة مائة واثنين وثلاثين لم تكن تسمح لها بالتوسع في الفتوحات لانشغالها بإخماد الثورات والحركات التي بدأت تهب في وجهها من جديد كحركة الخوارج ويزيد بن المهلب والفتنة القبلية بين القيسيه واليمنية في خراسان والتي استغلها العباسيون لصالحهم وكذلك انتفاض المدن المفتوحة والتي استغل سكانها انشغال الدولة بإخماد الثورات .

الجبهة الغربية (البيزنطية) :

بذل سليمان بن عبد الملك رحمه الله جهوداً عظيمة لفتح القسطنطينية فأعد جيشاً ضخماً قوامه مائة وثمانون ألف مقاتل ١٨٠,٠٠٠ مزودين بألف وثمانمائة سفينة حربية وولى عليهم مسلمة بن مخلد الذين أعطى الله عهدا أن لا ينصرف حتى يدخل القسطنطينية ، وتحرك الجيش عام ٩٨هـ

عبر الجيش الشاطئ الأوروبي عند مضيق الدردنيل وحاصر القسطنطينية من البر وحاصرها الأسطول البحري من جهة الدردنيل وبحر مرمرة ، وأراد مسلمة اقتحام المدينة ونصب عليها المجانيق الضخمة .

إلا أن بعض العوامل حالت دون تحقق النصر العاجل وهي :

مناعة أسوار القسطنطينية، وتوافر الدفاعات البيزنطية، والريح العاتية التي حطمت عدد من السفن الإسلامية، وإحراق البيزنطيين عدداً من سفن المسلمين بالنار الإغريقية، ثم قام البيزنطينيون بإرسال عدد من الجند لقطع الإمدادات عن المسلمين، وأغلقوا مدخل مضيق البسفور بسلسلة ضخمة، وكان لشدة البرد أثر كبير في إضعاف قوة المسلمين المحاصرة للقسطنطينية، كذلك مهاجمة البلغار لهم، وتعاون بعض البحارة النصارى الذين استعان بهم المسلمون مع البيزنطيين، وفي هذه الأجواء العصيبة توفي الخليفة سليمان بن عبد الملك ، وتولى الخلافة عمر بن عبد العزيز الذي أمر مسلمة بن عبد الملك بفك الحصار والعودة إلى دمشق.

وفاته :

توفي سليمان بن عبد الملك في شهر صفر سنة ٩٩هـ وهو مرابط في دابق من أرض قنسرين وكان قد عهد بولاية العهد من بعده لعمر بن عبد العزيز بمشورة من رجاء ابن حيوة رحمه الله

٨- عمر بن عبد العزيز ٩٩- ١٠١هـ

نسبه : هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص .

وأمه : أم عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

مولده : ولد سنة ٦٢هـ في حلوان بمصر

نشأته: نشأ في بيئة مرفهة منعمة واشتهر مع ذلك بالتقوى والورع والكرم .

حفظ القرآن وهو صغير وحرص على طلب العلم وطلب العلم في المدينة و تردد على فقهائها ولازم مشائخ قريش ، وروي الحديث عن كثير من الصحابة والتابعين .

تولى امرة المدينة في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ وبقي والياً عليها ست سنوات ، رضي الله عنه أهل المدينة وأقام فيهم العدل.

توليه الخلافة :

تولى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك كما تقدم على أن يتولى الحكم من بعده أبناء عبد الملك يزيد وهشام وبعد أن تولى الحكم ترك حياة التنعم والترفة والتجمل إلى حياة الزهد والورع ، وذكر انه لم يركب مراكب الخلافة لما فيها من الأبه والفخامة وكان بعيدا عن الكبرياء متواضعاً زاهداً في الملك غير راغب فيه

سياسته الداخلية والخارجية :

توفي في رجب سنة ١٠١هـ في خناصرة بين حماة وحلب وعمره يناهز التاسعة والثلاثين وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وكان عهده من أحسن عهود بني أمية حتى اعتبره البعض امتداداً لعهد الخلفاء الراشدين .

٩- يزيد بن عبد الملك ١٠١- ١٠٥ هـ (وهو يزيد الثاني)

مولده : ولد بدمشق سنة ٧٢ هـ

نشأته : كان قبل توليه الخلافة يكثر مجالسة العلماء.

مبايعته بالخلافة : بويع بالخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز في شهر رجب عام ١٠١هـ بعهد من أخيه سليمان .

سياسته: حاول يزيد أن يسير على نهج عمر بن عبد العزيز ولكنه لم تتوفر له البطانة الصالحة ، فانحرف حتى إن شخصيته مثلت الشخصية الأولى في الخلفاء الضعفاء .

وتشير كتابات المؤرخين إلى أن شخصيته يزيد شخصية عبثية منصرفة إلى مجالس الغناء والجواري ، أكثر من قيامها بقضايا الناس وواجبات الخلافة .

الأحداث الداخلية :

١- ظهرت في عهد يزيد الدعوة العباسية وكان يترأس بني العباس محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وكان يعيش في الحميمة بالأردن .

وظهرت كذلك الشيعة الكيسانية يتزعمهم عبد الله بن محمد بن الحنفية أبو هاشم وبدأ يدعوا لنفسه سراً والتف حوله عدد من الأتباع .

استغل العباسيون ظهور الكيسانية لصالحهم فاندمجوا فيهم وبايع الشيعة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بالخلافة باعتباره أكبر بني هاشم العلويين والعباسيين سناً وأمرهم محمد بن علي بالتركيز على خراسان لأنها أكثر الأمصار حنقاً على بني أمية .

الفتوحات

لم تحدث فتوحات في عهد يزيد الثاني والسبب في ذلك انشغال الدولة بالحركات الداخلية وضعف الخلفاء .

واقتصرت العمليات على الجهة البيزنطية بإرسال حملات موسمية للدفاع عن القواعد الإسلامية ومضايقة البيزنطيين .

وفاته :

كان عمر بن عبد العزيز أول خليفة شذ عن المنهج التقليدي الذي سار عليه الأمويين ففي السياسة الخارجية :

١) أمر بوقف الفتوحات والمحافظة على ما حققه المسلمون في فتوحات ، والدفاع عن الدولة الإسلامية ورد الأخطار التي تهدد كيانها داخلياً وخارجياً.

٢) واتخذ سياسة سليمة تجاه غير المسلمين وعمل على نشر الإسلام بينهم بالدعوة إلى الله وكان من نتائج ذلك إسلام كثير من سكان بلاد ما وراء النهر ، واستجابة أمراء السند ودخولهم في الإسلام .

أما السياسة الداخلية :

١- فانتهج سياسة الانفتاح على المعارضة من شيعة وخوارج بهدف التحقيق من حدة معارضتهم للأمويين .

٢- وعمل على احتواء المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها الفتوح .

٣- امر بعدم لعن علي رضي الله عنه على المنابر ، واستبدال ذلك بقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى) الآية .

٤- طلب من الخوارج المناظرة فكتب إلى شوذب الخارجي ، بلغني أنك خرجت غضباً لله ونبيه ، ولست أولى بذلك مني ، فهلم ، أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا .

وأفاد ذلك ترك الخوارج العنف في ولاية عمر بن عبد العزيز .

ومن الناحية الإدارية :

١. اختيار الولاة والموظفين والقضاة الصالحين الأتقياء والأكفاء المقبولين من الأمة وأبعد الجبابرة والفساق العتاة الغلاظ .

٢. مراقبة عماله وولاته والحرص على القيام بواجباتهم .

٣. وضع الجزية عن بعض ممن كانت تؤخذ منهم بعد إسلامهم .

٤. أعطى العطاء لمن كان حرم منه من الموالي.

ونتيجة لهذه السياسة العادلة أقبل الناس على الدخول في الإسلام بأعداد كبيرة .

٥. أمر ببناء الخانات في البلدان القاصية .

وكتب إلى عماله ، باستضافة المسلمين يوماً وليلة ، ومن كانت له علة استضاف يومين وليلتين وإن كان منقطعاً يبلغ بلده .

وفاة عمر بن عبد العزيز :

توفي يزيد بن عبد الملك في شهر شعبان سنة ١٠٥هـ بالبلقاء وكان عمره يناهز الثمانية والثلاثين عاماً . وكانت مدة حكمه أربع سنوات وشهراً.

١٠- هشام بن عبد الملك ١٠٥- ١٢٥هـ

مولده : ولد عام ٧٢ هـ

صفاته : اتصف بالحزم والذكاء والعقل ، وحسن التصرف .

سياسته : حرص على أن يعيد الدولة توازنها ، وكان حريصاً على أموال المسلمين وإعطائهم حقوقهم .

الأحداث الداخلية :

خرج في عهد هشام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والتف حوله أتباع كثيرون من المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والكوفة ووعد أصحابه الخروج في شهر صفر عام ١٢٢ هـ فواجه قوات الدولة الأموية بعد أن حبس أتباعه عنه ولم يبق معه سوى مائتين وثمانية عشر رجلاً وانتهى القتال بمقتله بعد إصابته بسهم وأخفي قبره ثم أخرج وصلب ثم أحرق.

الفتوحات :

شهدت الجبهات في ولاية هشام بن عبد الملك إنتكاسات عظيمة وهزائم متواليه بسبب انشغال الدولة بالفتن الداخلية والصراع في المشرق بين القبائل القيسة واليمنية وترك عدد من القبائل الغزو وإيثار الدعة والراحة وكذلك قيام ثورات بربرية في المغرب كذلك عدم كفاءة الولاة وسوء تصرفهم .

المشرق:

تنازل المسلمون عن بعض البلاد التي فتحوها مثل بخارى ، واقتنعت القبائل العربية في خراسان من الغزو بسبب ما نعموا به من حياة الاستقرار .

فعين هشام على خراسان خالد بن عبد الله القسري فأعاد إخضاع الترك واخضع العرب الخارجين عن الطاعة ثم ولى هشام نصر بن سيار شيخ مضر في خراسان .

فأعاد السيادة الإسلامية إلى حوض نهر سيحون وحل مشكلة الخراج ورفع الجزية التي وضعت ظلماً على من أسلم من أهل الكتاب والمجوس ، وبلغت خراسان في عهده من الرخاء والأمن ما لم تبلغه قبل ذلك غير أن نصر بن سيار لم يستطع السيطرة على النزاع القبلي بين القيسة اليمنية في خراسان .

السند :

ولى عليها هشام الجنيد المري وتمكن من استرداد بعض المدن ، وقتل جاي سنك ثم تقلص الوجود الإسلامي في السند بسبب الفتن والثورات الداخلية .

أرمينيا وأذربيجان :

شهدت هذه المنطقة منذ عام ١٠٧هـ ضغطاً عسكرياً إسلامياً وادى ذلك إلى تحجيم قوة الترك واخضاع بعض المدن المحيطة ببلاد الخزر.

الجبهة البيزنطية الرومية:

عمل هشام عبد الملك على تقوية التحصينات على مناطق الثغور على حدود البيزنطية وأصبحت الغارات الإسلامية مستمرة سنوياً وفتحت عدة مدن إلا أن الجيش الإسلامي هزم قرب ريض آكرن قرب عمورية وتكبد خسائر فادحة ونتج عن ذلك جلاء المسلمين عن الجزء الغربي من آسيا الصغرى وتمكن البيزنطيون من تخليص القسطنطينية من هجمات المسلمين .

شمال افريقية :

عانى المسلمون في هذه الجبهة من عداء البربر بعد أن استقطبهم الخوارج وقد نقموا على العرب لا ستئثارهم بالمناصب والامتيازات وقام البربر بثورة عام ١٢٢هـ وتغلبوا على عدة جيوش أموية حتى بعث إليهم هشام عاملة على مصر حنظلة بن صفوان الكلبي فانتصر عليهم في معركتي الأصنام والقرن واخضعهم .

جبهة الأندلس:

كان على أهل الأندلس في خلافة هشام الدفاع عن أنفسهم لعدة أسباب :

١- ضعف الحكومة المركزية في دمشق.

٢- بعد المسافة وخط الإمداد.

٣- انهماك حكام شمالي إفريقيا بشؤنهم الداخلية .

قاد السمح بن مالك القوات للإنسياح في بلاد غالة والفرنجة منذ عام ١٠٠هـ ووصلت قواته إلى تولوز والتقى بالدوق أودو الذي انتصر على المسلمين وقتل السمح رحمه الله في هذه المعركة .

وتولى قيادة جيش المسلمين عبد الرحمن الغافقي فانسحب بنجاح إلى ناربون ثم قاد عنبسة الكلبي الجيوش ووصل إلى حوض الرون ووصل إلى بعد مائة ميل عن باريس غير أنه إستشهد في طريق رجعته سنة ١٠٧هـ فتولى قيادة الجيوش الإسلامية مرة أخرى عبد الرحمن الغافقي ، واستطاع أن يهزم الدوق أودو ، وبعد هذه المعركة وصل المسلمون إلى مقاطعة أكيتانيا وحتى مدينة تور ، وكان هذا آخر امتداد منظم لهم في أوروبا حينئذ أعد شارل أحد قادة الفرنجة قوات كبيرة لمنع المسلمين من دخول بلاد الفرنجة وكانت خطته ترك المسلمين يحاربون حتى تنهك قواهم وينشغلوا بجمع الغنائم وأخفى قواته التي جمعها للقاء الغافقي بين تور وبواتيه وكان الغافقي يعاني من صعوبة في التموين وعدم تجانس في الجيش الذي تحكمت فيه العصبيات الأندلسية المتصارعة

فالتقي الغافقي بجيش شارل الذي كان منظماً غاية التنظم ومجهزاً أتم التجهز ودارت معركة شرسة انتهت بهزيمة الجيش الإسلامي ومقتل الغافقي وتفرقت المسلمين واختلفت الجند واضطروا للانسحاب إلى قواعدهم في سبتمانيا.

وبهذه الهزيمة وقف المد الإسلامي في أوروبا ولقب شارل بالمطرقة ولم يتعقب شارل المسلمين خشية أن يكون انسحابهم تكتيكياً إضافة إلى الخسائر الجسمية التي مني بها والتي جعلته عاجزاً عن تنظيم أي عملية مطاردة .

تراجع المسلمون بعد ذلك إلى الأندلس ولم يبق لهم فيما وراء البرنية سوى مقاطعة سبتمانيا .

وفاة هشام بن عبد الملك :

توفي هشام بن عبد الملك يوم الأربعاء في شهر ربيع الثاني سنة ١٢٥هـ كانت مدة خلافته تسع عشرة سنة وستة أشهر وأياماً.

١١- الوليد بن يزيد بن عبد الملك ١٢٥- ١٢٦هـ (وهو الوليد الثاني)

مبايعته : بويع بالخلافة بدمشق بعد وفاة عمه هشام بعشرة أيام .

سياسته : استهل الوليد خلافته بزيادة الأعطيات وأعطى لكل الزمني و المجذومين والعميان خادماً.

مقتله :

خالف الوليد سياسة بني أمية فحالف القبائل القيسية ضد القبائل اليمنية ، وقبض على والي العراق وخراسان في ولاية هشام خالد بن عبد الله القسري ، وسلمه إلى يوسف بن عمر الثقفي فقتله فأوعز ذلك صدور اليمنية ضده، وثارت عليه بنو كلب حلفاء بني أميه في دمشق وانضموا إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وحاول بعض بني أمية الإصلاح ولكنه لم يفلح .

وقال لهم العباس بن الوليد بن عبد الملك : يا بني مروان إني أظن الله قد أذن في هلاككم .

وزحف يزيد بن الوليد على دمشق واستولى عليها بمساندة اليمنية واقتحم قصر البخراء قرب تدمر وكان فيه الوليد بن يزيد حيث قتل فيه.

وكانت هذه بداية النهاية للدولة الأموية حيث دب الخلاف بين أمرائها وفقدوا أكبر نصير لهم وهم اليمنية الذين ناصروا الدعوة العباسية.

١٢- يزيد بن الوليد بن عبد الملك (وهو يزيد الثالث)

١٣- إبراهيم بن عبد الملك ١٢٦- ١٢٧هـ

مبايعته : بويع يزيد بن الوليد في بادئ الأمر في المزة من قرى دمشق وتقدم أنه قتل ابن عمه الوليد بن يزيد واستحوذ على الملك جمادي الآخرة عام ١٢٦هـ .

سياسته:

اظهر يزيد التقوى خلال حكمه وتشبه بعمر بن عبد العزيز ، وسمي بالناقص لأنه أنقص أعطيات الجند وردها إلى ما كانت عليه في عهد هشام .

الأوضاع الداخلية: وفاة يزيد بن الوليد وتولي إبراهيم بن الوليد

خرج على يزيد بن الوليد ابن عمه سليمان بن هشام بعد أن فر من سجنه وصار يهاجم الخليفة ويلعنه بدمشق .

وخرج على يزيد أيضاً أهل حمص وفلسطين والأردن واستطاع إخضاعهم وانشق على يزيد والي خراسان نصر بن سيار الذي راودته فكرة الاستقلال وبايعه أتباعه .

كان مروان بن محمد بن مروان بن الحكم والي الجزيرة وأذربيجان وأرمينية رفض في البداية الاعتراف بخلافة يزيد ثم تفاوض في ولاية العهد فلم يلبث يزيد أن توفي في شهر ذي الحجة سنة ١٢٦هـ .

تولى بعد يزيد أخوه إبراهيم بن الوليد فلم يبايعه مروان لتطلعه للخلافة فبدأ الصراع والخلاف بينهما .

زحف مروان بجيشه نحو دمشق واستولى على قنسرين وحمص وهزم قوات إبراهيم بن الوليد ثم دخل دمشق التي فر منها إبراهيم وبايع الناس مروان بن محمد سنة ١٢٧هـ

١٤- مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ١٢٧- ١٣٢هـ :

مبايعته : بويه له بالخلافة بعد وفاة يزيد الثالث وانتصاره على إبراهيم بن الوليد كما تقدم وكان ذلك في شهر صفر سنة ١٢٧هـ

لقبه : لقب بمروان الجعدي نسبه إلى مؤدبه وهو الجعد بن درهم .

صفاته : كان صبوراً ، يعتبر من فرسان بني أمية وشجعانهم .

الأوضاع الداخلية :

بعد مقتل الوليد الثاني أصبح الحكم الأموي يستند على جماعات متناحرة ليس لها هدف يجمعها ويوحد كلمتها ومن القوى التي نازعت الحكم الأموي :

١- الدعوة العباسية التي أخذت تتحين الفرص لتوسيع نفوذها .

٢- الشيعة والخوارج .

٣- بعض القوى القبلية المتربصة بالحكم الأموي.

(نقل مروان العاصمة)

كان نقل مروان العاصمة من دمشق إلى حران مكان نشأته وهي مقر القبائل القيسية دور في انحراف اليمنية عنه وهم الذين قامت على أيديهم الدولة الأموية ، فانضموا للدولة العباسية وأدى ذلك إلى نقمة أهل الشام على مروان فقد نقل عن بلادهم العاصمة التي كانت سبباً لتدفق الخيرات عليهم .

انسحب نحو الموصل ثم إلى حران ولاحقه الجيش العباسي فهرب إلى حمص ثم دمشق ثم الأردن ثم فلسطين ثم مصر وتوقف في مدينة بوصير حيث قتل فيها عام ١٣٢هـ وانتهت بمقتله الدولة الأموية .

أسباب سقوط الدولة الأموية :

١- **التنافس على الخلافة** فقد أفضى ذلك إلى عدم مبايعة عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الملك بن مروان حتى قتل عمرو على يد عبد الملك وضاعت آمال خالد بن يزيد بن أبي سفيان في الحكم وكان هذا أشد خلاف وقع بين الأسرة الأموية من ولاية معاوية بن أبي سفيان.

وفي عهد هشام بن عبد الملك عارضه في الحكم الوليد بن يزيد بن عبد الملك فعزله هشام عن ولاية العهد فلم يستجيب الوليد لذلك وفر إلى خارج دمشق وأما الوليد بن يزيد فقد قتل على يد يزيد بن الوليد بن عبد الملك وفي عهد يزيد هذا اشتد الصراع بين الأمويين على السلطة فلم يبايع مروان بن محمد إبراهيم بن الوليد الذي تولى الحكم بعد وفاة أخيه وتولى مروان الحكم بعد نزاع إبراهيم بالحرب والقوة .

٢- **تولية العهد اثنين** : دأب أكثر الولاة الأمويين على توليه العهد من بعدهم لاثنين من أبنائهم وكان هدفهم من ذلك تثبيت الحكم ومنع نشوب الخلاف في تعيين الخليفة وأدى هذا إلى نشوب الخلاف والشقاق بين بني أمية فما أن يتولى الابن الأول حتى ينزع أخيه عن ولاية العهد ويولي ابنه أو إثنين من أبنائه ، وأول من سن ذلك مروان بن الحكم .

٣- **الصراعات القبلية** : فقد أبدت قبائل الشام اليمنية وخاصة بنو كلب بني أمية وساندت القيسية المعارضة فساندت عبد الله بن الزبير ، ودارت بني القيسية واليمنية حرب في مرج راهط انتصر فيه اليمنية وقتل الضحاك بن قيس زعيم القيسية .

وظل خلفاء بني أمية على تأييد اليمنية حتى كان عمر بن عبد العزيز فحاول رأب الصدع والإصلاح بين العصبيتين. إلا أن الذي تولى من بعده يزيد الثاني مال إلى القيسية وخلع الولاة القادة من اليمنية وانتقم منهم وهكذا كان كل خليفة إذا مال إلى عصبية انتقم من العصبية الأخرى ، ولذلك اشتعلت نار العداوة بين القيسية واليمنية في كل مكان حتى استغل العباسيون هذه العصبية حين وقف الوليد بن يزيد مع القيسية وكذلك مروان بن محمد فوقعت اليمنية ضده وساندوا الدعوة العباسية .

٤- **تقديم العرب على الموالي** : فقد حرم الموالي أحياناً من العطاء وفرضت عليهم الجزية رغم إسلامهم فكون أولئك الموالي حلفاً ضد الولاة الأمويين وساندوا الحركات الانفصالية مثل حركة المختار بن أبي عبيد وأخيراً ساندوا الدعوة العباسية التي أطاحت بالأمويين .

الحركات المعارضة:

١- انشق أهل حمص على مروان واستطاع مروان إخماد ثورتهم .

٢- خرج على مروان بن يزيد بن خالد القسري وحاصر دمشق إلا أن مروان تغلب عليه وحرق بعض قرى اليمنية وقتل يزيد .

٣- خرج على مروان ثابت بن نعيم الجذامي وقاد أهل فلسطين لحرب مروان فبعث إليه مروان أبو الورد فقضى على ثورته وقتل ثابت.

الخوارج :

ثار الخوارج على مروان ، وكانت حركتهم شاملة ، فدخلوا الكوفة واستولوا على البصرة وحضر موت غير أن مروان تمكن من هزيمتهم في مواضع عديدة وأجلاهم من العراق والحجاز واليمن .

الشيعة العلويين :

قام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بثورة وانضم إليه شيعة الكوفة إلا أنه قبض عليه ثم هرب إلى فارس واستأنف نشاطه وهزم عام ١٢٩هـ ثم قتل .

الحركة الأموية :

خرج على مروان واليه على الكوفة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الأموي وناصره يمنية الكوفة والشام وقوى أمره وأرسل إلى مروان جيشاً إلا أن مروان لم يحسم أمره لانشغاله بالخوارج .

وخرج عليه سليمان بن هشام بن عبد الملك وناصره بعض أهل الشام لكن مروان هزم قرب قنسرين وهرب إلى الكوفة .

نهاية مروان بن محمد وسقوط الدولة الأموية :

انشغل مروان بإخماد الثورات وإعادة المتشقين على خلافته بينما كان الدعوة العباسية تزداد قوة وصلابة وتوسعاً في خراسان بجهود أبي مسلم الخراساني الذي أخذ البيعة لولاة الدعوة العباسي واستقامت الأمور للعباسين في خراسان ، وكتب والي مروان على خراسان نصر بن سيار إليه بما آلت إليه الأوضاع ولكن مروان كان غير قادر على إجابة طلبه فقوي أمر أبي مسلم وسيطر تماماً على خراسان وفر نصر بن سيار إلى نيسابور فلاحقه أحد قادة قوات الدعوة العباسية قحطبة الطائي فهرب من نيسابور إلى الري وتوفي بها وأرسل مروان مدداً لكنه هزم واتجه قحطبة نحو العراق وهزم قوات الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ .

وبويع في الكوفة لعبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله العباس .

بعد أن استقر الوضع واستتب الأمر لعبد الله العباسي في العراق ، بعثه عمه عبد الله بن علي بجيش لمواجهة جيش مروان والقضاء على عاصمة الدولة الأموية ، فالتقى عبد الله بن علي بجيش مروان على نهر الزاب، وكانت حرباً عظيمة استمرت أحد عشر يوماً انتهت بهزيمة مروان الذي

٥- **الخلافات المذهبية** : فقد كان الشيعة وأنصارهم وكذلك الخوارج شوكة في جسد الدولة الأموية ، وقد بذلت الكثير من الأموال والأنفس والجهد للقضاء على الثورات التي قام بها أتباع هاتين الفريقين وطالما أعاق أولئك حركة الجهاد والتطور وأضعفوا من قدرات الدولة الأموية.

الـــــدولة العباسية

العصر العباسي الأول (الذهبي)

ولمحة سريعة عن بقية عصور الخلافة العباسية

الدولة العباسية

قيام الدولة :

تقدم ذكر الدعوة العباسية وظهورها في عهد يزيد بن عبدالملك كان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس يدعوا سراً إلى خلافة آل البيت ، ولم يسم أحداً حتى لا ينفر عنه آل أبي طالب لأن الإمامة عرفت في ذرية فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك أيد محمد بن علي كثير من مؤيدي ذرية علي بن أبي طالب.

وكان مقر محمد بن علي في الحميمة في البلقاء بالأردن ومنها كان يرسل الدعاة إلى الجهات المناسبة واختار الحميمة لأنها تقع على طريق قوافل الحج ولبعدها عن المسرح السياسي الأموي.

واختار محمد علي مكان بث الدعوة خراسان لأنها تغلي بالنزاعات القبلية ويوجد بها الفرس والموالي الناقمين على الخلافة الأموية لتقديمها العرب.

واختار مكان انطلاق الدعوة الكوفة لأنها عرفت بولائها للشيعية وهي نقطة وصل بين خراسان وبلاد الشام حيث مقره بالحميمة .

طلب محمد بن علي من دعاة العباسيين أن يظهروا أنفسهم تجاراً وليسوا دعاة لإخفاء هدفهم الدعائي.

وهكذا توفر للدعوة العباسية القيادة الحكيمة والدعاة المخلصون والمقر المناسب.

تطور الدعوة السرية العباسية :

كان الدعوة العباسية في حال قوة الدولة الأموية دعوة سرية وتوفي محمد بن علي سنة ١٢٥هـ وأوصى من بعده لابنه إبراهيم وأعلم محمد علي دعاته قبل وفاته أن يدعو لنفسه وآل العباس وليس لآل البيت عامة .

وعلمت الدولة الأموية بالدعوة العباسية ، فطاردت دعاتها وقتلت بعضهم .

ثم بدأ الطور الثاني :

بعد انضمام أبي مسلم الخراساني للدعوة العباسية حيث تم اختياره من قبل إبراهيم محمد بن علي ليكون قائداً للدعوة العباسية في خراسان وهو من الفرس وليس من العرب وتم اختياره كذلك ليجذب الموالي وأهل المنطقة إليه فهم من الفرس والعرب فيها متقاتلون فلو اختير من العرب لمال إليه بعضهم وحاربه بعضهم .

واستطاع أبو مسلم بذكائه ودهائه أن يوحد شمل خراسان على تأييد الدعوة العباسية فذكر الفرس والموالي بما نالهم من ظلم في الدولة الأموية وتمكن من جذب العرب اليمنية في خراسان وهم الغالبية وذكرهم بإعراض آخر خلفاء بني أمية عنهم .

إطمأن أبو مسلم على وضعه فكتب إلى إبراهيم محمد بن علي في الحميمة ، وحددا بدأ التحرك بعد أن لاحظا تردي الأوضاع في الدولة الأموية وأعلنت الثورة في خراسان في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩هـ ، ولاحق أبو مسلم ومن ناصره من قادة العرب اليمنية كسليمان بن كثير الخزاعي وقحطبة بن شبيب أنصار الدولة الأموية من القيسية كنصر بن سيار الذي فر إلى نيسابور هو وأنصاره من

تميم وبكر وقيس ثم هرب إلى الري ، ثم أن أبا مسلم تخلص من أكبر معاونيه الذي كان يظن فيه تهديداً له وخطراً على منصبه وهو سليمان بن كثير فقتله وابنه محمد ، وبذلك توحدت خراسان تحت قيادته .

هزيمة القوات الأموية ودخول العباسيين العراق :

علمت السلطة الأموية في دمشق بهذه التطورات فأرسلت قواتها للقضاء على الحركة العباسية ، ولكنها فشلت في مهمتها فاستسلمت مدن فارس مثل أصفهان ونهاوند وغيرها للجيوش العباسية وانتصرت الجيوش العباسية على والي العراق الأموي يزيد بن هبيرة حيث انتصر القائد العباسي قحطبه بن شبيب واستطاع الحسن بن قحطبة بعد وفاة أبيه دخول الكوفة في شهر محرم سنة ١٣٢هـ واعترف الحسن بن قحطبة برئيس الدعوة العباسية في العراق أبو سلمة الخلال وزيراً لآل محمد وصار هو صاحب السلطة الفعلية.

وبعد استقرار الأمر في العراق للدعوة العباسية كان لابد من تعيين مرشح من آل محمد صلى الله عليه وسلم الذين قامت الثورة باسمهم وكان إبراهيم بن محمد بن علي العباسي هو المرشح إلا أن تداول هذا الاسم جعل السلطة الأموية تتعرف عليه ثم تقبض عليه ، فقام مروان بن محمد بسجنه في حران ثم قتله في محرم سنة ١٣٢هـ وتذكر الروايات بأن إبراهيم نعى نفسه إلى أهل بيته قبل موته وأوصى بالولاية لأخيه أبي العباس عبد الله بن محمد بن علي وتقدم أنه بعد أن استقر الأمر لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي في العراق بعث عمه عبد الله بن علي بجيش لمواجهة جيش الدولة الأموية بقيادة مروان بن محمد والتقى الجيشان على نهر الزاب وهزم مروان بن محمد ولاحقته جيش عبد الله بن علي حتى قتل بمصر سنة ١٣٢هـ وانتهت بمقتله الدولة الأموية .

الخلفاء :

١- أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس السفاح ١٣٢- ١٣٦هـ.

مولده : ولد سنة ١٠٥هـ بالحميمة من البلقاء بالشام .

مبايعته : بويع بالخلافة في الكوفة يوم الجمعة ١٢ ربيع الآخر سنة ١٣٢هـ .

صفته : كان كريماً وقوراً ، عاقلاً ، كثير الحياء ، حسن الأخلاق.

الأحداث الداخلية:

١- قضى أبو العباس على جيوب المعارضة في فلسطين والبلقاء والجزيرة ، وقضى على تمرد يزيد بن هبيرة في واسط ، وقتل بعد أسره ، وقتل أيضاً أبو سلمة الخلال قائد العباسية في العراق.

الإصلاحات الداخلية:

١- استحدث السفاح وظيفة (وزير) وهي تقليد ونظام فارسي، وكان أول وزير أبو سلمة الخلال ولم يكن يتمتع بسلطات ثم تطور نظام الوزارة ، وجعلت له اختصاصات معينة وقواعد ثابتة ، ومن أهم اختصاصاته : الإشراف على الشئون المالية كالدخل والخراج . ومن مهام الوزير : نصح الخليفة ومساعدته والنيابة عنه. والوزارة في الدولة العباسية وزارتان :

١. وزارة تنفيذ : وهي التي تقتصر فيها مهام الوزير على تنفيذ أوامر الخليفة من غير تصرف فيها .

٢. وزارة تفويض : وهي التي يفوض فيها الخليفة الوزير بالتصرف المطلق في شئون الدولة . ويكون للخليفة الحق في النظر في أعماله وخلع ممن لا يرى أهليتهم محمد يوليهم الوزير .

وفي العصر العباسي الأول كان غالب الوزراء من الفرس

وفي عصر ضعف الخلافة العباسية أصبحت الوزارة وزارة تفويض بعد أن كانت وزارة تنفيذ.

الفتوحات:

١- تم في عهد أبي جعفر السفاح إيقاف التدخل الصيني في بلاد ما وراء النهر حيث ألحق زياد بن صالح هزيمة بالجيش الصيني على نهر طراز .

٢- جهز حملتين لاسترداد ما استولى عليه الروم من مناطق الثغور ، مثل ملطية ووجه غارات نحو صقليه وسردنيا.

وفاته :

توفي السفاح بعد اصابته بالجدري في مدينة الأنبار سنة ١٣٦هـ .

٢- أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المنصور ١٣٦- ١٥٨هـ

مولده : ولد بالحميمة سنة ٩٥هـ .

نشأته : طلب العلم وهو شاب وتفقه في الدين ودرس الحديث ونشأ أديب فصيحاً ملماً بسير الملوك .

كان في عهد السفاح ساعده الشديد في تدبر الأمور وولي له عدة ولايات في الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان .

مبايعته : عهد السفاح لأخيه أبي جعفر بولاية العهد ، وأخذت له البيعة بعد وفاة السفاح وكان أميراً على الحج.

صفاته : اتصف بالشدة والبأس واليقظة ، وكره سفك الدماء إلا بحقها وعرف بالثبات عند الشدائد .

الأحداث الداخلية :

واجهت أبا جعفر المنصور عدة مشاكل سياسية هي :

١- خروج عمه عبد الله بن علي عليه وطالب بالخلافة لنفسه وكان السفاح قد بعثه لقتال الروم فلما توفي السفاح توقف الجيش وعاد به عبد الله بن علي إلى حران وأعلن خلع المنصور من الخلافة ودعا بالخلافة لنفسه ، فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني فهزمه في نصيبين وأسره المنصور ثم قتله عام ١٤٧هـ .

٢- تعاظم نفوذ أبي مسلم الخراساني :

حيث كان لديه شعور بأنه هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية وكان الفرس يأتمرون بأمره وكثرت خلافاته وساءت علاقته مع أبي جعفر المنصور بعد أن تباطأ في بيعته فلما توفي السفاح عزاه في وفاته ولم يهنئه بالخلافة، وقيل إنه كان يأتيه الكتاب بالأمر من أبي جعفر ، فيلوي شدقه على سبيل السخرية منه ، واستطاع المنصور استدراج أبي مسلم ليقدم إليه في المدائن بعد جهد كبير ثم قبض عليه واستجوبه في قتله لبعض القادة مثل سليمان بن كثير ، وعصيان أوامره بالتوجه إلى الشام ثم قتله في سنة ١٣٧هـ .

٣- خروج بني عمه عليه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

حيث خرج على المنصور محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب (بالنفس الزكية)

وامتنع من مبايعة المنصور وأعلن توليه الخلافة في المدينة في رجب سنة ١٤٥هـ وتلقب بأمير المؤمنين ، ورفع أخوه كذلك لواء الثورة والانتفاضة على المنصور في البصرة . واستطاع المنصور التخلص من النفس الزكية في المدينة في رمضان وقتله وصادر ممتلكاته ثم قضى على ثورة أخيه إبراهيم في البصرة وكانت حركته أشد خطورة حيث كاد الجيش العباسي أن يهزم لولا أن إبراهيم قتل بسهم أصابه في عنقه.

٤- ظهور الخوارج بالمغرب:

حيث ظهرت للخوارج حركات في افريقية (تونس) يقياد عبد الرحمن بن حبيب لكنه قتل سنة ١٣٧هـ وقامت لهم إمارة في سجلماسه وهي دولة بني مدرار سنة ١٤٠هـ في المغرب الأقصى وعمرت مائة وأربعين عاماً ولم يتمكن المنصور من القضاء عليها وقامت لهم إمارة في المغرب الأوسط (الجزائر) وهي إمارة إباضية وجعلت عاصمتها تاهرت وبقيت مائة وثلاثين عاماً.

وتمكن المنصور من الانتصار الإباضية في القيروان وتمكن من استعادة إفريقية (تونس) ولم يتجاوز نفوذه غيرها من بلدان المغرب.

٥- قيام الدولة الأموية في الأندلس:

اضطربت الأحوال في الأندلس أواخر الدولة الأموية ونشب القتال كما في خراسان بين القيسية واليمنية ، وكان العباسيون قد لاحقوا الأمويين وقضوا عليهم وعلى كل محاولة لاستعادة الخلافة

إلا أن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك تمكن من الفرار والخلاص منهم وعزم عبد الرحمن على تأسيس دولة في المغرب فعارضه واليها فاتجه إلى الأندلس ، ورحب اليمنيون في الأندلس به حيث أنهم كانوا أنصار الأمويين ، وأعلن عبد الرحمن بن معاوية قيام الدولة الأموية في الأندلس بعد أن هزم قوات خصومه من ولاة المغرب وانضمت إليه قوات شامية فصلى في مسجد قرطبة عام ١٣٨هـ واعلن قيام الدولة وحاول المنصور استعادة أو ضم الأندلس لدولته فاتصل سراً بأحد زعماء العرب وهو العلاء بن مغيث الجذامي وحثه على التخلص من عبد الرحمن بن معاوية والدعوة لطاعة الخليفة المنصور واستطاع العلاء استمالة القبائل اليمنية ثم أعلن ثورته ضد الحكم الأموي في الأندلس ورفع شعار الدولة العباسية السواد غير أن عبد الرحمن بن معاوية تمكن من القضاء على العلاء وعدد من رجاله ، وبعث برؤوسهم إلى الخليفة المنصور فأدرك المنصور قوته وبأسه ، ولقبه (بصقر قريش) .

الإصلاحات الداخلية :

بناء مدينة بغداد :

ظل العباسيون قرابة ثلاثة عشر عاماً منذ قيام دولتهم دون عاصمة لملكهم حتى بنى المنصور مدينة بغداد .

ولم يجعل العباسيون عاصمتهم دمشق لأنها عرفت لولائها للأمويين والكوفة لا تصلح لأن ميول أهلها شيعة لآل البيت ، والبصرة موقعها متطرف وأما بغداد فهي نقطة بين بلاد العرب وفارس الذين هم أنصار بني العباس.

أما من الناحية العسكرية فقد روعي في بنائها أن تكون في مأمن من الأعداء فهي بعيدة عن التفوذ البيزنطي وخطره ، وهي محصنة طبيعياً فلا يمكن الوصول إليها إلا على قنطرة أو جسر على نهر دجلة والفرات وأحيطت بسورين وخنادق محيط بها خندق خارجي عوضه ستة أمتار تجري فيه المياه وجهزت أبواب المدينة بدهاليز كبار لتنحرف عن الأبواب الأربعة الخارجية.

وبنيت بغداد بشكل دائري ليكون مركز المدينة في منتصفها ويكون هناك توازن بين مساحة المدينة والمدافعين عنها ، كما يعرض أجزائها للشمس ويمتاز موقع بغداد بأنها تقع على الضفة الغربية لنهر دجلة في أعلى المكان الذي يلتقي فيه هذا النهر بنهر الصراة فهو صلة الوصل من بلاد الشام وبلاد فارس ، ويمتاز بأهميته الاقتصادية كمركز تجاري لوقوعه على الطرق والممرات المائية والبرية والبحرية المتصلة ببقية أنحاء الدولة حيث ترد إليها المؤن من الشام والجزيرة ومصر والهند والسند والبصرة وواسط وأرمينية وأذربيجان عن طريق دجلة والفرات وفروعها .

شرع المنصور في بناء بغداد سنة ١٤٥هـ وفرغ من بنائها سنة ١٤٩هـ :

وفاته : توفي المنصور وهو في طريقه إلى الحج سنة ١٥٨هـ من وجع بطنه قرب مكة .

٣- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله العباس المهدي ١٥٨- ١٦٩هـ .

مولده : ولد بالحميمة من أرض البلقاء سنة ١٢٦هـ .

صفاته: اشتهر بالكرم واللين والفطنة.

مبايعته : بويع له بالخلافة بعد وفاة المنصور وكان في الثالثة والثلاثين من عمره .

الأحداث والأوضاع :

يعتبر عصر المهدي عصر الاعتدال واللين، والرخاء ، بخلاف عصر والده واستهل بالمهدي خلافته باسترضاء الناس ، فرد الأموال التي اخذت في عهده والده إلى أصحابها .

وأطلق المساجين السياسين ، وخاصة العلويين ، وأعاد لهم أرزاقهم بل جعل وزيره يعقوب بن داود منهم .

واستهل المهدي خلافته باسترضاء أهل الحجاز وكان المنصور قد شدد عليهم لمساندتهم (النفس الزكية) فوزع المهدي عليهم اموالاً طائلة وسمح بإعادة الغلال والحبوب الواردة إليهم من الشام ومصر، وضم إلى حرسه الخاص عدداً من الجنود الحجازيين .

الحركات الانفصالية:

١- الزندقة:

ظهر في عهد المهدي الزنادقة من الفرس المجوس الذين تستروا بالإسلام وبدأوا ينشرون الأفكار المجوسية والإلحادية ، وقد تتبعهم المهدي وقبض على كثير منهم وقتلهم صبراً وأنشأ ديواناً خاصاً بهم سمّاه (ديوان الزنادقة) .

٢- حركة المقنع : ظهر في خراسان وادعى الربوبية لنفسه، وأظهر عقيدة مزدك الإباحية، واسقط التكاليف الشرعية، وصار له أتباع في خراسان وبخارى والصغد وتصدى لهم ولاة المهدي وقام المقنع بإحراق نفسه قبل القبض عليه.

الإصلاحات الداخلية :

قام المهدي بعدة إصلاحات ومنها :

توسعة الحرمين النبوي والمكي ، وأقام المحطات على طريق مكة ، وبنى الأحواض التي تملأ من الآبار لسقاية القوافل ووضع الحراس لحمايتها .

واجرى الأرزاق على المجذومين ، وأهل السجون حتى يمتنعوا عن السؤال ، ويحول دون انتشار الأمراض .

وبنى المدارس والمستشفيات ، وأقام البريد بين مكة والمدينة واليمن .

واهتم بالتجارة فأنشأ شبكة من الطرق التجارية جعلت من بغداد مركزاً تجارياً عالمياً

الأحداث الداخلية :

الحركة الطالبية :

شدد الهادي على الطالبين ولم ينتهج سياسة أبيه في الإحسان إليهم فقطع عنهم الصلات والأرزاق ، وأمر ولاته بمراقبة تحركاتهم ، فرأى الطالبيون ما آلت إليه أوضاعهم من تدهور فحثوا كبيرهم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب على الخروج على الهادي. فاتصل بشقيقه في العراق وواعده الموسم القادم .

فاستعجل الحسن بن علي الخروج في ذي القعدة سنة ١٦٩هـ ، واتخذ من المسجد النبوي قاعدة لانطلاقه فأقام إحدى عشر يوماً ثم خرج إلى مكة ليستولي عليها ، وعسكر في وادي فخ ، فلم يتجاوب المكيون مع دعوته ، وأرسل له الهادي جيشاً هاجمه في معسكره في فخ في ذي الحجة فقضي عليه وعلى أتباعه.

الزندقة :

ورث الهادي عن والده كراهية الزنادقة ، فتكل بهم وقتل جماعة منهم :

يزدان بن باذام ، وعلي بن يقطن لعنه الله الذي روي عنه أنه نظر أثناء حجة إلى الناس وهم يهرولون في الطواف فقال: ما أشبههم إلا ببقر تدوس البيدر.

وفاته : توفي الهادي في بغداد في شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ وكانت مدة حكمه عاماً وشهرين.

٥- أبو جعفر هارون بن محمد بن عبد الله الرشيد وهو ابن الخليفة المهدي ١٧٠- ١٩٣هـ

مولده : ولد في الري في شهر محرم سنة ١٤٩هـ .

صفاته : كان أبيض طويلاً جميلاً مليحاً فصيحاً ، وكان سياسياً بارعاً سخياً شديد الاهتمام بمصالح الرعية ، شديد الغضب ، رقيق القلب رحيماً ورعاً متديناً.

مبايعته : بويع بالخلافة بعد وفاة الهادي في شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ .

١ الأوضاع الداخلية :

يعتبر هارون الرشيد رحمه الله من أوسع الخلفاء العباسيين شهرة ووصلت شهرته حتى الغرب وتناولتها بعض الدراسات الغربية بالتحليل ، وحاول بعض ملوك أوروبا التقرب منه واكتساب مودته ، ويعتبر عصر الرشيد العصر الذهبي للدولة العباسية حيث أصبحت مركز التجارة العالمية وكعبة رجال العلم والأدب.

وهو الذي سن كسوة الكعبة في كل سنة بكسوة جديدة ، وعين الأمناء في الولايات ليوافوه بأخيار الولاة ، وكان يجلس للمظالم وهو أول الخلفاء العباسيين الذين جلسوا للمظالم ،واتخذ بيتاً له نافذة من حديد تطرح فيه عرائض الشكاوي وتجمع بعد ذلك .

العلاقات الخارجية والفتوحات:

(الأندلس)

حاول المهدي مثل والده المنصور إدخال الأندلس تحت سيطرة وخطط مع والي برشلونه سليمان الكلبي ووالي سرقسطه حسين الأنصاري ووالي المغرب عبد الرحمن بن حبيب الفهري مقاومة نفوذ عبد الرحمن الداخل وخلعه واستعانوا بشارلمان الكارولخي إلا أن عبد الرحمن الداخل قضى على هذه الخطة بفضل الله وعاد شارلمان خاسئاً إلى بلاده.

(العلاقة مع البيزنطيين) :

تبادل الروم والمسلمون في عهد المهدي الغارات على الحدود بين الجانبين وبعد وفاة الأمبراطور البيزنطي ليو الرابع وقيام الثورات في الدولة البيزنطية استغل المهدي هذه الفرصة وبعث ابنه هارون الرشيد حملة ضخمة لمهاجمة القسطنطينة واستطاع تحقيق هذه المهمة وأجبر الروم على الصلح فصالحته الأمبراطورة إيرين على دفع جزية محدود ويتم تبادل الأسرى من الجانبين وفتح الأسواق البيزنطية للمسلمين واستمرت الهدنة قرابة الثلاثة سنوات ثم نقضها الروم واستأنفت هجمات المسلمين وغاراتهم على بلاد الروم.

وفاته :

توفي المهدي في شهر محرم سنة ١٦٩هـ في خربة الروذ بعد اصطدامه بباب خربة وهو يصطاد وقيل أكل طعاماً مسموماً.

٤- أبو موسى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهادي ١٦٩- ١٧٠هـ

مولده : ولد في الري سنة ١٤٧هـ .

صفاته : كان أبيض جسيماً ، شهماً ، غليظاً ، شرساً ، وكان ملماً بالأدب والتاريخ .

توليه الخلافة : عهد إليه والده المهدي بالولاية من بعده ، وكان عمره ستة عشر سنة وبويع له بالخلافة في محرم .

١- الحركة الطالبية (قيام دولة الأدارسة) :

تقدم ذكر موقعة فخ بين آل طالب وبين الهادي والتي انتهت بهزيمة الحسن بن علي بن الحسن الطالبي ونجا من جيشه إدريس بن عبد الله بن الحسن وفر إلى المغرب، واستقر في إقليم طنجة والتف حوله البربر وأقام لنفسه دولة والتي عرفت فيما بعد بدولة الأدارسة وهي أول دولة طالبية تنفصل عن كيان الدولة العباسية ، وخطط هارون الرشيد للقضاء على هذه الدولة ، ولكنه لم يرسل لذلك جيشاً لخوفه إن هزم هذا الجيش أن يستولي إدريس على بلاد الشام ومصر ، ولكنه بعث إلى إدريس من تمكن من قتله والقضاء عليه ، إلا أن دولته لم يقض عليها ، فقد بايع البربر بعده ابنه بعد أن كبر وكانوا أخواله وسموه على اسم والده ويعتبر هو المؤسس الحقيقي لدولة الأدارسة .

ولما ازداد خطر دولة الأدارسة على الخلافة العباسية أقطع الرشيد إبراهيم بن الأغلب ولاية افريقية ليقف في وجه الأدارسة .

وأما الأخ الثاني للإدريسي وهو يحيى بن عبد الله فإنه فر إلى بلاد الديلم فقوي أمره هناك وأعلن خروجه سنة ١٧٦هـ وهدد سلامته الدولة العباسية لحصانته المنطقة التي خرج فيها ، فبعث إليه الرشيد الفضل البرمكي واستطاع أن يرغمه على مصالحته فاستقبله الرشيد في بغداد ثم قبض عليه وسجنه .

٢- الخوارج :

خرج في عهد الرشيد طريف الشاري الخارجي وبسط نفوذه على أرمينيا وأذربيجان وهدد العراق ولكن الرشيد هزمه قرب الأنبار.

وعمت افريقية القلاقل من قبل الخوارج حتى استطاع إبراهيم بن الأغلب عامل إقليم إفريقية والزاب في قمع الثورات الخارجية .

٣- ثورة أهل خراسان :

كان الرشيد قد أعطى لبعض قادة المشرق حرية التصرف، فدفع هذا بعضهم إلى الاستبداد وظلم الرعية وتحقيق الرفاهية لهم دون الرعية ومن هؤلاء علي بن عيسى بن ماهان ، فثار ضده رافع بن الليث بن نصر بن سيار وأيده أهل خراسان وما وراء النهر ولم يستطع علي بن عيسى قمع ثورته فعزله الرشيد وولى هرثمة بن أعين ، فأقام العدل والإنصاف ثم إن رافعاً قام بحركة معادية ضد الرشيد ، فخرج بنفسه لإخضاعه ولكنه توفي في الطريق.

٤- نكبة البرامكة :

اعتمد الخلفاء العباسيون منذ قيام دولتهم على العنصر الفارسي بدأ بأبي مسلم الخراساني الذي قامت على يديه الدعوة العباسية في خراسان ثم البرامكة وآل سهل ، والطاهريين.

والبرامكة ينسبون إلى جدهم برمك ومعناه (خازن معبد النوبهار) وبدأت العلاقة بينهم والخلفاء العباسيين منذ عهد السفاح فقد قلد خالد بن برمك ديوان الخراج والجند ، وأشرف على الشئون المالية في عهد المنصور وولاه المهدي مقاطعة فارس.

وكان ليحيى بن خالد بن برمك دور كبير في إبقاء الهادي هارون الرشيد ولياً لعهده بعد أن كان يريد توليه ابنه جعفر ، وكانت الدواوين كلها بيده واجتمعت له وزارة التنفيذ ووزارة التفويض .

وأما الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك فهو أخو هارون الرشيد من الرضاع وعهد إليه هارون تربية ابنه الأمين وولاه عدة مناصب في المشرق وأما جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك فقد اختص بمنادمة الرشيد وخدمته لسهولة طبعه ، فكان يلازمه في ليله ونهاره ، وكان الرشيد آخاه ويدخله معه في ثوب واحد ، وأثر جعفر بن يحيى على الرشيد تأثيراً كبيراً حتى قلده مراتب الضرب والطراز والبريد وولاه عدة ولايات منها المغرب ، وافريقية وخراسان وسجستان وغيرها .

واختلف في سبب نكبة البرامكة وتخلص الرشيد منهم:

فقل لأنهم سيطروا على الرشيد سيطرة كاملة وأصبحوا يستأثرون بالأمر دونه وأنهم استبدوا بمالية الدولة حتى قيل إن الرشيد كان يحتاج إلى اليسير من المال فلا يقدر عليه ومن تلك الأسباب وشاية أعدائهم بهم عند الرشيد ومن ذلك ما ذكر من أنهم أظهروا ميولاً سياسياً نحو آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعلى كل حال فإن الرشيد تخلص من البرامكة فقتل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك سنة ١٨٧هـ وسجن يحيى وبقية أبنائه وصادر ممتلكاتهم .

الفتوحات:

قام الرشيد بتحصين مناطق الثغور البيزنطية في الجزيرة وبلاد الشام فأقام ما يعرف (بالعواصم) وهي مناطق خلف منطقة الثغور، وتمتد من أنطاكية إلى الفرات وكانت منبج عاصمتها ، ومهمتها أي العواصم مساندة مناطق الثغور في حالة تعرضها لهجوم.

هاجم الرشيد الدولة البيزنطية مرات عديدة ووصل في أحد غاراته إلى أنقره، وأمام هجمات المسلمين المتلاحقة لجأت الإمبراطورة إيرين مرة أخرى إلى المصالحة عام ١٨٣هـ على دفع جزية سنوية وتستمر الهدنة أربع سنوات.

ثم إن إيرين خلعت من عرش الإمبراطورية وتولى مكانها الإمبراطور نقفور الذي نقض الصلح مع الرشيد ورفض إعطاء الجزية وطلب من الرشيد إرجاع ما أخذه من (إيرين) إلا أن الرشيد قاد حملة على بلاد الروم سنة ١٨٧هـ وتوغل منطقة كبادوكيا وعجز نقفور عن مواجهته فلجأ إلى الصلح على خراج يؤديه إلا أن نقفور نقض الصلح سنة ١٩٠هـ وهاجم الثغور الإسلامية واستولى على طرسوس وضيق على مرعش فقام الرشيد بحملة عسكرية ضخمة توغل بها داخل الحدود البيزنطية وفتح هرقلة وامتلك طونه ، وأرسل قوة عسكرية إلى أنقره فلجأ نقفور مرة أخرى إلى الصلح الآتي:

١- أن يدفع خراجاً وجزية مقدارها ٣٠٠ ألف دينار سنوياً .

٢- أن لا يعيد بناء الحصون التي هدمها المسلمون .

٣- تعهد الرشيد بعدم بناء حصون ذي الكلاع وصملة وسنان .

٤- أن يرد للبيزنطيين معسكراتهم التي كانت في حوزته .

٥- تستمر الهدنة ثلاث سنوات .

وعلى كل حال فإن الحملات التي وجهها الرشيد ضد الدولة البيزنطية منعتهم من القيام بأي نشاط عدائي مثمر ضد المسلمين .

العلاقة مع دولة الفرنجة الكارولنجية في الغرب:

ذكر البعض أن الرشيد كان له صلات مع دولة الفرنجة وإمبراطورها أو ملكها شارلمان وذلك بقصد الضغط على الدولة الأموية في الأندلس والتي كانت حدودها مع دولة الفرنجة وأن شارلمان سعى إلى تنمية هذه العلاقة للسماح للحجاج من الفرنجة من الكاثوليك للحج إلى بيت المقدس وحمايتهم من الأرثوذكس ، وأن الرشيد سعى إلى ذلك أيضاً للقضاء على النفوذ البيزنطي على المسيحين عن طريق تقوية العلاقة مع الغرب ودولة الفرنجة والتي كانت تتنافس مع البيزنطيين على السيادة الروحية للعالم المسيحي.

إلا أن هذه العلاقة لم تذكرها المصادر الشرقية إسلامية أم مسيحية والغزوت بذكرها المصادر اللاتينية .

والذي يظهر أن هذه العلاقة لا تعدوا أن تكون نوعاً من العلاقة التجارية والسياسة والتي لا تأخذ أي شكل من أشكال التحالف السياسي وبعد أن يحالف الرشيد دولة الفرنجة الكافرة لضرب النفوذ الأموي الإسلامي في الأندلس خصوصاً وأنه لم يعد يفكر في إستعادتها لاسيما وقد اضطر للتخلص عما هو أقرب إليه منها وهي إفريقية ثم إن الحجاج من دولة الفرنجة كانت أوضاعهم جيدة في عهد هارون الرشيد ولم يحدث لهم اضطهاد أو اعتداء أو أخذ لحقوقهم حتى يسعى شارلمان للعمل مع الرشيد لتحسين أوضاعهم[٢] .

من أهم إصلاحات هارون الرشيد الداخلية : إنشاء زوجته زبيدة عين زبيدة بمكة والتي تجمع مياهها من جبل نعمان (كرا) شرق مكة ، ولها قنوات تصل بها إلى مكة وإلى عرفات وقيل إن ما أنفقته زبيدة لإنشاء هذه العين بلغ مليوناً وسبعمائة ألف مثقال من الذهب أي ما يعادل ٥٩٥٥ كغم من الذهب ، وعمل فيها ١٠٠٠ عامل .

وفاته :

توفي هارون الرشيد في شهر صفر سنة١٩٣هـ في مدينة طوس وهو في طريقه إلى خراسان لإخضاع رافع بن الليث .

---

(٢) انظر كتاب . محمد السيد الوكيل / العصر الذهبي للدولة العباسية ص ٢٦٠، ٢٦١ .

٦- أبو موسى محمد الأمين بن هارون الرشيد ١٩٣- ١٩٨هـ

مولده : ولد في الرصافة سنة ١٧٠هـ

مبايعته : بويع له بالخلافة بعد وفاة والده الرشيد وبعهد منه .

صفاته : أشتهر بحسن الأدب ، وكان عالماً بالشعر فصيح اللسان تأدب على الكسائي وحفظ عليه القرآن ولكن غلب عليه الهوى وضعف الشخصية .

الأحداث الداخلية : (قتل الأمين)

كان الحدث الهام في عصر الأمين الخلاف بينه وبين أخيه المأمون وسببه أن الرشيد جعل ولاية العهد بعده لأبنيه الأمين ثم المأمون ، فحاول الأمين عزل أخيه المأمون وتوليه ابنه موسى .

وقد ساند كل من الأخوين قوة في الدولة فساندت المأمون العنصرية والقوة الفارسية برعاية الفضل بن سهل وساندت الأمين القوة العنصرية العربية بزعامة الفضل بن الربيع

وبقي المأمون في خراسان وحوله أنصاره من الفرس وقد استدعاه أخوه الأمين إلى بغداد لكن وزيره الفضل بن سهل حذره من الذهاب إلى بغداد . وتطور الخلاف بين الأخوين فبدأ المأمون يوضع الحراسات على حدود خراسان والعراق واعتقال أنصار الأمين ثم سير الأمين جيشاً بقيادة عيسى بن ماهان لقتال أخيه ، والتقى الجيش بجيش المأمون في الري فهزم عيسى بن ماهان وقتل ، ثم بعث المأمون جيشاً آخر فتمكن من الزحف نحو بغداد بقيادة طاهر بن الحسين فحاصرها وتمكن جيشه من القبض على الأمين ثم سجنه المأمون ثم أقتحم عليه سجنه وقتل في محرم سنة ١٩٨هـ .

٧- أبو جعفر عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ١٩٨- ٢١٨ هـ

مولده : ولد سنة ١٧٠هـ

صفاته : كان أبيض أقنى جميلاً طويل اللحية ، ميالاً للعفو كريماً قوي الحجة ، حاضر البديهة ، أديباً.

مبايعته : بويع بالخلافة سنة ١٩٨هـ وكان في الري .

الأوضاع الداخلية :

١- موقف المأمون من وزيره الفضل بن سهل:

أعطى المأمون وزيره الفضل بن سهل الذي ناصره حتى تمكن من تثبيت خلافته ضد أخيه الأمين صلاحيات كثيرة فخلع عليه لقب ذو الرئاستين رئاسة السيف والقلم ، فسخط عليه العرب وبنو هاشم ، ونشبت الحرب في بغداد وتوقفت أعمال الحكم والإدارة كل ذلك والمأمون في مرو لا يصل إليه شيء من أخبار بغداد وكل ذلك بتشجيع وإحياء من الفضل بن سهل للمأمون أن يمكث في مرو ويدير الخلافة فيها مما جعل الفضل يستبد بالحكم في العاصمة بغداد .

أدرك المأمون أنه لا فائدة من بقائه في مرو وأن هذا سيؤدي إلى ضياع ملكه وأصبحت بغداد ومصر والجزيرة تعيش في فوضى مما ينذر بخطر حرب أهلية بين أفراد الأسرة العباسية .

فغادر المأمون إلى بغداد سنة ٢٠٢هـ فمثلت عودته تغيراً جوهرياً في مسار دولة الخلافة العباسية ، وزالت معها الصبغة الفارسية وعادت إليها الصبغة العربية واستطاع المأمون التخلص من الفضل بن سهل وقتل سنة ٢٠٢هـ في شهر شعبان .

الحركات الانفصالية :

١- حركة أبي السرايا :

وكانت بقيادة السري بن منصور الشيباني وكان يدعو للعلويين ، وبسط نفوذه على البصرة والحجاز واليمن حتى استطاع الحسن بن سهل والي المأمون على العراق القضاء عليه وهزيمة قواته وأسره ثم قتله .

٢- حركة نصر بن شبث :

وكان حركته حركة قومية ضد المأمون لتقريبة الفرس وخرج في شمالي حلب واستولى على البلاد المجاورة وشايعه العرب فبعث إليه المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين فحاصره وقبض عليه وجيء به إلى بغداد سنة ٢٠٩هـ وانتهت ثورته.

٣- حركة الزط:

الزط قوم من أخلاط الناس قاموا بانتفاضة عاتية في نواحي البصرة ، وقوي أمرهم في فترة النزاع بين الأمين والمأمون ، ولما استقر الأمر للمأمون أرسل إليهم عدة حملات عام ٢٠٥هـ ولكنها لم تتمكن من القضاء عليهم تماماً وأن حدت من نشاطهم .

٤- حركة بابك الخرمي:

وهي أخطر حركة دينية المظهر سياسة الهدف، عرفتها الخلافة العباسية وتميزت بسرعة انتشارها، وتنظيم دعايتها ، وبراعة قيادتها وكانت عقيدة أتباعها القول بالتناسخ ، والرجعة والاشتراكية والإباحية واستباحة النساء ورفضوا التكاليف الشرعية وكان مقرها جبال أذربيجان ، وانتشرت دعوة بابك في منطقة الجبال وهمذان وأصفهان والجبل والديلم ، وطبرستان وجرجان وأرمينيا ، وخراسان وسائر أراضي العجم ، وعمل بابك على هدم حصون الثغور العباسية الإسلامية وعاونه أمراء الفرس والبيزنطيين ، وقطع خطوط تموين الجيش الإسلامي العباسي ، وملاحقه القوات العباسية في الجبال والقضاء عليها . وأرسل المأمون حملات عسكرية عديدة للقضاء على الحركة الخرمية ولكنه لم يتمكن من ذلك وتوفي المأمون وهي في أوج قوتها وعهد قبل وفاته لأخيه المعتصم بالتصدي لهذه الحركة بكل ما أوتي من قوة .

الفتوحات :

بدأت الحملات الإسلامية النشطة على الأراضي البيزنطية منذ عام ٢١٥هـ ، وجاءت رداً على الغارة التي نفذها الأمبراطور ثيوفل ضد زيطرة بمساندة قوات من الخرمية . حيث قاد المأمون وابنه العباس عدة حملات عسكرية وتمكنا من فتح عدة حصون في منطقة كبادوكيا واسترداد هرقلة ولؤلؤة .

الاصلاحات الداخلية :

الحركة العلمية والفكرية :

يعتبر عصر المأمون من أرقى العصور العلمية في العصر العباسي الأول فقد بلغت النواحي الثقافية أوج رقيها وأفضل عصورها وذلك راجع لشخصية المأمون والتي كانت مولعة بالقراءة والعلم منذ الصغر وانفتاحه العلمي فأباح المناقشات والمناظرات والاستفادة من علوم الشعوب الأخرى ، ومن أهم ما قام به المأمون من إنجازات في المجال الثقافي والعلمي ما يلي:

١- سخر المأمون كل الإمكانات وسلك كل السبل للحصول على العلوم والكتب الموجودة في مكتبات القسطنطينية وقبرص، واهتم بجمع تراث الأمم القديمة ، خاصة اليوناني، فأرسل بعثات علمية .

٢- انشأ بيت الحكمة سنة ٢٥١هـ ويعتبر بمثابة معهد علمي ضخم ، يضم مكتبة لنسخ الكتب الأجنبية ، وداراً لتعريبها ودراستها ، ويحتوي على مرصد فلكي ووضع فيه المأمون طائفة من المعربين ، وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال، فحوى هذا البيت تراث الثقافة الإسلامية إلى جانب التراث الأجنبي.

وعربت الكتب الفارسية في التنجيم والهندسة والجغرافيا والأدب والتاريخ وعربت أمهات الكتب من اللغات السنسكرتية والفهلوية واليونانية والسريانية وعربت كثيراً من آثار جاليتوس وأرسطو وأفلاطون وأبقراط وبطليموس ، وقام بتعريبها حنين بن إسحاق وكافأه المأمون بوزن الكتب التي عربها ذهباً.

واستخدم المأمون جماعة من الفلكيين ليرصدوا الأجرام السماوية ويدرسوا كسوف الشمس ، وبذلك نقل المأمون إلى العالم الإسلامي التراث العلمي الضخم لليونان .

وعربت كتب الهند في الرياضيات والفلك ، فقد لخص محمد الخوارزمي للمأمون تعريب إبراهيم الفزاري ، لكتاب الفلك الهندي (الرهنتا) غير أنه كان من الآثار السلبية لحركة التعريب الواسعة هذه ، تأثر الفكر الإسلامي لدى البعض بالثقافة الإغريقية اليونانية فظهر علم الجدل والكلام خاصة بمنطق أرسطو .

وتأثر كذلك بالثقافة الهندية وتأثرت اللغة العربية بالفارسية وتسرب إليها كثيراً من الألفاظ الفارسية .

محنة القول بخلق القرآن سنة ٢١٢هـ

أظهر المأمون القول بخلق القرآن . تعالى الله عن ذلك فالقرآن كلامه سبحانه وتعالى وهو صفة من صفاته السرمدية وهو سبحانه يتكلم متى شاء وكيف شاء .

وقد حاول وزير المأمون يحيى بن أكثم الذي كان على مذهب علماء الحديث أن يثني المأمون عن قوله الفاسد ذلك ولكنه لم يستطع وفي سنة ٢١٨هـ ألزم المأمون العلماء القول بخلق القرآن وكتب إلى عامله على بغداد إسحاق بن إبراهيم امتحان العلماء والقضاة في خلق القرآن ، وأن يعاقب من لا يقول بذلك، ولا يقبل شهادته وأجاب بعض العلماء بالقول بخلق القرآن خوفاً على أنفسهم من القتل أو العقاب منهم يحيى بن معين وقد صمد في هذه الفتنة عدد من جهابذة العلماء وبذلوا أنفسهم في سبيل الله ومنهم إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله الذي أودع السجن لعدم قوله بأن القرآن مخلوق وأوثق في الحديد.

وقد تأثر المأمون في القول بخلق القرآن بابن أبي دؤاد فقد اتخذه مرجعاً ولو سمع المأمون حجة الإمام أحمد في الرد على من قال بخلق القرآن لرجع عن قوله : ولكنه توفي والإمام أحمد في طريقه إليه .

وفاته :

توفي المأمون في البدنون ، وهو يغزو بلاد الروم في شهر رجب سنة ٢١٨هـ وحمل إلى طرسوس ودفن فيها.

٨- أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ٢١٨- ٢٢٧هـ

مولده : ولد في بغداد سنة ١٠٨هـ في شهر شعبان .

صفاته : كان شجاعاً قوي الجسم وكان أمياً لا يحسن القراءة والكتابة ويقال له المثمن لأنه ثامن ولد العباس، وثامن الخلفاء من ذريته وأحرز ثمان فتوحات ، وأقام في الخلافة ثمان سنوات ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ، ولد سنة ١٠٨هـ ، توفي وله من العمر ثمانية وأربعون عاماً، وخلف ثمانية بنين وثمان بنات .

مبايعته : بويع بالخلافة يوم مات أخوه المأمون بطرسوس وحكم الدولة حكماً قوياً حازماً فيه نوع من العطف وحسن التدبير ، وأولع بالعمارة والزرع وشيد القصور والحدائق

الأحداث الداخلية :

١- حركة الزط:

تقدم ذكر حركة الزط في عهد الخليفة المأمون وأنهم سيطروا على طريق البصرة وهددوا مرافق الدولة وحاولوا دون وصول الإمدادات إلى بغداد فوجه إليهم المعتصم قائده عجيف بن عنبسة سنة ٢١٩هـ واستطاع السيطرة عليهم ثم نفاهم المعتصم إلى زرية.

٢- حركة بابك الخرمي:

وتقدم ذكره أيضاً في عهد المأمون أيضاً حيث لم يستطع القضاء على حركته، وقد بذل المنصور جهوداً كبيرة للقضاء عليه فعين قائده الأفشين سنة ٢٢٠هـ أميراً على الجبال وأمره بقتال بابك واستطاع ملاحقته بابك فهرب إلى أرمينيا فقبض عليه وجيء به إلى سامراء ومعه أخوه عبد الله ، فقتل شر قتلة بعد قطع يديه ورجليه ، وغرز السيف في جسده ، ثم قطع رأسه، وأرسل إلى الخليفة في بغداد فصلبه وأخيه.

٣- حركة المازيار:

وكان قد اتخذ من بلاده طبرستان مقراً لثورته وشجعه الأفشين القائد التركي على العصيان أملاً في أن يتولى إخضاعه ، فيتخذ ذلك ذريعة لانتزاع خراسان من الطاهريين ، واعترف المازيار أن الأفشين حرضه على الخروج لمذهب أجمعوا عليه ، ودين اتفقوا عليه من مذهب الثنوية والمجوس ، وتمكن المعتصم من القضاء على حركته حين أعلنها سنة ٢٢٤هـ فقتله وصلبه بجوار بابك الخرمي.

٤- ظهور العنصر التركي والقضاء على الأفشين:

أعتمد الرشيد والمأمون ومن قبلهم من خلفاء بني العباس على الفرس لكن العلاقات بين الفرس والعباسيين ساءت بعد نكبة البرامكة في عصر الرشيد وانتقال المأمون إلى بغداد وقتل الفضل بن سهل ، والمعتصم لم يركن إلى العرب ولم يثق بهم لكثرة تقلب ولائهم واضطرابهم وهم قد فقدوا كثيراً من مقوماتهم السياسية والعسكرية فأصبحوا أقل خطورة فلجأ المعتصم إلى العنصر التركي وهم أخواله ، فأوكل إليهم أمنه الشخصي وكان المأمون قد استخدم الأتراك في الجيش ليحقق التوازن بين العنصر العربي والفارسي ، غير أن المعتصم استخدم الأتراك على نطاق واسع ، بل وأسلم إليهم قيادة الجيش ، وكان هؤلاء الأتراك من أهالي ما وراء النهر وسمرقند وفرغانة وأشروسنة والشاش وخوارزم.

ومكن المعتصم للأتراك في الأرض، وقربهم وخصهم بالنفوذ وقلدهم قيادة الجيوش وأسكنهم سامراء التي بناها خصيصاً لهم وحرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ثم أسقط أسمائهم من الدواوين ، وقطع عنهم العطاء ، وكذلك فعل بالفرس.

وكان لهذه السياسة نتائج خطيرة آنية ومستقبلية فمن النتائج السريعة سخط العرب على المعتصم وحاولوا اغتياله ولكن محاولاتهم فشلت .

ومن النتائج البعيدة كانت هذه السياسة سبباً في سيطرة العنصر التركي على الخلافة العباسية ، وإضعاف نفوذ الخليفة العباسي فيما بعد وكذلك كانت سبباً في نشأة الدول المنفصلة عن جسم الدولة العباسية ابتداءاً من العصر العباسي الثاني.

القضاء على الإفشين:

استغل الإفشين القائد التركي منصبه ، وأراد أن يؤسس دولة مستقلة في أشروسنة ولكن مؤمراته فشلت فقبض عليه المعتصم وأقره بعدم صدقه في إسلامه، وأنه لازال يتعصب للمجوسية ، ويسعى للقضاء على دولة الخلافة ، ثم سجنه وتوفي في سجنه سنة ٢٢٦هـ

الفتوحات (العلاقات الخارجية) :

لم يحدث قتال على الجبهة البيزنطية في السنوات الأولى لخلافة المعتصم لانشغاله بالقضاء على الحركات الانفصالية الداخلية وبعد مضي أربع سنوات رأى أمبراطور الروم ثيوفل أن يعود لقتال المسلمين وشجعه على ذلك بابك الخرمي، فأغار على منطقة أعالي الفرات ليؤمن اتصاله بالخرمية في أرمينيا وأذربيجان ، واستولى على زبطره مسقط رأس والدة الخليفة وأسر من فيها من المسلمين، ومثل بهم ، وسبى المسلمات وهاجم سميساط وملطية وأحرقها.

اعتبر المعتصم هذه الغارة البيزنطية تحدياً شخصياً له قبل أن تكون تحدياً للخلافة العباسية فعزم أن يثأر لزبطرة فبعد فراغة رحمه الله من القضاء على ثورة بابك الخرمي سنة ٢٢٣هـ حتى أعد جيشاً كثيفاً ، وخرج على رأس هذا الجيش متوجهاً إلى جنوب عمورية مسقط رأس ثيوفل عازماً على تدميرها ، ودخل المعتصم الأراضي البيزنطية من ثلاث محاور واستطاع دخول أنقره وتدميرها، فأرسل ثيوفل رسالة إلى المعتصم يطلب منه الصلح، ويعتذر عن مذابح زبطره ويتعهد بإعادة إعمارها ، إلا أن المعتصم رفض عرض ثيوفل ، وتابع زحفه باتجاه عمورية فلما وصلها حاصرها واستسلمت في رمضان سنة ٢٢٣هـ ، وأسر المسلمون كثيراً من أهلها وغنموا غنائم كثيرة، وهدم المعتصم أسوارها وأمر بترميم زبطرة وتحصينها .

ونتيجة لهذا الانتصار الساحق الذي حققه المعتصم وما حققه المسلمون في افريقية من تقدمهم في جزيرة صقلية وما ألحقه المسلمون بالروم من هزائم في جزيرة كريت ، لجأ ثيوفل إلى الصلح وعقدت هدنه لوقف القتال سنة ٢٢٧هـ ولكن المعتصم وثيوفل توفيا في نفس العام .

وفاته:

احتجم المعتصم في شهر محرم سنة ٢٢٧هـ ثم مرض ثمان ليال وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ وعهد بالولاية من بعده لابنه هارون .

٩- **أبو جعفر هارون (الواثق) ٢٢٧- ٢٣٢هـ :**

مولده: ولد بطريق مكة سنة ١٩٠هـ وقيل سنة ١٩٦هـ لعشر بقين من شعبان.

صفاته: كان راجح العقل حسن التصرف السياسي ، وكان مولعاً بالأدب والشعر.

مبايعة: تولي الخلافة بعد وفاة والده بعد أن عهد إليه بالخلافة من بعده.

الأحداث الداخلية:

١- **القضاء على ثورة الأعراب:**

تصدى الواثق لحركات الأعراب من بني سليم وغيرمن البدو في جهات المدينة ، وفرض الأمن على الطرقات التجارية.

٢- تمتع ولاة الأقاليم في عهد الوثائق بنفوذ كبير فقد حكم عبد الله بن طاهر بن الحسين خراسان وطبرستان وكرمان حكماً يكاد يكون مستقلاً ، وأسند الواثق إلى قائدة التركي (أشناس) حكم الجزيرة والشام ومصر والمغرب ، وولى إيتاخ التركي خراسان والسند ، وكور دجلة .

٣- اعتنق الواثق عقيدة الاعتزال في القرآن وقال بأنه مخلوق وانتهج نهج والده في الانتصار لهذه العقيدة والتشدد في فرضها على الناس مما أدى إلى التذمر منه من قبل العامة والفقهاء ، ولعله تراجع عنها قبل موته.

٤- أعترى إدارة الوثائق الضعف والتحكم من قبل الولاة والبطانة وتفشت الرشوة في عهده وكثر الفساد .

وفاته :

توفي الواثق بمرض الاستسقاء في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ ولم يوصى لأحد من بعده بالخلافة.

وبوفاة الواثق انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية وهو العصر الأول ويعتبر عصر القوة للخلافة العباسية واستقلالها التام حيث كانت السلطة بأيدي الخلفاء.ومن أهم سماته أيضاً :

١- استطاع الخلفاء في هذا العصر إخماد الثورات والفتن الداخلية لنفوذهم التام واستقلاليتهم المطلقة .

٢- تمتع الفرس في هذا العصر بمكانة مرموقة وسيطروا أخيراً على الجهاز الإداري والعسكري إلا أن الخلفاء تمكنوا من تحجيم مساعيهم للاستبداد والسيطرة .

٣- كان الجيش يداً طائعة في يد الخلفاء وعوناً لهم ، وكان الخلفاء يقودون الجيوش بأنفسهم ويقتحمون البلاد ولا يستسلمون للترف والبذخ .

العصر العباسي الثاني:

ابتدء هذا العصر بخلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ وانتهى في آخر عصر المستكفي سنة ٣٣٤هـ وكان عدد خلفائه ثلاثة عشر خليفة.

واتصف هذا العصر بضعف الخلافة وسقوط هيبتها شيئاً فشيئاً، حتى تجرأ أمراء الأطراف للتخطيط للانفصال عنها ، وأحكم الأتراك في هذا العصر قبضتهم على أجهزة الدولة وازداد ضعف الخلفاء بازدياد عدد الدول المستقلة عن الخلافة كالدولة البويهية في فارس والحمدانيون في الموصل وديار بكر وربيعة والأخشيديون بمصر والشام . والسامانيون بخراسان وتقلصت رقعة دولة الخلافة ولم يبق في يد الخليفة العباسي سوى العراق وبعض مناطق فارس والأهواز ، ومع ذلك كانت تسود تلك الرقعة الصغيرة التي يسيطر عليها الخليفة العباسي الفتن والاضطرابات ، وآل الأمر إلى أن يتولى أمر بغداد مملوك تركي أو ديلمي ، يطلق عليه اسم (أمير الأمراء) له النفوذ التام والسلطان المطلق والولاية العامة ، والخليفة صوري ليس له من الأمر شيء.

إلا أن الخلافة استعاد شيئاً من هيبتها في الفترة ما بين ٢٥٦-٢٩٥هـ في عصر الخلفاء : المعتمد ، والمعتضد والمكتفي واطلق عليها اسم (صحوة الخلافة) .

العصر العباسي الثالث :

وابتدأ آواخر خلافة المستكفي سنة ٣٣٤هـ وانتهى في آواخر خلافة القائم سنة ٤٦٧هـ وعدد خلفائه خمسة خلفاء.

وتيمز هذا العصر بارتباطه بتاريخ البويهيين الذين كانوا أصحاب النفوذ الحقيقي والسلطان الفعلي في العراق ، ولم يكن للخليفة إلا الإسم ، وأضحى وكأنه موظف يعطى ما يقيم حياته وعيشه وليس له حق التصرف في أي أمر من الأمور الخلافة دون الرجوع إليهم وأخذ موافقتهم .

فكان الخليفة يؤمر فيأتمر ويفعل ما يطلب منه الوزير البويهي ولم يكن للخليفة عليهم سلطان ديني لمخالفتهم له في المذهب فقد كانوا شيعة غلاة وإنما ارتضوا بقاءه في منصب الخلافة لتحقيق أغراضهم .

العصر العباسي الرابع:

ابتدأ هذا العصر أثناء خلافة القائم وانتهى بوفاة المستعصم سنة ٦٥٦هـ وعدد خلفائه اثني عشر خليفة .

وتميز هذا العصر بانتقال السلطان الفعلي إلى أيدي السلاجقة الأتراك الذين كانوا في بلاد الجبل. وكانت أوضاع الخلفاء العباسيين مع السلاجقة أفضل منها مع بني بويه ، لأنهم احترموا الخلفاء تديناً باعتبارهم على مذهب أهل السنة ، وأبدوا لهم من مظاهر التعظيم والإجلال ما يقتضي به منصبهم .

لم يكن خلفاء هذا العصر على نمط من القدرة والتصرف فإنهم منذ عهد المسترشد ٥١٢-٥٢٩هـ شرعوا يستردون بعض نفوذهم الفعلي، واستقلوا بحكم بغداد والأعمال التابعة لها منذ عهد المقتفي ٥٣٠-٥٥٥هـ واستعادوا نفوذهم منذ عهد الناصر ٥٧٥-٦٢٢هـ واستقلوا بحكم العراق ، ومكثوا ستاً وستين عاماً لم يخضعوا فيها لأي سلطان إلى أن قام المغول بتحركهم الواسع منطلقين نحو الغرب يحتلون الممالك ويدمرون المدن حتى وصلوا بغداد فاحتلوها وأسقطوا الخلافة العباسية .

الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية منذ العصر الثاني وحتى العصر الرابع :

١- **دولة القرامطة** : وكانوا من غلاة الرافضة وقامت دولتهم في سواد العراق والبحرين والأحساء والقطيف واستمرت من ٢٦١-٤٦٩هـ .

الدول في الشام ومصر والمغرب:

١- الدولة الطولونية في مصر والشام ٢٥٤-٢٩٢هـ .

٢- الدولة الإخشيدية في مصر والشام ٣٢٣-٣٥٨هـ .

٣- الدولة الحمدانية في الموصل وحلب ٣١٧-٣٩٤هـ.. وكانت دولة شيعية إثنى عشرية.

٤- الدولة الفاطمية في الشام ومصر والمغرب ٢٩٦-٥٦٧هـ

وكانت شيعة المذهب وعلى يدها زالت كل من الدولة الإخشيدية في مصر والحمدانية في حلب ودولة الأغالبة في افريقية (تونس) والمغرب .

الدول في المشرق وبغداد :

١- الدولة الطاهرية ٢٠٥-٢٥٩هـ

وقامت في خراسان :

٢- الدولة الصفارية ٢٥٤-٢٩٨هـ

وزالت على أيديهم الدولة الطاهرية وكان نفوذهم في فارس وخراسان .

٣- الدولة السامانية ٢٩١-٣٨٩هـ

وكان نفوذها في خراسان وما وراء النهر (بلاد الترك) وعلى أيديهم زالت الدولة الصفارية.

٤- الدولة الغزنوية ٣٥١-٥٨٢هـ

وشمل نفوذها فارس والهند والبنجاب وبلاد الأفغان وعلى أيدهم زالت الدولة السامانية وكان لأحد قادتها وهو محمود الغزنوي دور كبير في نشر السنة وقمع أهل البدع من المعتزلة والرافضة والقرامطة والجهمية .

وجميع هذه الدول اعترفت بالخليفة العباسي في بغداد خاصة السنية منها .

٥- الدولة البويهية ٣٣٤-٥٤٧هـ

وكان نفوذها في فارس والعراق حيث كانت لها السيطرة الفعلية على الخلافة واعترفوا بالخليفة لتحقيق مصالحهم فقط لأنهم كانوا على المذهب الشيعي.

٦- الدولة السلجوقية ٤٣١-٥٥٢هـ

وكانت سنية المذهب وعلى يدها زال سلطان البويهيين وشمل نفوذها المشرق الإسلامي وبغداد حتى بلاد الروم واعترفت بالخليفة العباسي.

المغول وسقوط الخلافة العباسية :

المغول: مجموعة قبائل بدوية نشأت في الهضبة المعروفة باسم منغوليا الواقعة في جنوب سيبيريا وشمال غرب الصين..

وكان زعيم المغول جنكيز خان (أي قاهر العالم) أنشأ إمبراطورية مترامية الأطراف من الصين شرقاً وحتى حدود العراق وبحر الخزر غرباً وبلاد الهند جنوباً.

زحف المغول على البلاد الإسلامية :

عندما بدأت دولة المغول تزحف شمال شرق آسيا على البلاد المجاورة لحدودها كان الخوارزميون أو الدولة الخوارزمية قد حلت مكان الدولة السلجوقية التي حل بها الضعف وآلت للسقوط في حكم مناطق وبلاد ما وراء النهر وخراسان ، وإيران ، وراح زعماؤها يتدخلون في شئون الخلافة العباسية حتى عزموا على الاستيلاء على بغداد . واستطاع علاء الدين شاه الخوارزمي انتزاع السلطة من الخليفة الناصر إلا أنه تراجع امام الضغط المغولي على بلاده وواصل جنكيز خان زحفه على البلاد الإسلامية فسقطت في يده إقليمي ما وراء النهر وخراسان وتوفي جنكيز خان سنة ٦٢٤هـ واستأنف المغول زحفهم بقيادة هولاكو حتى اقترب من العراق حيث كان في بغداد الخليفة العباسي المستعصم والذي عرف بعدم جديته بمواجهة الأحداث ، فلم يستعد لمواجهة الزحف المغولي ، وبعث إليه هولاكو يطلب منه القدوم إليه أو تسليم بغداد، فرفض وكان للوزير الشيعي للمستعصم مؤيد الدين ابن العلقمي دور في مراسلة المغول وإطماعهم في بغداد التي كانت تعصف بها الخلافات المذهبية فلم يستجب الخليفة لطلب هولاكو وكان يأمل أن تهب لنجدته بعض الممالك الإسلامية كالأيوبيين في الشام والمماليك في مصر إلا أنه لم يهب أحد لنجدته لانشغال تلك الممالك بمشاكلها الداخلية فاستشاط هولاكو غضباً وواصل زحفه حتى نزل ببغداد وفرض عليها الحصار المحكم في شهر محرم سنة ٦٥٦هـ واضطر الخليفة أخيراً للاستسلام في شهر صفر سنة ٦٥٦هـ ودخل المغول بغداد وعاثوا فيها فساداً فهدموا مساجدها وقتلوا كثيراً من العلماء وأئمة المساجد ، وتكدست الجثث على الطرقات والأزقة فانتشر الوباء فمات بسببه كثير من أهلها ممن كان قد نجا من جند هولاكو . وانتهت الأحداث بمقتل الخليفة المستعصم وابنيه أحمد وعبد الرحمن وقضى الخلافة العباسية . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين